تأويل مشكل القرآن

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه

إبراهيم شمس الدين

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

تأويل مشكل القرآن

تأليف

أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه

إبراهيم شمس الدين

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box: 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ere Etage
Tel. & Fax: 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P.: 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3553-8

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام المنتجبين.

وبعد،

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩]، ويقول تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ۝٨٢﴾ [الإسراء: ٨٢]، ويقول تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ۝٨٨﴾ [الإسراء: ٨٨]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام والمسلمين، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وهو بالجملة الموجّه لهم في الحياة والمعاملات وشتى مظاهر الحياة.

فلا عجب أن يكون القرآن الكريم موضع عناية المسلمين منذ القدم، فقد تتابعت أنواع التآليف في أحكامه وفي تفسيره وفي بلاغته وفي لغته وفي إعرابه، حتى لقد ازدهرت في الثقافة الإسلامية ضروب من العلوم والفنون حول القرآن الكريم وتحت رايته.

هذا كتاب «تأويل مشكل القرآن» للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ. وهو كتاب فريد في بابه ويعتبر من أوائل الكتب

التي بحثت في مشكل القرآن الكريم، والشكوك التي تثار حوله، والمطاعن التي تسدد نحوه.

يقول ابن قتيبة: «قد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ﴿ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾ بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور. . . فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب، لأُري المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير، إذ كنت لم أقتصر على وحي القوم حتى كشفته. وعلى إيمائهم حتى أوضحته، وزدت في الألفاظ ونقصت، وقدّمت وأخرّت، وضربت لذلك الأمثال والأشكال، حتى يستوي في فهمه السامعون».

أما عملنا في هذا الكتاب فهو:

أولاً: وضع ترجمة وافية للمؤلف.

ثانياً: حرصنا بقدر الطاقة على تنقية النص من الأخطاء المطبعية.

ثالثاً: شرحنا في حواشي الكتاب ما في متنه من غريب اللغة أو صعب المتناول منها، وذلك استناداً إلى المعاجم اللغوية المشهورة.

رابعاً: وضعنا في حواشي الكتاب تعريفاً وافياً ـ مع ذكر المراجع ـ لجميع الأعلام، وما أهملناه من ذلك إما معروف مشهور، ولم نجد ضرورة لنافل القول فيه، وإما لم نهتد إليه فيما بين أيدينا من المصادر والمراجع. وقد أشرنا إلى ذلك أيضاً.

خامساً: خرّجنا جميع الأحاديث النبوية والآثار تخريجاً وافياً، وضبطنا نص الحديث استناداً إلى كتب الحديث المعتبرة.

سادساً: خرّجنا جميع الشواهد الشعرية في مظانها.

سابعاً: خرّجنا جميع الأمثال في مظانها.

ثامناً: خرّجنا جميع الآيات القرآنية الكريمة على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

وأخيراً، نرجو أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه تعالى، ولله الكمال وحده، وهو ولي التوفيق.

إبراهيم شمس الدين

ترجمة ابن قتيبة الدينوري[1]

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم، المروزي الدينوري، أصله من أسرة فارسية كانت تقطن مدينة «مرو»، ولد سنة ٢١٣هـ. في أواخر خلافة المأمون، ونشأ في بغداد، وتتلمذ على يد عدد كبير من العلماء وأعلام عصره، منهم:

١ـ أحمد بن سعيد اللحياني.

٢ـ أبو عبد الله، محمد بن سلاّم الجمحي البصري، المتوفى سنة ٢٣١هـ.

٣ـ أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم، المعروف بابن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨هـ.

٤ـ حرملة بن يحيى التجيبي، المتوفى سنة ٢٤٣هـ.

٥ـ القاضي يحيى بن أكثم المتوفى سنة ٢٤٢هـ.

٦ـ أبو عبد الله، الحسين بن الحسين بن حرب السلمي المروزي المتوفى سنة ٢٤٦هـ.

٧ـ دعبل بن علي الخزاعي، المتوفى سنة ٢٤٦هـ.

٨ـ أبو عبد الله، محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلي البصري، المتوفى سنة ٢٤٨هـ.

٩ـ أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي، المتوفى سنة ٢٤٩هـ.

١٠ـ أبو حاتم، سهل بن محمد السجستاني، المتوفى سنة ٢٤٨هـ.

---

(١) انظر ترجمته في: كشف الظنون ٥/ ٤٤١، البداية والنهاية ١١/ ٥٢ـ ٥٣، الأعلام للزركلي ٤/ ١٣٧، الأنساب للسمعاني، التهذيب للأزهري ص ١٣، مراتب النحويين لأبي الطيب الحلبي ص ١٣٧، ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٧٧، لسان الميزان ٣/ ٣٥٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٧٥، الفهرست لابن النديم، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣٩٢ـ ٤٦٣، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ٥/ ١٠٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٢٤٦.

١١ـ محمد بن زياد بن عبيد الله الزيادي البصري، المقلب ببؤبؤ، المتوفى سنة ٢٥٢هـ.

١٢ـ أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلي البصري، المتوفى سنة ٢٥٣هـ.

١٣ـ أبو عثمان الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، المتوفى سنة ٢٥٤هـ.

١٤ـ أبو طالب، زيد بن أخزم الطائي البصري، المتوفى سنة ٢٥٧هـ.

١٥ـ أبو الفضل، العباس بن الفرج الرياشي، المتوفى سنة ٢٥٧هـ.

١٦ـ أبو سهل الصفار، عبدة بن عبد الله الخزاعي، المتوفى سنة ٢٥٨هـ.

وقد تتلمذ على يدي ابن قتيبة عدد كبير من العلماء، منهم:

١ـ ابنه أحمد، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري، المتوفى سنة ٣٢٢هـ.

٢ـ أحمد بن مروان المالكي، المتوفى سنة ٢٩٨هـ.

٣ـ أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان، المتوفى سنة ٣٠٩هـ.

٤ـ أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب بن بشير الصائغ، المتوفى سنة ٣١٣هـ.

٥ـ أبو محمد، عبيد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عيسى السكري، المتوفى سنة ٣٢٣هـ.

٦ـ أبو القاسم، عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن بكير التميمي، المتوفى سنة ٣٣٤هـ.

٧ـ الهيثم بن كليب الشامي، المتوفى سنة ٣٣٥هـ.

٨ـ قاسم بن أصبغ الأندلسي، المتوفى سنة ٣٤٠هـ.

٩ـ عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوي، المتوفى سنة ٣٥٥هـ.

١٠ـ أبو القاسم، عبيد الله بن محمد بن جعفر بن محمد الأزدي، المتوفى سنة ٣٤٨هـ.

١١ـ أبو بكر، أحمد بن الحسين بن إبراهيم الدينوري.

١٢ـ أبو العباس محمد بن علي بن أحمد الكرجي، المتوفى سنة ٣٤٣هـ.

١٣ـ أبو رجاء، محمد بن حامد بن الحارث البغدادي، المتوفى سنة ٣٤٣هـ.

مؤلفات ابن قتيبة

ذكر أصحاب كتب التراجم لابن قتيبة الكثير من المصنفات، وهي:

١ـ آداب العشرة.

٢ـ آداب القراءة.

٣ـ أدب الكاتب.

٤ـ اختلاف الحديث.

٥ـ استماع الغناء بالألحان.

٦ـ إصلاح غلط أبي عبيدة.

٧ـ إعراب القرآن.

٨ـ تأويل الرؤيا.

٩ـ تأويل مختلف الحديث.

١٠ـ تأويل مشكل القرآن (وهو الكتاب الذي بين أيدينا).

١١ـ تقويم اللسان.

١٢ـ تفسير القرآن.

١٣ـ جامع الفقه.

١٤ـ جامع النحو الكبير.

١٥ـ جامع النحو الصغير.

١٦ـ الجوابات الحاضرة.

١٧ـ حكم الأمثال.

١٨ـ خلق الإنسان.

١٩ـ دلائل النبوّة.

٢٠ـ ديوان الكتاب.

٢١ـ طبقات الشعراء.

٢٢ـ عيون الأخبار، في الأدب والمحاضرات.

٢٣ـ عيون الشعر، يحتوي على عشرة كتب.

٢٤ـ غريب الحديث.

٢٥ـ غريب القرآن.

٢٦ـ فرائد الدرر.

٢٧ـ كتاب آلة الكتابة.

٢٨ـ كتاب الاختلاف في اللفظ.

٢٩ـ كتاب الأشربة.

٣٠ـ كتاب الأنواء.

٣١ـ كتاب الحكاية والمحكي.

٣٢ـ كتاب التسوية بين العرب والعجم.

٣٣ـ كتاب التفقيه.

٣٤ـ كتاب الجرائيم.

٣٥ـ كتاب الخيل.

٣٦ـ كتاب الرد على المشبهة.

٣٧ـ كتاب الرد على القائل بخلق القرآن.

٣٨ـ كتاب صناعة الكتابة.

٣٩ـ كتاب الشعر والشعراء.

٤٠ـ كتاب الصيام.

٤١ـ كتاب العلم.

٤٢ـ كتاب فضل العرب والتنبيه على علومها.

٤٣ـ كتاب القراءات.

٤٤ـ كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر.

٤٥ـ كتاب المسائل والأجوبة.

٤٦ـ كتاب المعارف، في التاريخ.

٤٧ـ كتاب الميسر والقداح.

٤٨ـ كتاب الوحش.

٤٩ـ كتاب الوزراء.

٥٠ـ مختلف الحديث.

٥١ـ مشكلات القرآن.

٥٢ـ معاني الشعر، يحتوي اثني عشر كتاباً،

٥٣ـ معجزات النبي ﷺ.

توفي ابن قتيبة، فيما يقول تلميذه أبو القاسم إبراهيم الصائغ: أنه أكل هريسة، فأصاب حرارة، ثم صاح صيحة شديدة، ثم أُغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات، وذلك أول ليلة من رجب سنة ٢٧٦هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبة:

الحمد لله الذي نهج لنا سُبل الرّشاد، وهدانا بنور الكتاب، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] بل نزّله قيّماً مفصّلاً بيّنا ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢] وشرّفه، وكرّمه، ورفعه وعظّمه، وسماه روحاً ورحمة، وشِفاء وهُدًى، ونوراً.

وقطع منه بمعجز التّأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النّظم عن حِيَل المتكلّفين، وجعله مَتْلُوّاً لا يُمَلّ على طول التّلاوة، ومسموعاً لا تمجُّه الآذان، وغَضّاً لا يَخْلَق على كثرة الرد، وعجيباً.

لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنقطع فوائده، ونَسَخَ به سالف الكتب.

وجمع الكثير من معانيه في القليل من لفظه، وذلك معنى قول رسول الله، ﷺ: «أُوتيتُ جَوَامِعَ الكَلِم»[(١)].

فإن شئت أن تعرف ذلك فتدبر قوله سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] كيف جمع له بهذا الكلام كل خُلُق عظيم؛ لأن في (أخذ

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في المساجد حديث ٧، ٨، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٠، ٣١٤، ٤٤٢، ٥٠١، وابن كثير في تفسيره ٤/ ٧٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧/ ١١٣، وأبو نعيم في دلائل النبوة ١/ ١٤، وسعيد بن منصور في سننه ٢٨٦٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٤٨٠، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٢٠٦٨، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ١٤، ٣٠٨. وأخرجه بلفظ: «بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب». البخاري ٤/ ٦٥، ٩/ ٤٧، ١١٣، ومسلم في المساجد حديث ٦، والنسائي في المجتبى ٦/ ٣، ٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٤، ٤٥٥، والشهاب في مسنده ٥٧٠، ٥٧١، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٥٦، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٤٥٦، وابن كثير في البداية والنهاية ٤/ ١٠٢، ٦/ ٤٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٧/ ١١٣، وابن حجر في فتح الباري ١٢/ ٣٩١، ٤٠١، ١٣/ ٢٤٧، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٣٦٥، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٧٤٩، وأبو عوانة في المسند ١/ ٣٩٥، وابن عبد البر في التمهيد ٥/ ٢١٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣١٨٩٩، والقرطبي في تفسيره ١٠/ ٤٩.

العفو): صِلة القاطعين، والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين.

وفي (الأمر بالعرف): تقوى الله وصِلة الأرحام، وصون اللّسان عن الكذب، وغَضّ الطَّرْف عن الحُرُماتِ.

وإنما سُمِّيَ هذا وما أشبهه (عُرْفاً) و(معروفاً)؛ لأن كل نفس تعرفه، وكل قلب يطمئِنُّ إليه.

وفي (الإعراض عن الجاهلين): الصبر، والحلم، وتنزيه النفس عن مُمَاراة السّفيه، ومنازعة اللَّجوج.

وقوله تعالى: إذ ذَكَر الأرض فقال: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات: ٣١] كيف دَلَّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام، من العُشب والشجر، والحب والثمر والحَطب، والعَصْفِ واللِّباس، والنّار والملح؛ لأن النار من العيدان، والملح من الماء.

وينبئك أنه أراد ذلك قوله: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٣٣].

وفكِّرْ في قوله تعالى حين ذكر جنات الأرض فقال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤] كيف دَلَّ على نفسه ولُطفه، ووحدانيته، وهَدَى للحُجَّة على من ضلَّ عنه؛ لأنه لو كان ظُهور الثمرة بالماء والتُّربة، لوجب في القياس ألا تختلف الطعوم، ولا يقع التَّفاضُل في الجنس الواحد، إذا نَبت في مَغْرِسٍ واحد، وسُقِي بماءٍ واحد، ولكنّه صنع اللطيف الخبير.

ونحو قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] يريد اختلاف، اللُّغات، والمناظر، والهيئات.

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] يريد: أنها تُجمعُ وتُسَيَّرُ، فهي لكثرتها كأنها جامدةٌ واقفةٌ في رَأْيِ العين، وهي تسير سير السحاب.

وكل جيش غَصّ الفضاءُ به، لكثرته، وبُعْد ما بين أطرافه، فقصُرَ عنه البصر - فكأنه في حسبان الناظر واقف وهو يسير.

وإلى هذا المعنى ذهب الجَعْدِيّ في وصف جيش فقال(١):

(١) البيت من الطويل، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ص ١٨٧، ولسان العرب (صرد)، وتاج العروس (صرد) والمعاني الكبير ص ٨٩١.

بأزعَنَ مثلِ الطّودِ تَحسَبُ أنهم وُقُوفٌ لِحَاجٍ والرِّكابُ تُهَمْلِجُ

وفي قوله جلّ ذكره: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩] يريد أن سَافِكَ الدّم إذا أُقِيد منه ارتدع من كان يَهُمّ بالقتل، فكان في القصاص له حياة وهو قتل.

وأخذه الشاعر فقال(١):

أَبلغْ أبا مالك عَنّي مُغَلْغَلَةً وفي العِتاب حياةٌ بين أقْوَامِ

يريد أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب فكفُّوا عن القتل، فكان في ذلك حياة.

وأخذه المتمثّلون فقالوا: «بعض القتل إحياءٌ للجميع»(٢).

وقالوا: «القتل أَقَلُّ للقتل»(٣).

وتبيّن قوله في وصف خَمْرِ أهل الجنة: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٩] كيف نفى عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله: (وَلا يُنْزِفون) عدم العقل، وذَهاب المال، ونفادَ الشراب.

وقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس: ٤٢، ٤٣] كيف دَلّ عَلى فضل السّمع على البصر، حين جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦] فدلَّ على أن المنافقين شرُّ مَنْ كفر به، وأولاهم بمقته، وأبعدهم من الإنابة إليه؛ لأنه شرط عليهم في التوبة: الإصلاح والاعتصام، ولم يشرط ذلك على غيرهم.

ثم شرط الإخلاص؛ لأن النِّفاق ذنب القلب، والإخلاص توبة القلب.

(١) البيت من البسيط، وهو لهمام الرقاشي في مقاييس اللغة ٤/ ٣٧٧، والبيان والتبيين ٢/ ٣١٦، ٣/ ٢٠٢، ٤/ ٨٥، والخزانة ٣/ ٣٤٥، ولعصام بن عبيد الزماني في تاج العروس (غلل)، ولأبي القمقام الأسدي في عيون الأخبار ١/ ٩١، ولهشام الرقاشي في العقد الفريد ١/ ٨٠، وبلا نسبة في لسان العرب (غلل).

(٢) انظر البيان والتبيين ٢/ ٣١٦، وفيه بلفظ: وقال بعض الحكماء: قتل البعض إحياء للجميع.

(٣) انظر كتاب الصناعتين، وفيه بلفظ: القتل أنفى للقتل.

ثم قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦] ولم يقل: فأولئك هم المؤمنون.

ثم قال: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦] ولم يقل وسوف يؤتيهم الله، بُغْضاً لهم، وإعراضاً عنهم، وحَيْداً بالكلام عن ذكرهم.

وقوله في المنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤] فدلّ على جُبنهم، واستِشرافهم لكل ناعِرٍ، ومُزْعِجٍ على الإسلام وأهله.

وأخذه الشاعر ـ وأنّى له هذا الاختصار ـ فقال[1]:

وَلَوْ أَنَّها عصفورةٌ لحَسِبْتَها مُسَوَّمَةً تدعو عُبَيْداً وَأَزْنَما

يقول: لو طارت عصفورة لحسبتها من جُبْنك خيلاً تدعو هاتين القبيلتين.

وقال الآخر[2]:

ما زلت تحسبُ كل شيءٍ بعدهم خيلاً تكُرُّ عليكم ورجالا

وهذا في القرآن أكثر من أن نستقصِيَه.

وقد قال قوم بِقُصور العلم وسوء النظر في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]: وما في هذا الكلام من الفائدة؟.

وما في الشمس إذا مالت بالغَداة والعَشِيّ عن الكهف من الخبر؟.

ونحن نقول: وأيّ شيءٍ أوْلى بأن يكون فائدة من هذا الخبر؟ وأيّ معنى ألطف مما أَوْدَعَ الله هذا الكلام؟.

وإنما أراد عز وجل: أن يُعرِّفنا لطفه لِلْفِتْيَةِ، وحِفْظه إياهم في المَهْجَع، واختياره لهم أصلح المواضع للرّقود، فأَعْلمنا أنه بوّأهم كهفاً في مَقْنَأة الجبل[3]، مستقبلاً بنات

(١) البيت من الطويل، وهو لجرير في ديوانه ص ٣٢٣، وشرح شواهد المغني ٢/ ٦٦٢، وله أو للبعيث في حماسة البحتري ص ٢٦١، وللعوام بن شوذب الشيباني في العقد الفريد ٥/ ١٩٥، ولسان العرب (زنم)، والمعاني الكبير ص ٩٢٧، ومعجم الشعراء ص ٣٠٠، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٦٧، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٧٣، وجمهرة اللغة ص ٨٢٨، والجنى الداني ص ٢٨١، وشرح الأشموني ٣/ ٦٠٣، ومغني اللبيب ١/ ٢٧٠.

(٢) البيت من الكامل، وهو لجرير في ديوانه ص ٥٣، وشرح شواهد الشافعية ص ١٢٥، والعقد الفريد ٣/ ١٣٢، وكتاب الحيوان ٥/ ٢٤٠.

(٣) مقنأة الجبل: الموضع الذي لا تصيبه الشمس.

نَعْش، فالشمس تزوَرُّ عنه وتستدبره: طالعة، وجارية، وغاربة. ولا تدخل عليهم فتؤذيَهُم بحرّها وتلفحهم بسمومها، وتُغيّر ألوانهم، وتُبلي ثيابهم. وأنهم كانوا في فجوةٍ من الكَهْف ـ أي مُتَّسعٍ منه ـ ينالهم فيه نسيم الريح وبردها، وينفي عنهم غُمَّةَ الغار وكربه.

وليس جهلهم بما في هذه الآية من لطيف المعنى، بأعجب من هذا جهلهم بمعنى قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥] حتى أبدأوا في التعجُّب منه وأعادوا، حتى ضربه بعض المُجّان لبارد شعره مثلاً.

وهل شيءٌ أبلغ في العبرة والعِظة من هذه الآية؟ لأنه أراد: أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعُتُوّ، وأبادهم بالمعصية، فيروا من تلك الآثار بيوتاً خاوية قد سقطت على عروشها، وبئراً كانت لشرب أهلها قد عُطِّل رِشَاؤُها، وغار مَعينُها، وقصراً بناه مَلِكهُ بالشِّيد[1] قد خلا من السُّكْن، وتداعى بالخراب؛ فيتعظوا بذلك، ويخافوا من عقوبة الله وبأسه، مثل الذي نزل بهم.

ونحوه قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]:

ولم يزل الصالحون يعتبرون بمثل هذا، ويذكرونه في خطبهم ومقاماتهم: فكان سُليمان ﷺ، إذا مرّ بخراب قال: يا خَرِب الخرِبين أين أهلك الأوّلون؟.

وقال: أبو بكر رضي الله عنه، في بعض خُطبه: أين بانو المدائن ومُحَصِّنوها بالحوائط؟ أين مُشيِّدو القصور، وعامروها؟ أين جاعِلو العجب فيها لمن بعدهم؟ تلك منازلهم خالية، وهذه منازلهم في القبور خاوية، هل تُحسُّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم رِكْزاً؟.

وهذا الأسْوَدُ بن يَعْفُر يقول[2]:

---

(١) الشِّيد، بالكسر: كل ما طلي به الحائط من جص وبلاط.

(٢) الأبيات من الكامل، وهي للأسود بن يعفر في ديوانه ص ٢٦ـ٢٧، والبيت الأول في لسان العرب (برق)، (حرق)، وتاج العروس (سند)، وشرح اختيارات المفضل ص ٩٦٨، ومعجم البلدان (انقرة)، والبيت الثاني في لسان العرب (كعب)، (برق)، وكتاب العين ١/ ٢٠٧، وتهذيب اللغة ١/ ٣٢٥، وتاج العروس (كعب)، (سند)، وشرح اختيارات المفضل ص ٩٦٩، والشعر والشعراء ص ٢٦١، والبيت الثالث في لسان العرب (نقر)، وتاج العروس (نقر)، وشرح اختيارات المفضل ص ٩٧٠، والحماسة البصرية ٢/ ٤١٢، والبيت الرابع في لسان العرب (موم)، وتاج العروس (موم).

مـاذا أُؤَمِّـل بـعـدَ آل مُـحَـرِّقٍ تـركـوا مـنـازلـهـم وبـعـد إيـادِ
أَهـلِ الـخَـوَرْنَـقِ والـسَّـدِيـرِ وبَـارِقٍ والـقـصـر ذي الشُّرُفاتِ مِن سِـنْـدادِ
نـزلـوا بـأنـقـرةٍ يـسـيـل عـلـيـهـم مـاءُ الـفـراتِ يَـجِـيءُ مـن أَطْـوادِ
أرضٌ تـخـيَّرهـا لِـطـيـب مَقِـيـظِـهـا كـعـب بـن مَـامَـة وابـن أم دُؤاد
جرَت الرياح على محلّ ديارهـم فـكـأنـهـم كـانـوا عـلـى مـيـعـاد
فَـأرَى الـنـعـيـم وكـلُّ ما يُلْـهَـىٰ بـه يـومـاً يـصـيـر إلـى بـلـىً ونَـفَـاد

وهذه الشعراءُ تبكي الديار، وتصِفُ الآثار، وإنما تسمعهم يذكرون دِمَناً وأوتاداً، وأثافِيَ ورماداً، فكيف لم يعجبوا من تذكُّرِهم أهل الديار بمثل هذه الآثار، وعجبوا من ذكر الله، سبحانه أحسن ما يُذْكَرُ منها وأوْلاه بالصِّفة، وأبلغه في الموعظة؟.

بابُ ذكر العَرب وَمَا خصَّهم الله به من العارضَة والبَيَان واتّساع المجاز

وإنما يَعرفُ فضل القرآن من كَثُرَ نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات؛ فإنه ليس في جميع الأمم أُمّةٌ أُوتيت من العَارِضة، والبيان، واتساع المجال، ما أُوتِيَتْهُ العرب خِصِّيصَى من الله، لما أَرْهَصَه في الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نُبُوَّته بالكتاب، فجعله عَلَمَه، كما جعل عَلَمَ كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه:

فكان لموسى فَلْقُ البحر، واليد، والعصا، وتفجُّرُ الحجر في التّيه بالماءِ الرَّواءِ؛ إلى سائر أعلامه زمن السّحر.

وكان لعيسى إحياءُ الموتى، وخلق الطير من الطين، وإبْرَاءُ الأكْمَه والأبرص؛ إلى سائر أعلامه زمن الطب.

وكان لمحمد ﷺ، الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؛ إلى سائر أعلامه زمن البيان.

فالخطيبُ من العرب، إذا ارتجل كلاماً في نكاح، أو حَمالة، أو تَحْضِيض، أو صُلح، أو ما أشبه ذلك ـ لم يأت به من وادٍ واحد، بل يَفْتَنُّ: فيختصر تارةً إرادة التخفيف، ويُطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرِّرُ تارةً إرادة التوكيد، ويُخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين، ويشير إلى الشيء ويكني عن الشيء.

وتكون عنايتُه بالكلام على حسب الحال، وقدْرِ الحَفْل، وكثرةِ الحَشْد، وجلالة المَقام.

ثُمّ لا يأتي بالكلام كلِّه، مُهذَّباً كلَّ التّهذيب، ومُصَفًّى كلَّ التَّصْفِيَةِ، بل تجدُه يَمْزُجُ ويَشُوبُ؛ لِيَدُل بالنَّاقِصِ على الوَافِرِ، وبالغثِّ على السمين. ولو جَعَله كلّه

نَجْراً[١] واحداً، لَبخسهُ بهاءَه، وسلَبه ماءَه.

ومثل ذلك الشّهابُ من القَبَسِ تُبرزُه للشعاع، والكوكبان يقترنان، فينقُصُ النُورَان، والسُخَابُ[٢] يُنظم بالياقوت والمَرْجان والعقيق والعِقْيَان، ولا يجعل كلُه جنساً واحداً من الرفيع الثَمِين، ولا النَّفيس المصون.

وألفاظ العرب مبنية على ثمانية وعشرين حرفاً، وهي أقصى طَوقِ اللّسان.

وألفاظُ جميع الأمم قاصرةٌ عن ثمانية وعشرين ولست واجداً في شيء من كلامهم حرفاً ليس في حرفنا إلا مَعْدُولاً عن مَخْرجه شيئاً، مثل الحرف المتوسط مخرجي القاف والكاف، و الحرف المتوسط مَخْرَجَي الفاء والباء.

فهذه حال العرب في مباني ألفاظها.

ولها الإعراب الذي جعله الله وَشْياً لكلامها، وحِلْيةً لنظامها، وفارِقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمَعْنَيَيْنِ المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يُفرّقُ بينهما، إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكلٍّ واحدٍ منهما ـ إلا بالإعراب.

ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة ـ لدَلّ التنوين على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قد قتله.

ولو أن قارئاً قرأ: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس: ٧٦] وترك طريق الابتداء بإنَّا، وأعْمَلَ القوْلَ فيها بالنصب على مذهب من يَنصِبُ (أنَّ) بالقول كما ينصبها بالظن ـ لقلَبَ المعنى عن جهته، وأزاله عن طريقته، وجعل النبيَّ، عليه السلام، مَحزوناً لقولهم: إنَّ الله يعلمُ ما يُسِرُّون وما يُعْلنونَ. وهذا كُفْرٌ ممن تَعمَّدَه، وضَرْبٌ من اللحن لا تجوز الصلاة به، ولا يجوز للمأمومين أن يَتجوَّزوا فيه.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يُقتل قرشي صَبْراً بعد اليوم**»[٣].

فيمن رواه «حَزْماً» أَوْجَبَ ظاهرُ الكلام للقرشي ألا تُقتل إن ارتد، ولا يُقتصّ منه إن قَتَل.

---

(١) النجر: اللون.

(٢) السخاب، بالخاء المعجمة: كل قلادة كانت ذات جواهر، أو لم تكن.

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ٨٨، وأحمد في المسند ٣/ ٤١٢، ٤/ ٢١٣، والدارمي ٢/ ١٩٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٧٩، والحميدي في مسنده ٥٦٨، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٦٣٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٧٣، ١٤/ ٤٩٠، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٩٩٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٣٨٠٤، ٣٣٨٨٥، ٣٧٩٨٥.

ومن رواه «رفعاً» انصرفَ التأويلُ إلى الخَبَرِ عن قريش: أنه لا يَرتدُّ منها أحدٌ عن الإسلام فَيسْتَحقَ القتل.

أفما تَرَى الإعْرَابَ كيف فرق بين هذين المعنيين.

وقد يفرقون بحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين.

فيقولون: رَجُلٌ لُعْنةٌ، إذا كان يَلعنه الناس. فإن كان هو الذي يلعن الناس، قالوا: رجلٌ لُعَنَةٌ فحركوا العين بالفتح.

و رجلٌ سُبَّةٌ إذا كان يسبه الناسُ، فإن كان هو يسبُّ الناسَ قالوا: رجلٌ سُبَبَةٌ.

وكذلك: هُزْأَةٌ، وهُزَأَةٌ وَ سُخْرَة، وَسُخَرَة و ضُحْكَة، وضُحَكَةَ وخُدْعَة، وخُدَعَة.

وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين، كتقارب ما بين المعنيين.

كقولهم للماء الملح الذي لا يشرب إلا عند الضرورة: شَرُوب، ولما كان دونه مما قد يتجوَّزُ به: شَرِيب.

وكقولهم لما ارفضَّ على الثوب من البول إذ كان مثلَ رؤوس الإبَر: نضْحٌ، ورشُّ الماء عليه يجزِئُ من الغسل، فإن زاد على ذلك قليلاً قيل له: نضْخٌ ولم يُجْزِئ فيه إلا الغَسْل.

وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع: قَبْصٌ وبالكف: قَبْضٌ وللأكل بأطراف الأسنان: قَضْمٌ وبالفم: خَضمٌ.

ولما ارتفع من الأرض: حَزْنٌ فإن زاد قليلاً قيل: حَزْمٌ.

وللذي يجد البرْدَ: خَصِرٌ فإن كان مع ذلك جوعٌ قيل: خَرِصٌ.

وللنار إذا طَفِئَت: هامِدة فإن سكَن اللَّهَبُ وبقي من جمرها شيءٌ قيل: خَامِدَةٌ.

وللقائم من الخيل: صائم فإن كان ذلك من حَفىً أو وَجَى، قيل: صائِن.

وللعطاء: شُكْدٌ فإن كان مُكافَأَةً قيل: شُكْمٌ.

وللخطأ من غير التعمد: غلط فإن كان في الحساب قيل: غلَتٌ.

وللضيق في العين: خَوصٌ فإن كان ذلك في مؤخرها قيل: حَوَصٌ.

وقد يكتنف الشيء معان فيشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشيء، كاشتقاقهم من البطن لِلخَمِيص: مُبَطَّن وللعظيم البطن إذا كان خِلْقةً: بَطِين فإذا كان من كثرة الأكل قيل مِبْطان وللمَنهوم: بَطِنٌ وللعليل البطن: مَبْطون.

ويقولون: وَجَدْتُ الضَّالةَ ووَجدْتُ في الغضب، ووَجدتُ في الحزن، ووجدتُ في الاستغناء. ثم يجعلون الاسم الضالة: وُجوداً ووِجداناً وفي الحزن وَجداً وفي الغضب مَوْجِدَةً وفي الاستغناء وُجْداً.

في أشياء كثيرة، ليس لاستقصاء ذكرها في كتابنا هذا، وجه.

وللعرب الشِّعرُ الذي أقامه الله تعالى لها مُقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مُستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيِّداً، ولأخبارها ديواناً لا يَرِثُ على الدَّهر، ولا يبيدُ على مَرِّ الزَّمان.

وحَرَسَهُ بالوَزْن، والقَوافي، وحُسن النَّظم، وجودة التَّخْبير ـ من التَّدْليس والتغْيير، فمن أراد أن يُحدث فيه شيئاً عَسُرَ ذلك عليه، ولم يخف له كما يخفى في الكلام المنثور.

وقد تجد الشاعر منهم ربما زال عن سننهم شيئاً، فيقولون له: سَاندت، وأقويت، وأكفأت، وأوْطَأْت.

وإنما خالف في السِّناد بين رِدفين، أو حرفين قبل ردفين، كقول عمرو بن كُلثوم[1]:

أَلا هُبِّي بَصحْنِكِ فاصْبَحِينا ... ولا تُبْقِي خُمورَ الأَنْدَرِينَا

وقال في بيت آخر[2]:

كأن مُتُونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ ... تُصَفِّقُها الرياحُ إذا جَرَيْنا

فالحاء من فأصبحينا (رِدْفٌ) وهي مكسورة، والراء من جرينا (رِدْفٌ) وهي مفتوحة.

---

(١) البيت من الوافر، وهو في ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦٤، وخزانة الأدب ٣/ ١٧٨، وشرح شواهد الشافية ص ٢٥١، وشرح شواهد المغني ١/ ١١٩، ولسان العرب (مدر)، (ندر)، (صحن).

(٢) البيت من الوافر، وهو في ديوان عمرو بن كلثوم ص ٨٥، وجمهرة أشعار العرب ١/ ٤٠٩، وشرح ديوان امرىء القيس ص ٣٣١، وشرح القصائد السبع ص ٤١٦، وشرح القصائد العشر ص ٣٥٧، وشرح المعلقات السبع ص ١٨٤، وشرح المعلقات العشر ص ٩٥، ولسان العرب (غرا)، وفيه: «غرينا» بدل «جرينا». والبيت بلا نسبة في تاج العروس (سند)، (غرا)، وكتاب العين ٧/ ٢٢٩.

وخالف في (الإقواء) بحرف نقصه من شطر البيت الأول، كقول الآخر(١):

جئت نَوارُ ولاتَ هَنَّا حَنَّت ... وبدا الذي كانت نَوارُ أَجَنَّتِ

لَمَّا رَأَتْ ماءَ السَّلا مَشْرُوباً ... والفَرْثَ يُعْصَرُ في الإناء أَرَنَّتِ

وكقول حُميد بن ثَوْر(٢):

إنــي كَـبِـرْتُ وإنَّ كُـلَّ كَبِيرِ ... مِـمَّا يُظَنُّ بِهِ يَمَلُّ وَيَفْتُرُ

وخالف في الإكفاء بأن رفع قافية وخفض أخرى.

وخالف في الإبطاء بأن أعاد قافيةً مرتين.

وقال ابن الرِّقَاع يذكر تنقيحه شعره(٣):

وقصيدةٍ قد بِتُّ أجمعُ بينَها ... حتى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسِنادَها

نظرَ المُثَقِّفِ في كُعوب قناته ... حتى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنَآدَها

وقال ذو الرُّمَّة(٤):

وشِعْرٍ قد أَرِقْتُ له غريبٍ ... أُجانِبُهُ المُسانِدَ والمُحالا

هذا قول أبي عبيدة.

---

(١) البيتان من الكامل، والبيت الأول لشبيب بن جعيل في الدرر ١/ ٢٤٤، ٢/ ١١٩، وشرح شواهد المغني ص ٩١٩، والمؤتلف والمختلف ص ٨٤، والمقاصد النحوية ١/ ٤١٨، ولحجل بن نضلة في الشعر والشعراء ص ١٠٢، ولهما معاً في خزانة الأدب ٤/ ١٩٥، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ١٣٠، وتذكرة النحاة ص ٧٣٤، والجنى الداني ص ٤٨٩، وجواهر الأدب ص ٢٤٩، وخزانة الأدب ٥/ ٤٦٣، وشرح الأشموني ١/ ٦٦، ١٢٦، ومغني اللبيب ص ٥٩٢، وهمع الهوامع ١/ ٧٨، ١٢٦.

والبيت الثاني لحجل بن نضلة في لسان العرب (سلا). ويروى صدر البيت في اللسان:

لما رأت ماء السَّلى مشروبها

(٢) البيت من الكامل، وهو في ديوان حميد بن ثور ص ٨٥، والشعر والشعراء ١/ ٤٣.

(٣) البيتان من الكامل، وهما لعدي بن الرقاع في ديوانه ص ٣٨، والشعر والشعراء ١/ ٢٤، والموشح ص ١٣، والطرائف الأدبية ص ٨٩، وخزانة الأدب ٤/ ٤٧٠، ومعجم الشعراء ص ٢٥٣، والأغاني ٨/ ١٧٧، وكتاب الحيوان ٣/ ٦٤، والبيان والتبيين ٣/ ٢٤٤، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٣٨٣.

(٤) البيت من الوافر، وهو في ديوان ذي الرمة ص ١٥٣٢، ولسان العرب (سند)، وجمهرة اللغة ص ١١٢٤.

وبعضهم يجعل الإقواء رفع قافية وجرّ أخرى.

وقول أبي عبيدة أجود عندي؛ لأن الإقواء من القوّة، والقوّة: طاقة من الحبل، يقال: ذهبت قوّة من الحبل، إذا ذهبت منه طاقة، وكذلك إذا ذهب جزء من البيت، وهو الذي يسمى المزاحف. فقد ذهبت منه قوة، كما ذهب قوة من الحبل، كما قال ذلك[1]:

لـمّـا رأت مـاء الـسـلا مـشـروبـاً

فقد ذهب منه شيء، فلو قال: (مشروبة) لكان مستوياً.

وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه. ففيها الاستعارة: والتمثيل، والقَلْب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكِناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبةَ الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص؛ مع أشياء كثيرة ستراها في أبواب المجاز إن شاء الله تعالى.

وبكل هذه المذاهب نزل القرآن؛ ولذلك لا يقدِر أحدٌ من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نُقل الإنجيلُ عن السّريانية إلى الحبشيّة والرُّومية، وتُرجمت التوراةُ والزبور، وسائر كُتب الله تعالى بالعربية؛ لأن العجم لم تتّسع في المجاز اتّساع العرب.

ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨] ـ لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤديةً عن المعنى الذي أودِعَته حتى تَبسط مجموعها، وتصل مقطوعها؛ وتُظهرَ مستورَها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هُدْنَةٌ وعهد، فخِفْت منهم خيانةً ونقضاً، فأَعْلِمْهُم أنك قد نقضت ما شرطت لهم؛ وآذِنْهم بالحرب؛ لتكون أنت وهم في العلم بالنَّقض على استواء.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف: ١١] إن أردت أن تنقله بلفظه، لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أَنَمْنَاهُمْ سنين عدداً،

---

(١) يروى البيت بتمامه:

لـمّـا رأت مـاءَ الـسّـلـى مـشـروبـهـا والـفَـرْثَ يـعـصـر فـي الإنـاءِ أرنّـتِ

والبيت من الكامل، وهو لحجل بن نضلة في لسان العرب (سلا).

لكُنت مُترجِماً للمعنى دون اللفظ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣] إن ترجمته بمثل لفظه اسْتَغْلَقَ، وإن قلت: لم يتغافلوا أدّيت المعنى بلفظ آخر.

وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولَغَوْا فيه وهجروا، واتبعوا ﴿مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] بأفهامٍ كَلِيلةٍ، وأبصارٍ عليلةٍ، ونظرٍ مَدْخُول، فحرّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سُبُله.

ثم قَضَوْا عليه بالتّناقُض، والاستحالة، واللَّحن، وفساد النَّظْم، والاختلاف.

وَأَدْلُوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضَّعيفَ الغُمْر، والحدَث الغِرّ، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدَحت بالشكوك في الصدور.

ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأوُّلهم ـ لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسولُ الله، ﷺ، يَحتجُّ عليه بالقرآن، ويجعلُهُ العلَم لنُبُوّته، والدليل على صدقه، ويتحداه في موطنٍ بعد موطن، على أن يأتي بسورةٍ من مثله. وهم الفصحاء والبلغاء، والخطباء والشعراء، والمخصوصون من بَيْنِ جميع الأنام بالألسنة الحِداد، واللُّدَد، في الخِصَام، مع اللُّب والنُّهى، وأصالة الرّأي. وقد وصفَهم الله بذلك في غير موضع من الكتاب، وكانوا مرّة يقولون: هو سحر، ومرة يقولون: هو قول الكهنة، ومرة: أساطير الأولين.

ولم يحك الله تعالى عنهم، ولا بلغنا في شيء من الروايات ـ أنهم جَدَبُوهُ من الجهة التي جَدَبَهُ منها الطاعنون.

فأحببت أن أنْضَحَ عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النَّيِّرة، والبراهين البيِّنة، وأكشف للناس ما يَلبِسون.

فألفت هذا الكتاب، جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما لم أعلم فيه مقالاً لإمام مُطّلِع ـ على لغات العرب؛ لأرِيَ به المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل.

ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير؛ إذ كنتُ لم أقتصر على وَحْي القوم حتى كَشَفْتُهُ، وعلى إيمائهم حتى أوضحته، وردتُ في الألفاظ ونقصتُ،

وقدمت وأخرت، وضربت لبعض ذلك الأمثالَ والأشكال، حتى يستوي في فهمه السامعون.

وأسأل الله التجاوزَ عن الزلة بحسن النية، فيما دَلَلتُ عليه، وأجريتُ إليه، والتوفيقَ للصواب، وحسن الثواب.

الحكاية عن الطاعنين

وكان مما بلغنا عنهم: أن يحتجُّون بقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وبقوله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقالوا: وجدنا الصحابة، رضي الله عنهم، ومن بعدهم، يختلفون في الحرف: فابن عباس يقرأ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] وغيره يقرأ: ﴿بَعْد أَمَةٍ﴾. و «عائشة» تقرأ: «إِذْ تَلِقُونَه» [النور: ١٥] وغيرها يقرأ: ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾. وأبو بكر الصديق يقرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾ والناس يقرؤون: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩].

وقرأ بعض القراء:

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكاً﴾ وقرأ الناسُ: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: ٣١]. وكان ابن مسعود يقرأ: «إِنْ كَانَتْ إِلاَّ زَقْيَةً وَاحِدَةً» [يس: ٢٩] ويقرأ «كالصوف المنفوش» [القارعة: ٥].

مع أشباه لهذه كثيرة، يخالف فيها مصحفُه المصاحفَ القديمة والحديثة. وكان يحذف من مصحفه أمَّ الكتاب ويمحو المَعُوْذَتَين ويقول: لم تزيدون في كتاب الله ما ليس فيه؟.

و (أُبَيٌّ) يقرأ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] مِنْ نَفْسِي فَكَيفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْها.

ويزيد في مصحفه افتتاح (دعاء القنوت) إلى قول الداعي: (إن عذابك بالكافرين مُلْحِق) ويَعُدُّهُ سورتين من القرآن.

و (القُرّاءُ) يختلفون: فهذا يرفع ما ينصبه ذاك، وذاك يخفض ما يرفعه هذا.

وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأيَّ شيء بعد هذا الاختلاف تُريدون؟ وأي باطل بعد الخطإ واللحن تبتغون؟.

وقد رَوَيْتُم من الطريق الذي ترتضون: روى أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن (عائشة) أنها قالت:

ثلاثة أحرف في كتاب الله هنّ خطأ من الكاتب: قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣].

وفي سورة المائدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

وفي سورة النساء: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] حدثناه إسحاق بن راهويه.

قالوا: ورويتم عن عثمان أنه نظر في المصحف فقال: أرى فيه لحناً وستقيمه العرب بألسنتها.

وقالوا: وهل التناقض إلا مثل قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمن: ٣٩] وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

ومثل قوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

ويقول في موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١]. ويقول: ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ومثل قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الطور: ٢٥، والصافات: ٢٧].

وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ومثل قوله: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [فصلت: ٩].

وقال بعد ذلك: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١١، ١٢] فدلت هذه الآية على أنه خلق الأرض قبل السماء.

وقال في موضع آخر: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات: ٢٧، ٢٨] ثم قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠].

فدلت هذه الآية على أنه خلق السماء قبل الأرض.

ومثل قوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية: ٦].

وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦].

والضريع: نبت، فهل يجوز أن يكون في النار نبات وشجر، والنار تأكلهما؟.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]، ثم قال على أثر ذلك: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤].

وقالوا: فأين قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، من قوله: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣].

وأين قوله: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَۚ﴾، من قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

وأين قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓۚ﴾، من قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١]، أو ليس هذا مما يستوي فيه الصبّار والشكور وغير الصبّار والشكور؟.

وما معنى قوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠]؟ ولم خص الكفار دون المؤمنين؟ أو ليس هذا مما يستوي فيه المؤمنون والكافرون، ولا ينقص إيمان المؤمنين إن أعجبهم؟.

وقالوا في قوله عز وجل: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ [هود: ١٠٧]: استثناؤه المشيئة من الخلود، يدل على الزوال، وإلا فلا معنى للاستثناء. ثم قال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، أي غير مقطوع.

وقالوا في قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]: كيف يستثنى موتاً كان في الدنيا من مُكْثِهم في الجنة؟ وهل يجوز أن يقال في الكلام: لا أعطيك اليوم درهماً إلا ما أعطيتك أمس؟.

وقالوا في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]: هل يجوز أن يقال: فلان يجعل لك حُبّاً، أي يحبك؟.

وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ [النبأ: ٩] والسُّبات هو: النوم، فكيف يجوز أن يجعل نومنا نوماً؟.

وفي قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦] وقوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذاريات: ٣٣]: كيف يكون زجاج من

فضة؟ وحجارة من طين؟.

وقالوا في قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [يونس: ٩٤، ٩٥]: هل كان النبي ﷺ، يشك فيما يأتيه به جبريل؟ وكيف يدعو الشاكين من هو على مثل سبيلهم؟ وكيف يرتاب فيما يأتيه به الروح الأمين، ويأتيه الثَّلَجُ واليقين بخبر أهل الكتاب عنه أنه حق، وهم يكذبون ويُحرِّفون ويقولون على الله ما لا يعلمون؟.

وقالوا في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]: أنتم تزعمون أنه لا شمس هناك ولا ليل، وهذا يدل على أوقات مختلفة، وشمس وَفَيْءٍ، ونهار وليل؛ لأن البُكْرَةَ تدل على أول النهار، والعَشِيَّ يدل على آخره، وما كان له أول وآخر فله انْصِرَام، وإذا انصرم عَاقَبَهُ الليل والنهار.

وقالوا في سورة الأنفال، حين ذكرها، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، ثم قال: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥]: و(كما) تأتي لتشبيه الشيء، ولم يتقدم من الكلام ما يُشَبَّه به إخراج الله إياه.

وقالوا في قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠] كيف يكون عليه البلاغ بعد الوفاة؟.

وقالوا: في قوله في الرعد: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، أين الشيء الذي جُعِلت له الجنة مثلاً؟ وهل يجوز أن يقال: «مَثَلُ الدار التي وعدتك سُكْنَاها، يطَّرِدُ فيها نهر، وتظلك فيها، شجرة». ويُمْسِكُ القائل؟.

قالوا: وقال في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [الحج: ٧٣] ولم يأت به.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]: كيف تبلغ القلب الحلوق، والقلوب إن زال عن موضعه شيئاً، مات صاحبه؟.

وقالوا في قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]: كيف

يُذاق اللباس؟ وإنما كان وجه الكلام: فألبسها الله لباس الجوع والخوف. أو غشّاها الله لباس الجوع والخوف. أو فأذاقها الله الجوع والخوف. ويحذف اللباس.

وقالوا في قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦﴾ [القلم: ١٦]: ما هذا من العقوبة؟ وفي أي الدّارين يَسِمُهُ: أفي الدنيا أم في الآخرة؟.

فإن كان في الدنيا، فإنه لم يبلغنا أن أحداً من المشركين، وُسِمَ على أنفه.

وإن كان في النار، فما أُعِدَّ للكافرين فيها من صنوف العذاب، أكثر من الوسم على الأنف.

وقالوا: ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن، مَنْ أراد لعباده الهدى والبيان؟.

وتعلقوا بكثير منه لَطُف معناه: لما فيه من المجازات بمضمر لغير مذكور، أو محذوف من الكلام متروك، أو مزيد فيه يوضح معناه حذف الزيادة، أو مقدّم يوضح معناه التأخير، أو مؤخر يوضح معناه التقديم، أو مستعار، أو مقلوب.

وتكلموا في الكناية، مثل قوله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، ومثل قوله: ﴿لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٨].

وفي تكرار الكلام في: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، وفي سورة الرحمٰن.

وفي تكرار الأنباء والقصص، من غير زيادة ولا إفادة.

وفي مخالفة معنى الكلام مخرجه.

وقد ذكرتُ الحُجَّةَ عليهم في جميع ما ذكروا، وغيره مما تركوا، وهو يشبه ما أنكروا؛ ليكون الكتاب جامعاً للفن الذي قصدت له.

وأفردتُ للغريب كتاباً؛ كي لا يطول هذا الكتاب؛ وليكون مقصوراً على معناه، خفيفاً على من قرأه إن شاء الله تعالى.

باب الرَّد عليهم في وُجُوه القِراءَاتِ

أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف، فإنا نحتج عليهم فيه بقول النبي، ﷺ: «نَزَلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ، فَاقْرَؤُوا كَيْفَ شِئْتُمْ»(١).

وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا: السبعة الأحرف: وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج.

وقال آخرون: هي سبع لغات في الكلمة.

وقال قوم: حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وخبر ما كان قبل، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال.

وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل.

ومن قال: فلان يقرأ بحرف أبي عمرو(٢) أو بحرف عاصم(٣) فإنه لا يريد شيئاً

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في المسند ٢/ ٣٠٠، ٤/ ٢٠٤، ٥/ ١٦، ٦/ ٤٣٣، ٤٦٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١١/ ٢٦، والربيع بن حبيب في مسنده ١/ ٨، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٥١٦، والألباني في السلسلة الصحيحة ١٥٢٢.
وأخرجه بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، النسائي في الافتتاح باب ٢٦، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٢، ٥/ ١١٤، ٣٩١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، وابن حجر في المطالب العالية ٣٤٨٩، والبخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٢٦٢، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٩، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٧، ٥/ ٣٤٦، والشجري في الأمالي ١/ ١١٢، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٨٥، ١٠/ ١٢٥، ١٣٠، ١٨٢، والهيثمي في موارد الظمآن ١٧٧٩، ١٧٨٠، ١٧٨١، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٣٨، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ١٧٢، ١٨٢، والسيوطي في جمع الجوامع ٤٥٣٤، ٤٥٤٣، ٤٥٤٤، ٤٥٤٥، ٤٥٤٦، ٤٥٤٧، ٤٥٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٠٨٣، ٣٠٨٥، ٣٠٨٦، ٣٠٩٣، ٣٠٩٤، ٣٠٩٥، ٣٠٩٦، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ٢١٣، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٤١، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٧٩، وابن عبد البر في التمهيد ٤/ ٢٧٨، ٨/ ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٢.

(٢) أبو عمرو: هو أبو عمرو بن العلاء، زبان بن العلاء بن عمار بن الريان المازني البصري، أكثر القراء السبعة شيوخاً، أخذ القراءة عن أنس بن مالك، وحميد بن قيس الأعرج، وسعيد بن جبير، =

مما ذكروا. وليس يوجد في كتاب الله حرف قُرِئَ على سبعة أوجه ـ يصح، فيما أعلم.

وإنما تأويل قوله، ﷺ: «**نزل القرآن على سبعة أحرف**»[1]: على سبعة أوجه من اللغات متفرِّقة في القرآن، يدلُّكَ على ذلك قول رسول الله، ﷺ: «**فاقرَؤُوا كيف شئتم**».

وقال عمر: سمعت هشام بن حكيم بن حِزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وقد كان النبي ﷺ أَقرَأَنيها، فأتيت به النبي ﷺ، فأخبرته فقال له: اقرأ، فقرأ تلك القراءة، فقال: هكذا أُنزِلَتْ. ثم قال لي: اقرأ، فقرأت، فقال: هكذا أُنزلت. ثم قال: «**إِنَّ هٰذا القُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ**».

فمن قرأه قِراءةَ عبد الله[2] فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قِرَاءة أُبيّ[3] فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة زيد[4] فقد قرأ بحرفه.

والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم، وعلى الكلمة الواحدة، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها، والخطبة كلها، والقصيدة بكمالها.

ألا ترى أنهم يقولون: قال الشاعر كذا في كلمته، يعنون في قصيدته. والله جل

= وشيبة بن نصاح، وأبي العالية، وعاصم بن أبي النجود، وعبد الله بن كثير المكي، وعطاء، ومجاهد، وابن محيصن، وغيرهم. وروى عنه كثير، منهم: عبد الله بن المبارك، ويحيى بن المبارك اليزيدي وغيرهما، ولد بمكة سنة ٦٨هـ، وتوفي سنة ١٥٤هـ. (شذرات الذهب ١/ ٢٣٧، غاية النهاية ١/ ٢٨٨).

(٣) عاصم: هو عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي، أبو بكر، أحد القراء السبعة، من التابعين. أخذ القراءة عرضاً عن زر بن حبيش، وأبي عبد الرحمٰن السلمي، وروى عنه شعبة بن عياش وحفص بن سليمان، وخلق لا يحصون، توفي سنة ١٢٧هـ. (غاية النهاية ١/ ٣٤٦).

(١) تقدم الحديث مع تخريجه قبل قليل.

(٢) عبد الله: هو عبد الله بن مسعود، الصحابي الكبير المتوفى بالمدينة سنة ٣٢هـ، وهو من أصحاب المصاحف الذين كانوا يحتفظون بنسخة خاصة بهم فيها بعض الاختلاف عن النسخة التي أثرها موحِّده الخليفة الثالث عثمان بن عفان وأمر بتعميمها وتوزيعها على الأمصار بعد إتلاف سواها. وأشهر أصحاب المصاحف: أبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري، والمقداد بن عمرو، وعلي بن أبي طالب (انظر الأعلام ٤/ ١٣٧، والفهرست ص ٣٩، ٤٠، ٤١).

(٣) أُبي: هو أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حَبراً من أحبار اليهود، توفي سنة ٢١هـ (الأعلام ١/ ٨٢).

(٤) زيد: هو زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة من كبار الصحابة، كان كاتب الوحي، هاجر مع النبي ﷺ وهو ابن إحدى عشر سنة، وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ، وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا سافر، توفي سنة ٤٥هـ (الأعلام ٣/ ٥٧).

وعز يقول: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٧٤]، وقال: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١، ١٧٣].

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الحج: ١١]، أراد سبحانه وتعالى: من الناس من يعبد الله على الخير يصيبه من تثمير المال، وعافية البدن، وإعطاء السُّؤل، فهو مطمئن ما دام ذلك له. وإن امتحنه الله تعالى باللَّأْوَاءِ في عيشه، والضّراء في بدنه وماله، كفر به.

فهذا عَبَدَ الله على وجه واحد، ومعنى متحد، ومذهب واحد، وهو معنى الحرف. ولو عبد الله على الشكر للنعمة، والصبر للمصيبة، والرِّضا بالقضاء - لم يكن عبَدَه على حرف.

وقد تَدَبَّرْتُ وُجُوهَ الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

أولها: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يُزيلُها عن صورتها في الكِتَاب ولا يُغَيِّرُ معناها نحو قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] وَأَطْهَرَ لَكُمْ ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧] وَهَلْ يُجَازَى إلاّ الكَفُورُ، ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧] وبِالْبَخَلِ، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] وَمَيْسُرَةٍ.

والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلُها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] وَرَبُّنَا بَاعَدَ بَين أسفارنا، و ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥] وَتَلِقُونه، ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] وبعد أَمَةٍ.

والوجه الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يُغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] وَنُنْشِرُها، ونحو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣] وَفُرِّغَ.

والوجه الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يُغيّر صورتها في الكتاب، ولا يُغيّر معناها، نحو قوله: «إِنْ كانَتْ إلاّ زَقْيَةً» و ﴿صَيْحَةً﴾ [يس: ٢٩] و «كالصُّوفِ المَنْفُوشِ» و ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: ٥].

والوجه الخامس أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله: «وَطَلْعٍ مَنْضُودٍ» في موضع ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الواقعة: ٢٩].

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير. نحو قوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، وفي موضع آخر: «وَجَاءتْ سَكْرَةُ الحَقِّ بِالمَوْتِ».

والوجه السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: «وَما عَمِلَتْ أيْدِيهِمْ»، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥]، ونحو قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦] و ﴿إِنَّ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾.

وقرأ بعض السلف: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣] أُنثى، و ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] مِنْ نَفْسِي فَكَيْفَ أُظْهِرُكُمْ عَلَيْها.

فأما زيادة دعاء القنوت في مصحف أُبيّ، ونقصان أُمّ الكتاب والمَعوِّذتين من مصحف عبد الله، فليس من هذه الوجوه، وسنُخبر بالسبب فيه، إن شاء الله.

وكل هذه الحروف كلام الله تعالى نزل به الروح الأمين على رسوله عليه السلام وذلك أنه كان يُعَارِضُه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن فيُحْدِثُ الله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء، ويُيسِّر على عباده ما يشاء. فكان من تيسيره: أن أمره بأن يُقرِئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم:

فالهذليّ يقرأ «عَتَّى حين» يريد ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٤]؛ لأنه هكذا يَلْفِظ بها ويستعملها.

والأسديّ يقرأ: تِعلمون وتِعلم و ﴿تِسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦] و ﴿أَلَمْ إِعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ [يس: ٦٠].

والتَّميميّ يهمز. والقُرَشيّ لا يهمز.

والآخَر يقرأ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ١١] ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [هود: ٤٤] بإشمام الضم مع الكسر، و ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [يوسف: ٦٥] بإشمام الكسر مع الضم و ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا﴾ [يوسف: ١١] بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يَطُوعُ به كل لسان.

ولو أن كل فريق من هؤلاء، أُمِرَ أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتيادُه طفلاً وناشئاً وكَهْلاً ـ لاشتد ذلك عليه، وعظمت المِحْنَةُ فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضةٍ للنفس طويلة، وتذليل للّسان، وقطع للعادة. فأراد الله، برحمته ولطفه، أن يجعل لهم مُتّسعاً في اللغات، ومُتَصرّفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدِّين حين أجاز لهم على لسان رسوله، ﷺ، أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحَجّهم، وطلاقهم وعتقهم، وسائر أمور دينهم.

فإن قال قائل: هذا جائز في الألفاظ المختلفة إذا كان المعنى واحداً، فهل يجوز أيضاً إذا اختلفت المعاني؟.

قيل له: الاختلاف نوعان: **اختلاف تَغَايُرٍ، واختلافِ تَضَادّ**. فاختلاف التّضاد لا يجوز، ولستَ وَاجِدَهُ بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ.

(**واختلاف التغاير جائز**)، وذلك مثل قوله: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي بعد حين، و ﴿بَعۡدَ أَمَةٍ﴾ أي بعد نِسْيَانٍ له، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان؛ لأنه ذكر أمر يوسف بعد حين وبعد نسيان له، فأنزل الله على لسان نبيه ﷺ، بالمعنيين جميعاً في غرضين.

وكقوله: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ [النور: ١٥] أي تَقْبَلونه وتقولُونَه، و (تَلِقُونه) من الوَلْقِ، وهو الكذب، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان؛ لأنهم قبلوه وقالوه، وهو كذب، فأنزل الله على نبيه بالمعنيين جميعاً في غرضين.

وكقوله: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] على طريق الدعاء والمسألة، و «رَبُّنَا بَاعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» على جهة الخبر، والمعنيان وإن اختلفا صحيحان؛ لأن أهل سبأ سألوا الله أن يُفَرِّقَهُمْ في البلاد فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ فلما فرقهم الله في البلاد أيادِيَ سبأ، وبَاعَدَ بين أسفارهم، قالوا: رَبُّنَا بَاعَدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَأَجَابَنَا إِلَى ما سألنا، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين في غرضين.

وكذلك قوله: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢] و ﴿لقد علمتُ ما أنزل هؤلاء﴾ لأن فرعون قال لموسى إن آياتك التي أتيتَ بها سحر. فقال موسى مرّة: لقد علمتُ ما هي سحر ولكنها بصائر، وقال مرّة: لقد علمتَ أنت أيضاً ما هي سحر، وما هي إلا بصائر. فأنزل الله المعنيين جميعاً.

وقوله: ﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ [يوسف: ٣١] وهو الطعام، و (أعتدت لهن مُتْكاً) وهو الأُتْرُجّ، ويقال: الزُّمَاوَرْد، فدلت هذه القراءة على معنى ذلك الطعام، وأنزل الله بالمعنيين جميعاً.

وكذلك ﴿نُنشِزُها﴾ و«نُنشِرُها» [البقرة: ٢٥٩]؛ لأن الإنشار: الإحياء، والإنشاز هو: التحريك للنقل، والحياة حركة، فلا فرق بينهما.

وكذلك: ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ: ٢٣] و (فُرِّغ)؛ لأن فُزِّع: خُفف عنها الفزع، وفرّغ: فُرِّغ عنها الفزع.

وكل ما في القرآن من تقديم أو تأخير، أو زيادة أو نقصان ـ فعلى مثل هذه السبيل.

فإن قال قائل: فهل يجوز لنا أن نقرأ بجميع هذه الوجوه؟.

قيل له: كل ما كان منها موافقاً لمُصْحَفِنَا غيرَ خارج من رسم كتابه ـ جاز لنا أن نقرأ به. وليس لنا ذلك فيما خالَفَه؛ لأن المتقدمين من الصحابة والتابعين، قرؤوا بلغاتهم، وجَرَوا على عادتهم، وخَلّوا أنفسهم وسَوْمَ طباعهم، فكان ذلك جائزاً لهم، ولقوم من القرّاء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل؛ فأما نحن معشر المتكلفين؛ فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العَرْض، وليس لنا أن نَعْدُوَه، كما كان لهم أن يُفَسِّروه، وليس لنا أن نفسِّره.

ولو جاز لنا أن نقرأه بخلاف ما ثبت في مصحفنا، لجاز أن نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، وهناك يقع ما كرِهَهُ لنا الأئمة المُوفَّقون، رحمةُ الله عليهم.

وأما نقصان مصحف عبد الله بحذفه (أمّ الكتاب) و (المُعَوِّذَتين)، وزيادة أُبَيّ بسورتي القنوت ـ فإنا لا نقول: إن عبد الله وأُبَيّاً أصابا وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكنّ (عبد الله) ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن (المعوذتين) كانتا كالعُوذَةِ والرُّقية وغيرها، وكان يرى رسول الله، ﷺ، يُعَوِّذُ بهما الحسن والحسين وغيرهما[1]، كما كان يُعَوِّذ بأعوذ بكلمات الله التّامة[2]، وغير ذلك، فظنَّ أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنِّهِ ومخالفَةِ الصحابة جميعاً كما أقام على التَّطْبيق.

وأقام غيرهُ على الفُتْيا بالمُتْعَة، والصَّرْفَ ورأى آخر أكلَ البَرَدِ وهو صائم.

ورأى آخر أكل السَّحُور بعد طلوع الفجر الثاني. في أشباهٍ لهذا كثيرة.

وإلى نحو هذا ذهب أُبَيّ في (دعاء القنوت)؛ لأنه رأى رسول الله، ﷺ، يدعو به

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ١٠، وأبو داود في السنة باب ٢٠، والترمذي في الطب باب ١٨، وابن ماجه في الطب باب ٣٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٧٠.

(٢) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ١٠، ومسلم في الذكر حديث ٥٤، ٥٥، وأبو داود في الطب باب ١٩، والترمذي في الدعوات باب ٤٠، ٩٠، ١١٢، وابن ماجه في الطب باب ٣٥، ٣٦، والدارمي في الاستئذان باب ٤٨، ومالك في الشعر حديث ١١، والاستئذان باب ٣٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٨١، ٢٩٠، ٣٧٥، ٣/ ٤١٩، ٤٤٨، ٤/ ٥٧، ٥/ ٤٣٠، ٦/ ٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠٩.

في الصلاة دعاءً دائماً، فظن أنه من القرآن، وأقام على ظنه، ومخالفة الصحابة.

وأما فاتحة الكتاب فإني أشك فيما رُوي عن عبد الله من تركه إثباتها في مصحفه، فإن كان هذا محفوظاً فليس يجوز لمسلم أن يَظُنَّ به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يُظَنُّ به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن، وأحد الستة الذين انتهى إليهم العلم، و (النبيُّ) ﷺ يقول: «مَنْ أَحَبَّ أن يقرأ القرآن غَضاً كما أُنزِل فليقرأه قراءة ابن أمِّ عَبْدٍ»(١).

وعمر يقول فيه: كُنَيْفٌ مُلِيءَ عِلْماً(٢).

وهو مع هذا مُتقدِّم الإسلام بَدْرِيّ لم يزل يسمع رسول الله، ﷺ يَؤُمُّ بها، وقال: «لا صلاة إلا بسورة الحمد»(٣) وهي السبع المثاني، وأم الكتاب، أي أعظمه، وأقدم ما نزل منه كما سميت مكة أم القرى لأنها أقدمها، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦].

ولكنه ذهب، فيما يَظُنُّ أهل النظر، إلى القرآن إنما كُتِب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لِقِصَرها ولأنها تُثَنَّى في كل صلاة وكل ركعة، ولأنه لا يجوز لأحدٍ من المسلمين ترك تعلُّمها وحفظها، كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه، إذ كانت لا صلاة إلا بها.

فلما أَمِنَ عليها العِلَّة التي من أجلها كُتِب المصحف، ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن.

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٣٨، وأحمد في المسند ١/ ٤٤٥، ٤/ ٢٧٩، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٧، ٣/ ٣١٨، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٥٢١، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٦٢، ٧٩، وأبو حنيفة في المسند ١٣٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٠٧٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٢٩٨، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٢٨١، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥/ ١٩٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣١٨.

(٣) روي الحديث بلفظ: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٤٧، ٤٨، وابن حجر في فتح الباري ٢/ ٢٥٢، وأبو عوانة في مسنده ٢/ ١٢٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ١٢٤، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤٣٧.
وروي الحديث بلفظ: «لا صلاة إلا بقراءة فاتحة الكتاب» أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٢٨، والدارقطني في سننه ١/ ٣٢١، والزيلعي في نصب الراية ٢٢١٤٧، ٢٢١٤٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٩٦٩٥، وابن حجر في فتح الباري ٢/ ٢٤٢، والعقيلي في الضعفاء ١/ ١٩٠.

ولو أن رجلاً كتب في المصحف سُوَراً وترك سُوَراً لم يكتبها، لم نر عليه في ذلك وَكْفاً[١] إن شاء الله تعالى.

باب ما ادُّعي على القرآن من اللحن

وأما ما تعلقوا به من حديث عائشة رضي الله عنها في غلط الكاتب، وحديث عثمان رضي الله عنه: أرى فيه لحناً ـ فقد تكلم النحويون في هذه الحروف، واعتلوا لكل حرف منها، واستشهدوا الشعر:

فقالوا: في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] وهي لغة بَلْحَرث بن كعب يقولون: مررت برجلان، وقبضت منه درهمان، وجلست بين يداه، وركبت علاه. وأنشدوا[٢]:

تَـزَوَّدَ مِـنَّـا بَـيْـنَ أُذْنَـاهُ ضَـرْبَـةً ... دَعَـتْـهُ إِلَـى هَـابِي الـتُّـرابِ عَـقِـيمِ

أي موضع كثير التراب لا ينبت.

وأنشدوا[٣]:

أَيَّ قَـلُـوصٍ راكِـبٍ تَـراهـا ... طَـارُوا عَـلاهُـنَّ فَـطِـرْ عَـلاهَـا

(١) الوكف: الإثم والعيب.

(٢) يروى صدر البيت بلفظ:

تـزوّد مـنـا بـيـن أذنـاه طـعـنـة

والبيت من الطويل، وهو لهوبر الحارثي في لسان العرب (صرع)، (شظى)، (هبا)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٠٧، وخزانة الأدب ٧/ ٤٥٣، والدرر ١/ ١١٦، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٤، وشرح شذور الذهب ص ٦١، وشرح المفصّل ٣/ ١٢٨، ١٣٣، والصاحبي في فقه اللغة ص ٤٩، وهمع الهوامع ١/ ٤٠.

(٣) يروى الشطر الأول من الرجز:

أي قـلـوص راكـب تـراهـا ... نـاجـيـةً ونـاجـيـاً أبـاهـا

والرجز بلا نسبة في تاج العروس (قلص)، (نجا)، ولسان العرب (علا)، (نجا)، ويروى أيضاً بلفظ:

أي قـلـوص راكـبٍ تـراهـا ... فـاشـدد بـمـثـني حَـقَـبٍ حقـواهـا

وهو بلا نسبة في لسان العرب (علا)، وتاج العروس (قلص)، ويروى الشطر الثاني بلفظ:

نـاديـةً ونـاديـاً أبـاهـا ... طـاروا عـلاهـنّ فـطـرْ عَـلاهـا

والرجز لرؤبة في ديوانه ص ١٦٨، وله أو لأبي النجم أو لبعض أهل اليمن في المقاصد النحوية ١/ ١٣٣، ولبعض أهل اليمن في خزانة الأدب ٧/ ١٣٣، ١١٥، وشرح شواهد المغني ١/ ١٢٨، وبلا نسبة في لسان العرب (طير)، (علا)، (نجا)، وخزانة الأدب ٤/ ١٠٥، والخصائص ٢/ ٢٦٩، وشرح شواهد الشافية ص ٣٥٥، وشرح المفصّل ٣/ ٣٤، ١٢٩، وتاج العروس (قلص).

على أن القراء قد اختلفوا في قراءة هذا الحذف: فقرأه أبو عمرو بن العلاء[(١)]، وعيسى بن عمر[(٢)]: «إنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ» وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة.

وكان عاصم الجحْدَريّ[(٣)] يكتب هذه الأحرف الثلاثة في مصحفه على مثالها في الإمام، فإذا قرأها، قرأ: «إنَّ هذَيْنِ لَساحِرانِ»، وقرأ ﴿المقيمون ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [الحج: ١٧].

وكان يقرأ أيضاً في سورة البقرة: ﴿والصابرون فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ويكتبها: ﴿الصَّابِرِينَ﴾.

وإنما فرَق بين القراءة والكتاب لقول عثمان رحمة الله: أرى فيه لحناً وستُقيمُه العرب بألسنتها فأقامه بلسانه، وترك الرسم على حاله.

وكان الحجاج[(٤)] وكّلَ عاصماً[(٥)] و نَاجيةَ بن رُمْح وعليّ بن أصْمع بِتَتَبُّع المصاحف، وأمرهم أن يقطعوا كل مصحف وجدوه مخالفاً لمصحف عثمان، ويعطوا صاحبه ستين درهماً.

خَبَّرني بذلك أبو حاتم[(٦)] عن الأصمعي[(٧)] قال: وفي ذلك يقول الشاعر:

---

(١) أبو عمرو بن العلاء: هو زبان بن العلاء بن عمار بن الريان المازني البصري، تقدمت ترجمته قبل قليل.

(٢) عيسى بن عمر: هو أبو عمرو عيسى بن عمر الثقفي النحوي البصري، مولى خالد بن الوليد، توفي سنة ١٤٩هـ، صنف «الإكمال في النحو»، «جامع في النحو». (كشف الظنون ٥/ ٨٠٥).

(٣) عاصم الجحدري: هو عاصم بن أبي الصباح، أبو المجشر الجحدري، البصري، المقرىء المفسر، قرأ على الحسن البصري، توفي سنة ١٢٨. (لسان الميزان ٣/ ٢٢٠).

(٤) الحجاج: هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن قيس الثقفي، ولاّه عبد الملك بن مروان العراق، وكان له في القتل وسفك الدماء غرائب لم يُسمع بمثلها، بنى مدينة واسط، وتوفي سنة ٩٥هـ. (انظر أخباره في مروج الذهب ٣/ ١٥١ـ ١٩١، والكامل في اللغة ١/ ١٥٨، ٢٢٤، ٢/ ٢٦٢، ٢٦٨، ٢٨٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٢٩ـ ٥٤، والأعلام ٢/ ١٦٨).

(٥) عاصم: هو عاصم الجحدري. تقدمت ترجمته.

(٦) أبو حاتم: هو أبو حاتم السجستاني البصري. سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي الإمام. توفي سنة ٢٥٠هـ. وقيل: سنة ٢٤٨هـ، له العديد من التصانيف، منها: «إعراب القرآن»، «كتاب الإدغام»، «كتاب الأضداد» في اللغة، «كتاب الفصاحة»، «كتاب القراءات»، «كتاب المذكر والمؤنث»، «كتاب المقصور والممدود»، «ما يلحن به العامة» وغيرها الكثير (كشف الظنون ٥/ ٤١١).

(٧) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب (بالتصغير) ابن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي =

وَإلا رُسُومَ الدَّارِ قَفْراً كأنَّها كتابُ مَحَاهُ الباهِلِيّ بن أصْمَعَا

وقرأ بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]اعتباراً بقراءة أُبَيّ لأنها في مصحفه: «إنْ ذَانِ إلا ساحران» وفي مصحف عبد الله: (وأَسَرُّوا النَّجْوَى أنْ هَـذَانِ سَاحِرَانِ) منصوبة بالألف يجعل ﴿أن هذان﴾ تبييناً للنجوى.

وقالوا في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة: ٦٩] رفع (الصابئين) لأنه رَدٌ على موضع ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وموضعه رفع، لأن (إنّ) مُبْتَدَأَةٌ وليست تُحْدِثُ في الكلام مَعْنىً كما تُحْدِثُ أخواتها. ألا ترى أنك تقول: زيد قائم، ثم تقول: إن زيداً قائم، ولا يكون بين الكلامين فرق في المعنى. وتقول: زيد قائم، ثم تقول: لعل زيداً قائم، فَتُحْدِثُ في الكلام معنى الشك. وتقول: زيد قائم، ثم تقول: ليت زيداً قائم، فَتُحْدِثُ في الكلام معنى التمني، ويدُلُّكَ على ذلك قولهم: إن عبد الله قائم وزيد، فترفع زيداً، كأنك قلت: عبد الله قائمٌ وزيدٌ، وتقول: لعل عبد الله قائمٌ وزيداً، فتنصب مع (لعلّ) وترفع مع (إن) لما أَحْدَثَتْهُ (لعلّ) من معنى الشك في الكلام، ولأنَّ (إنَّ) لم تُحْدِث شيئاً. وكان الكِسائي[(١)] يُجيز: أن عبد الله وزيدٌ قائمان، وإنّ عبد الله وزيدٌ قائم. و البصريون يُجيزونه، ويحكون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وينشدون[(٢)]:

= الباهلي، الإمام أبو سعيد البصري، الأديب اللغوي، ولد سنة ١٢٣هـ، وتوفي بالبصرة سنة ٢١٥هـ، له العديد من التصانيف منها: «أصول الكلام»، «الأضداد في اللغة»، «كتاب الأراجيز»، «كتاب الاشتقاق»، «كتاب الألفاظ»، «كتاب غريب الحديث والقرآن»، «كتاب غريب الحديث والكلام الوحشي»، «كتاب اللغات»، «كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه»، «كتاب معاني الشعر»، «كتاب المقصور والممدود»، «كتاب الهمزة وتحقيقها» وغيرها الكثير (كشف الظنون ٥/ ٦٢٣-٦٢٤).

(١) الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، مولى بني أسد، أبو الحسن المعروف بالكسائي، ثم البغدادي الكوفي، أحد أئمة النحو، توفي سنة ١٨٩هـ بالري، صنّف من الكتب: «اختلاف العدد»، «أشعار المعاياة وطرائقها»، «قصص الأنبياء»، «كتاب الحروف»، «كتاب العدد»، «كتاب القراءات»، «كتاب المصادر»، «كتاب النوادر الأصغر»، «كتاب النوادر الأكبر»، «كتاب النوادر الأوسط»، «كتاب الهاءات المكنى في القرآن»، «كتاب الهجاء»، «مختصر في النحو»، «معاني القرآن»، «مقطوع القرآن وموصوله». (كشف الظنون ٥/٦٦٨).

(٢) البيت من الطويل، وهو لضابىء بن الحارث البرجمي في الأصمعيات ص ١٨٤، والإنصاف ص ٩٤، وتخليص الشواهد ص ٣٨٥، وخزانة الأدب ٩/ ٣٢٦، ١٠/ ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٠، والدرر ٦/ ١٨٢، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٦٩، وشرح التصريح ١/ ٢٢٨، وشرح شواهد المغني ص ٨٦٧، وشرح المفصل ٨/ ٨٦، والشعر والشعراء ص ٣٥٨، والكتاب ١/ ٧٥، ولسان العرب =

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمَدِينَة رحْلُهُ ... فإنّي وَقَيَّارٌ بِها لَغَرِيبُ

وقالوا في نصب (المُقيمين) بأقاويل: قال بعضهم: أراد بما أُنزِلَ إليك وإلى المقيمين. وقال بعضهم: وما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين، وكان الكسائي يردُه إلى قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤] أي: ويؤمنون بالمقيمين، واعتبره بقوله في موضع آخر: ﴿يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي بالمؤمنين. وقال بعضهم: هو نصب على المدح. قال أبو عبيدة[١]: هو نصب على تطاوُل الكلام بالنَّسَق، وأنشد لِلخرنِق بنت هِفَّانَ[٢]:

لا يَبْعُدَنْ قَوْمِي الذين هُمُ ... سُمُّ العُداة وآفَةُ الجُزْرِ

النازلين بكلّ مُعْتَرَكٍ ... والطيِّبُون مَعَاقِدَ الأُزْرِ

ومما يشبه هذه الحروف ـ ولم يذكروه ـ قوله في سورة البقرة: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. والقُرَّاء جميعاً على نصب الصابرين إلا عاصماً الجحْدَري فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه، ويَنْصِبه إذا كتبه؛ لِلعِلَّة التي تقدم ذكرها.

واعتل أصحاب النحو للحرف، فقال بعضهم: هو نصبٌ على المدح، والعرب تَنْصِبُ على المدح والذم، كأنهم ينْوُون إفراد الممدوح بمدح مُجَدَّدٍ غير متبع لأوّل

= (قير)، ومعاهد التنصيص ١/ ١٨٦، والمقاصد النحوية ٢/ ٣١٨، ونوادر أبي زيد ص ٢٠، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/ ١٠٣، وأوضح المسالك ١/ ٣٥٨، ورصف المباني ص ٢٦٧، وسر صناعة الإعراب ص ٣٧٢، وشرح الأشموني ١/ ١٤٤، ومجالس ثعلب ص ٣١٦، ٥٩٨، وهمع الهوامع ٢/ ١٤٤.

(١) أبو عبيدة: هو الحافظ أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري المنشأ، بغدادي الدار والوفاة، الفقيه اللغوي الأخباري، ولد سنة ١١٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٣هـ، له العشرات من المصنفات، منها: «إعراب القرآن»، «مجاز القرآن»، «الجمع والتثنية»، «غريب الحديث»، «غريب القرآن»، «كتاب الأضداد» في اللغة، «كتاب الشعر والشعراء»، «كتاب اللغات»، «كتاب المجاز»، «معاني القرآن»، وغيرها الكثير (كشف الظنون ٦/ ٤٦٦ـ ٤٦٧).

(٢) البيتان من الكامل، وهما في ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان ص ٤٣، والأشباه والنظائر ٦/ ٢٣١، وأمالي المرتضى ١/ ٢٠٥، والإنصاف ٢/ ٤٦٨، وأوضح المسالك ٣/ ٣١٤، والحماسة البصرية ١/ ٢٢٧، وخزانة الأدب ٥/ ٤١، ٤٢، ٤٤، والدرر ٦/ ١٤، وسمط اللآلي ص ٥٤٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٦، وشرح التصريح ٢/ ١١٦، والكتاب ١/ ٢٠٢، ٢/ ٥٧، ٥٨، ٦٤، ولسان العرب (نضر)، والمحتسب ٢/ ١٩٨، والمقاصد النحوية ٣/ ٦٠٢، ٤/ ٧٢، وأساس البلاغة (أزر)، والبيتان بلا نسبة في رصف المباني ص ٤١٦، وشرح الأشموني ٢/ ٣٩٩.

الكلام، كذلك قال الفرّاء[١].

وقال بعضهم: أراد: وآتى المالَ على حبه ذَوي القُرْبَى واليتَامَى والمساكين وابن السَّبيل والسائلين والصابرين في البأْسَاء والضَّرَّاء.

وهذا وجه حسن؛ لأنَّ البأساء: الفقر، ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨].

والضَّرَّاء: البلاء في البدن، من الزَّمَانَةِ والعِلَّة. فكأنه قال: وآتى المال على حُبّه السائلين الطَّوّافين، والصابرين على الفقر والضرّ الذين لا يسألون ولا يَشْكُون، وجعل المُوفين وسَطاً بين المُعْطِين نَسَقاً على من آمن بالله.

ومن ذلك قوله في سورة الأنبياء: ﴿وَكَذَٰلِكَ نجي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] كُتِبَتْ في المصاحف بنون واحدة، وقرأها القُرّاء جميعاً نُنْجِي بنونين إلا عاصم بن أبي النّجود[٢] فإنه كان يقرؤُها بنون واحدة، ويخالف القُرّاء جميعاً، ويرسل الياء فيها على مِثَال (فُعِلْ).

فأما مَنْ قَرأها بنونين، وخالف الكتاب، فإنه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم، فأسقطها كاتب المصحف لخفائها، ونيَّتهُ إثباتها.

واعتلّ بعض النحويين لعاصم فقالوا: أضْمَر المصدر، كأنه قال: نُجِّيَ النجاء المؤمنين، كما تقول: ضُرِبَ الضربُ زيداً، ثم تُضْمِرُ الضَّرْب، فتقول: ضُرِب زيداً.

وكان أبو عبيد[٣] يختار في هذا الحرف مذهب عاصم كراهية أن يُخالِفَ الكتاب،

(١) القراء: هو الحافظ أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الكوفي اللغوي، المغربي البغدادي، المعروف بالفراء، المتوفى بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ، له من الكتب: «آلة الكتابة»، «الجمع والتثنية»، «حدود الإعراب» في أصول العربية، «كتاب البهي»، «كتاب الفاخر»، «كتاب فعل وأفعل»، «كتاب اللغات»، «كتاب المذكر والمؤنث»، «كتاب المقصور والممدود»، «كتاب الوقف والابتداء»، «كتاب النوادر»، «مصادر القرآن»، «معاني القرآن». (كشف الظنون ٦/ ٥١٤).

(٢) عاصم بن أبي النجود، تقدمت ترجمته.

(٣) أبو عبيد: هو القاسم بن سلام الأزدي، أبو عبيد البغدادي الأديب الفقيه اللغوي، ولد سنة ١٥٤هـ، وتوفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. من تصانيفه: «أدب القاضي» على مذهب الشافعي، «الأمثال السائرة»، «عدد آي القرآن»، «غريب الحديث»، «غريب القرآن»، «غريب المصنف»، «فضائل القرآن»، «كتاب الأحداث»، «كتاب الأموال»، «كتاب الأيمان والنذور»، «كتاب الحجر والتفليس»، «كتاب الحيض»، «كتاب الشعراء»، «كتاب الطهارة»، «كتاب القراءات»، «كتاب المذكر والمؤنث»، «كتاب المقصور والممدود»، «كتاب النسب»، «معاني القرآن»، «ناسخ القرآن ومنسوخه». (كشف الظنون ٥/ ٨٢٥).

ويستشهد عليه حرفاً في سورة الجاثية، كان يقرأ به أبو جعفر المدني[1]، وهو قوله: ﴿لِيُجْزَىٰ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤] أي ليُجزَى الجزاءُ قوماً.

وأنشدني بعض النحويين[2]:

ولـو وَلَـدَتْ قُـفَـيْـرَةُ جَـرْوَ كَـلْـبٍ لَـسُـبَّ بـذلـك الْـجِـرْوِ الـكـلابـا

ومن ذلك: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠] أكثر القُرَّاء يقرؤون ﴿فاصَّدَّقَ أكُن﴾ بغير واو. واعتلّ بعض النحويين في ذلك بأنها محمولة على موضع فَأَصَّدَّقَ، لو لم يكن فيه الفاء، وموضعه جزم، وأنشد[3]:

فـأبْـلـونـي بِـلـيَّـتَـكُـمْ لَـعَـلِّـي أُصَـالـحـكـم وأسـتـدرِجْ نَـوَيَّـا

فجزم وأستدرجْ، وحملَه على موضع أُصالحكم لو لم يكن قبلها: لعلّي كأنه قال: فأبلوني بليتكم أُصالحْكم وأستدْرِجْ.

وكان أبو عمرو بن العلاء[4] يقرأ: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُونَ﴾ بالنصب، ويذهب إلى أن الكاتب أسقط الواو، كما تسقط حروف المد واللين في (كَلَمُونِ) وأشباه ذلك.

وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطاً من الكاتب، كما ذكرت عائشة رضي الله عنها.

فإن كانت على مذاهب النحويين فليس هُهنا لحن بحمد الله.

وإن كانت خطأً في الكتاب، فليس على رسوله، ﷺ، جناية الكاتب في الخط.

ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن، لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجّي:

---

(١) أبو جعفر المدني: هو يزيد بن القعقاع الإمام، عرض القرآن على مولاه أبي جعفر المخزومي المدني أحد العشرة، تابعي مشهور القدر، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة. توفي سنة ١٣٠هـ (غاية النهاية ٢/ ٣٨٢، الإعلام ٩/ ٢٤١، الإصابة ٢/ ٣٤٩).

(٢) البيت من الطويل، وهو لجرير في خزانة الأدب ١/ ٣٣٧، والدرر ٢/ ٢٩٢، وليس في ديوانه، وهو بلا نسبة في الخصائص ١/ ٣٩٧، وشرح المفصل ٧/ ٧٥، وهمع الهوامع ١/ ١٦٢، ويروى: «ولو ولدت قفيرة»، بدل: «ولو ولدت فقيرة».

(٣) البيت من الوافر، وهو لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه ص ٣٥٠، والخصائص ١/ ١٧٦، ٢/ ٣٤١، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠١، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٣٩، وللهذلي في مغني اللبيب ٢/ ٤٧٧، وبلا نسبة في لسان العرب (علل).

(٤) أبو عمرو بن العلاء: تقدمت ترجمته.

فقد كُتِب في الإمام: ﴿إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ بحذف ألف التثنية.

وكذلك ألف التثنية تحذف في هجاء هذا المصحف في كل مكان، مثل: ﴿قَالَ رَجُلَٰنِ﴾ و ﴿ءَاخَرَٰنِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ [المائدة: ١٠٧] وكتبَت كُتَّابُ المصحف: الصلوة والزكوة والحيوة، بالواو، واتبعناهم في هذه الحروف خاصة على التَّيَمُّن بهم، ونحن لا نكتب: (القطاة والقناة والفَلاة) إلا بالألف، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه.

وكتَبُوا (الربو) بالواو، وكتبوا: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المعارج: ٣٦] فمال بلام منفردة.

وكتبوا: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] بالياء ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] بالياء في الحرفين جميعاً، كأنهما مضافان، ولا ياء فيهما، إنما هي مكسورة.

وكتبوا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوٓا﴾ [القلم: ٤١] و ﴿فَقَالَ الضُّعَفَٰٓؤُا﴾ [إبراهيم: ٢١] بواو، ولا ألف قبلها.

وكتبوا: ﴿أَوْ أَنْ نَفعل في أموالنا ما نشاو﴾ [هود: ٨٧] بواو بعد الألف، وفي موضع آخر ﴿مَا نَشَآءُ﴾ [الإسراء: ١٨، والحج: ٥] بغير واو، ولا فرق بينهما.

وكتبوا: ﴿أَوْ لا أَذْبَحَنَّه أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢١] بزيادة ألف.

وكذلك ﴿وَلا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] بزيادة ألف بعد لام ألف.

وهذا أكثر في المصحف من أن نستقْصِيَه.

وكذلك لَحْنُ اللاحنين من القُرّاء المتأخرين، لا يُجعل حُجَّةً على الكِتَاب.

وقد كان الناس قديماً يَقْرَؤُون بلغاتهم كما أَعْلَمْتُكَ.

ثم خَلَف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طَبْعُ اللغة، ولا عِلْمُ التكلُّف، **فَهفَوا في كثير من الحروف وزَلُّوا وقرؤوا بالشاذ وأخلُّوا.**

منهم رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقَرَّبَهُ من القلوب بالدين.

لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً، ولا أشد اضطراباً منه؛

لأنه يستعمل في الحرف ما يَدَعُه في نظيره، ثم يُؤَصِّل أصلاً ويخالف إلى غيره لغير ما عِلّة. ويختار في كثير من الحروف ما لا مخرج له إلا على طلب الحيلة الضعيفة.

هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، فإفراطه في المد والهمزة

والإشباع، وإفحاشه في الإضجاع والإدغام، وحَمْلِه المتعلمين على المركّب الصعب، وتعسيره على الأمة ما يسره الله، وتضييقه ما فسحه.

ومن العجب أنه يُقْرِئُ الناس بهذه المذاهب، ويكره الصلاة بها! ففي أي موضع تستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها؟!

وكان ابن عُيَيْنَة(١) يرى لمن قرأ في صلاته بحرفه، أو ائتم بقراءته: أن يُعيد، ووافَقَه على ذلك كثير من خيار المسلمين منهم بشر بن الحارث(٢) وأحمد بن حنبل.

وقد شُغِف بقراءته عوامُّ الناس وسُوَقُهمُ، وليس ذلك إلا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلم إلى المقرئ فيها، فإذا رأوْه قد اختلَف في أُمّ الكتاب عشراً، وفي مائة آية شهراً، وفي السبع الطُّوَل حوْلاً، ورأوه عند قراءته مائل الشِّدقين، دَارَّ الوَرِيدين، راشح الجَبينين ـ توهَّموا أن ذلك لفضيلة في القراءة وحِذْق بها.

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ، ولا خِيَار السلف ولا التابعين؛ ولا القرّاء العالمين؛ بل كانت قراءتهم سهلة رَسْلَةً. وهكذا نختار لقراء القرآن في أَوْرَادِهم ومحاريبهم. فإما الغلام الرَّيِّضُ وَالمُسْتَأْنِف للتعلّم، فنختار له أن يُؤخَذ بالتحقيق عليه، من غير إفحاشٍ في مَدٍّ أو همزٍ أو إدغامٍ؛ لأن في ذلك تَذْليلاً للِّسان، وإطلاقاً من الحُبْسَةِ، وحلاً للعُقْدة.

وما أقلّ من سَلِمَ من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوَهَم:

فقد قرأ بعض المتقدمين: ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَآ أدرأْتُكُمْ بِهِۦ﴾ [يونس: ١٦] فهمز، وإنما هو من درَيْت بكذا وكذا.

وقرأ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بهِ الشَّيَاطُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠] توهم أنه جمع بالواو والنون.

وقرأ آخر: ﴿فَلَا تَشمِتُ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] بفتح التاء، وكسر الميم، ونصب الأعداء. وإنما هو من: أَشْمَتَ الله العدوَّ فهو يُشْمِتُهُ، ولا يقال: شَمِتَ الله العدوَّ.

---

(١) ابن عيينة: هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، الإمام العالم الزاهد الورع، ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ، وسكن مكة وقدم بغداد، وتوفي بمكة سنة ١٩٨هـ. (تاريخ بغداد ٩/ ١٧٤ـ ١٨٤، وفيات الأعيان ٢/ ٣٩١ـ ٣٩٣).

(٢) بشر بن الحارث: هو بشر الحافي، توفي سنة ٢٢٧هـ. (انظر تاريخ بغداد ٧/ ٦٨ـ ٨٠، ووفيات الأعيان ١/ ٢٤٨ـ ٢٥١).

وقال: الأعمش[١] قرأتُ عند إبراهيم[٢] وطلحة بن مُصَرِّف[٣]: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشعراء: ٢٥]، فقال: إبراهيم ما تزال تأتينا بحرف أشنع! إنما هو (لِمَنْ حوله) واستشهد طلحةَ فقال مثل قوله. قال الأعمش: فقلت لهما: لحنتما، لا أقاعدكما اليوم.

وقرأ يحيى بن وَثّاب[٤]: ﴿وَإِن تَلُوا أَوْ تُعْرِضُوا﴾ [النساء: ١٣٥] من الوِلاية. ولا وجه للولاية هٰهنا، إنما هي تَلْوُوا ـ بواوين ـ من لَيِّكَ في الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر. قال الله عز وجل: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨] واتبعه على هذه القراءة الأعمش وحمزة[٥].

وقرأ الأعمش: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] بكسر الياء، كأنه ظن أن الباء تخفض الحرف كله، واتّبعه على ذلك (حمزة).

وقرأ حمزة: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّءْ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] فجزم الحرف الأوّل، والجزم لا يدخل الأسماء، وأعرب الآخر وهو مثله.

وقرأ نافع[٦]: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونِ﴾ [الحجر: ٥٤] بكسر النون. ولو أريد بها الوجه الذي ذهب إليه، لكانت (فِبِمَ تُبَشِّرُونَنِي) بنونين؛ لأنها في موضع رفع.

(١) الأعمش: هو سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكوفي، ولد سنة ٦٠هـ، وتوفي سنة ١٤٨هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣١٥).

(٢) إبراهيم: هو إبراهيم بن يزيد، أبو عمران النخعي الكوفي، توفي سنة ٩٦هـ.

(٣) طلحة بن مصرف: هو طلحة بن عمرو بن كعب، أبو عبد الله الهمداني الكوفي، تابعي، توفي سنة ١١٢هـ. (غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٤٣).

(٤) يحيى بن وثاب: هو يحيى بن وثاب الأسدي، الكوفي، تابعي ثقة، توفي سنة ١٠٣هـ. (المعارف لابن قتيبة ص ٣٣٠).

(٥) حمزة: هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي الزيات، أحد القراء السبعة، وإليه صارت إمامة الإقراء بعد عاصم والأعمش. ولد سنة ٨٠هـ، وتوفي في خلافة المنصور سنة ١٥٦هـ. (غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٦١، شذرات الذهب ١/ ٢٤٠، معرفة القراء ١/ ٩٣، تقريب التهذيب ١/ ١٩٩).

(٦) نافع: هو نافع بن عبد الرحمٰن بن أبي نعيم، أبو رويم، ويقال: أبو نعيم، ويقال: أبو الحسن، وقيل: أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمٰن الليثي، مولاهم، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب. أحد القراء السبعة. (غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٣٣٠، شذرات الذهب ١/ ٢٧٠، تقريب التهذيب ٢/ ٢٩٥، الأعلام ٨/ ٣١٧).

وقرأ حمزة. ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنفال: ٥٩] بالياء. ولو أُريد بها الوجه الذي ذهب إليه لكانت (وَلا يحسَبَنّ الذين كفروا أنهم سبقوا، إنهم لا يُعجزون).

وهذا يَكْثُرُ. ولم يكن القصد في هذا الكتاب له، وستراه كله في كتابنا المؤلف في وجوه القراءات إن شاء الله تعالى.

باب التناقض والاختلاف

قال أبو محمد: عبد الله بن مسلم بن قتيبة:

فأما ما نَحَلُوه من التناقض في مثل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩]. وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

فالجواب في ذلك: أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالى: ﴿مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]، ففي مثل هذا اليوم يُسألون وفيه لا يسألون؛ لأنهم حين يُعْرَضون يوقَفُون على الذنوب ويُحاسبون، فإذا انتهت المسألة ووَجَبتْ الحجة: ﴿ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٧] وانقطع الكلام، وذهب الخصام، واسودَّت وجوه قوم، وابيضت وجوه آخرين، وعُرِف الفريقان بسيماهم، وتطايرت الصحف من الأيدي: فآخِذٌ ذات اليمين إلى الجنة، وآخِذٌ ذات الشمال إلى النار.

وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩] قال: هو موطِنٌ لا يُسْألون فيه.

ومثله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

وقوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [قٓ: ٢٨] وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]، وهو يقول في موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١] ويقول: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١، والنمل: ٦٤].

والجواب عن هذا كله نحو جوابنا الأول؛ لأنهم يختصمون ويدعي المظلومون على الظالمين، ففي تلك الحال يختصمون، فإذا وقع القِصاص وثبت الحكم قيل لهم: لا تختصموا ولا تنطقوا، ولا تعتذروا، فليس ذلك بمُغْنٍ عنكم ولا نافع لكم؛ فيَخْسَؤون.

روى عبد الرزّاق[1] عن مَعْمَر[2]، عن قتادة[3]: أن رجلاً جاء إلى عِكْرِمَة[4] فقال: أرأيتَ قول الله تعالى: ﴿هذا يومُ لا يَنْطِقُون﴾، وقوله: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ فقال: إنها مواقف، فأما موقف منها: فتكلموا واختصموا، ثم ختم الله على أفواههم فتكلّمَتْ أيديهم وأرجلهم، فحينئذ لا يتكلمون.

وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الطور: ٢٥]، وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، فإنه إذا نُفخ في الصور نفخةً واحدة، تقطّعت الأرحام، وبطلَت الأنساب، وشُغِلُوا بأنفسهم عن التّسآل و ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. فإذا نُفِخَ فيه أُخرى: قاموا ينظرون ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧] وقالوا: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]. وهو معنى قول ابن عباس.

وقوله: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ٩، ١١] فدلّت هذه الآيات على أنه خلق الأرض قبل السماء.

وقال في موضع آخر: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٢٧، ٣٠].

فدلّت هذه الآية على أنه خلق السماء قبل الأرض.

وليس على كتاب الله تحريف الجاهلين، وغلط المتأوّلين. وإنما كان يجد الطاعن

---

(١) عبد الرزاق: هو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم الصغاني، المحدث اليمني، من رواة البخاري، ولد سنة ١٢٠هـ، وتوفي سنة ٢١١هـ، من تصانيفه: «تزكية الأرواح عن مواقع الفلاح»، «تفسير القرآن»، «الجامع الكبير في الحديث»، «كتاب السنن في الفقه»، «كتاب المغازي». (كشف الظنون ٥/ ٥٦٦).

(٢) معمر: هو معمر بن المثنى، أبو عبيدة، تقدمت ترجمته.

(٣) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن عرنين (بفتح العين وتشديد الراء) بن عمرو بن ربيعة السدوسي، أبو الخطاب البصري التابعي، ولد سنة ٦٠هـ، وتوفي سنة ١١٧هـ. صنّف «تفسير القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٨٣٤).

(٤) عكرمة: هو الحافظ أبو عبد الله، عكرمة بن عبد الله، بربري الأصل، مولى ابن عباس، من كبار التابعين توفي سنة ١٠٥هـ، له «تفسير القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٦٦٦).

متعلَّقاً ومقالاً لو قال: والأرضَ بعد ذلك خلقها أو ابتدأها أو أنشأها، وإنما قال: ﴿دَحَاهَا﴾ فابتدأ الخلق للأرض على ما في الآي الأُوَل في يومين، ثم خلق السموات وكانت دُخاناً في يومين، ثم دَحَا بعد ذلك الأرض، أي بسطها ومدّها، وكانت رَبْوَةً مجتمعة، وأرْساها بالجبال، وأنبت فيها النبات في يومين، فتلك ستة أيام سواء للسائلين، وهو معنى قول ابن عباس.

وقال مجاهد[١]: بعد ذلك في هذا الموضع، بمعنى (مع ذلك)، و (مع) و (بعد) في كلام العرب سواء.

وقوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية: ٦]، وهو يقول في موضع آخر: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦]، فإن النار دَرَكات، والجنة درجات، وعلى قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والمثُوبات، فمِن أهل النار مَنْ طعامُهُ الزَّقُّومُ، ومنهم من طعامه غِسْلِين، ومنهم من شرابه الحميمُ، ومنهم من شرابه الصَّدِيدُ.

والضَّرِيعُ: نبتٌ يكون بالحجاز، يقال لِرَطْبه: الشِّبرِقُ، لا يُسْمِنُ وَلا يُشبع، قال امرؤ القيس[٢]:

فَأَتبعْتُهُمْ طَرْفي وقَد حَالَ دونَهم غَـوارِبُ رمْـلٍ ذي ألاءٍ وَشِبْـرِقِ

والعرب تصفه بذلك.

وَغِسْلِين: فِعْلِين من غَسَلتُ، كأنه الغُسالة، قال بعض المفسرين: هو ما يسيل من أجساد المعذَّبين.

وهذا نحو قوله: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] و ﴿سرابيلُهم مِنْ قَطْرٍ آنٍ﴾ قراءةُ عِكْرِمَةَ وَمَنْ تَابَعَهُ.

والقَطْرُ: النُّحاس. والآن: الذي قد بلغ منتهى حرّه. كأن قوماً يُسَرْبَلُون هذا،

---

(١) مجاهد: هو مجاهد بن جبير المخزومي، أبو الحجاج المقري المكي، مولى عبد الله بن السائب، وقيل: مولى السائب بن أبي السائب، فقيه محدِّث تابعي ثقة. توفي بمكة سنة ١٠٢هـ، وقيل: ١٠٣هـ، وقيل: ١٠٤هـ. صنف «تفسير القرآن». (أسماء التابعين ١/ ٣٦٣، كشف الظنون ٦/ ٤).

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوان امرىء القيس ص ١٦٩، ولسان العرب (شبرق)، والبيت بلا نسبة في رصف المباني ص ٥١.

وقوماً يَسَرْبلون هذا، وَيُلْبَسُونَ هذا تارةً، وهذا تارةً.

وأما قولهم: (كيف يكون في النار نبت وشجر، والنار تأكلهما؟) فإنه لم يُرِدْ فيما يرى أهل النظر ـ والله أعلم ـ أن الضريع بعينه ينبت في النار، ولا أنهم يأكلونه. والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس، وإذا وَقَعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هُزْلاً.

قال الهُذَليّ يذكر إبلاً وسوء مَرْعاها[1]:

وَحُبِسْنَ في هَزْمِ الضريعِ فَكُلُّها ... حَدْبَاءُ دامِيةُ اليدين حَرُودُ

فأراد أن هؤلاء قوم يقتاتُون ما لا يشبعهم، وضرَب الضريع لهم مثلاً. أو يُعذَّبون بالجوع كما يُعذبُ من قُوتُه الضريع.

وكان ما أراد الله بهذا معلوماً عندهم مفهوماً، ولو لم يكن كذلك لأنكروه كما أنكروا قوله: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصافات: ٦٤، ٦٥] وقالوا: كيف تكون في النار شجرة والنار تأكل الشجر؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، يعني بالرؤيا: ما رآه ليلة أُسْرِيَ به وأَخْبَرَ عنه، فارتد لذلك قوم، وزاد الله في بصائر قوم. وأراد بالشجرة الملعونة: شجرة الزَّقُّوم. فهذا وجه.

وقد يكون الضريع وشجرة الزَّقُّوم: نَبْتَيْن من النار، أو من جوهرٍ لا تأكله النار. وكذلك سلاسل النار وأغلالها، وأنْكَالُها وعقارِبُها وحيَّاتُها ـ لو كانت على ما نعلم، لم تبق على النار، وإنما دَلَّنا الله سبحانه على الغائب عنده بالحاضر عندنا، فالأسماء متفقة للدلالة، والمعاني مختلفة.

وما في الجنة من شجرها وثمرها وفُرُشِها، وجميع آلاتها ـ على مثل ذلك.

قال ابن عباس: نخل الجنة، جذوعها من زُمُرُّد أخضر، وكَرَبُها من ذهب أحمر، وسعَفُها كِسْوَةٌ لأهل الجنة، منها مُقَطَّعَاتُهم وحُلَلُهم وتمرها أمثال القِلال والدِّلاءِ، أشدُّ

---

(١) يروى عجز البيت بلفظ:

حدباء باديةُ الضلوعِ حَرُودُ

والبيت من الكامل، وهو لقيس بن عيزارة الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٥٩٨، ولسان العرب (ضرع)، (هزم) وأساس البلاغة (حرد)، وتاج العروس (ضرع)، (هزم)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٣٩٦، وديوان الأدب ١/ ٤١٤، والمخصص ١٠/ ٢٠١.

بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس له عَجَمٌ.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، [الأنفال: ٣٣] ثم قال على إثر ذلك: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤] فإن النَّضْر بن الحارث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] يُريد أهلِكنا ومحمداً ومَن معه عامة. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، [الأنفال: ٣٣] أي وفيهم قوم يستغفرون، يعني المسلمين.

يدلُّكَ على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]، ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ خاصة ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] يعني المسلمين، فعذّبهم الله بالسيف بعد خروج النبي ﷺ عنهم، وفي ذلك نزلت: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾، [المعارج: ١] أي دعا داعٍ بعذاب واقع، يعني النضر بن الحارث ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المعارج: ٢] يقول: هو للكافرين خاصة دون المؤمنين، وهو معنى قول ابن عباس.

وقال (مجاهد) في قوله: ﴿وهم يستغفرون﴾: عَلِمَ أن في أصلابهم من سَيَسْتَغْفِر.

وأما قولهم: أين قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ من قوله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]، فهل شيءٌ أشبَهُ بشيءٍ أليقُ به من أحد الكلامين بالآخر؟!.

والمعنى: أن الله تعالى قَصَرَ الرجال على أربع نسوة وحَرّم عليهم أن ينكحوا أكثر منهن؛ لأنه لو أباح لهم أن ينكحوا من الحرائر ما أباح من مِلْكِ اليمين لم يستطيعوا العدل عليهن بالتَّسْوية بينهن، فقال لنا: فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامى إذا كفلتموهم، فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن، فانكحوا اثنتين وثلاثاً وأربعاً، ولا تتجاوزوا ذلك فتعجزوا عن العدل.

ثم قال: فإن خفتم أيضاً ألا تعدلوا بين الثلاث والأربع، فانكحوا واحدةً، أو اقتصروا على ما ملكت أيمانكم من الإماء، ذلك أدنى ألا تَعُولُوا، أي لا تجوروا وتميلوا.

وقال ابن عباس: قُصِرَ الرجال على أربع من أجل اليتامى.

يقول: لما كان النساء مكفولات بمنزلة اليتامى، وكان العدل على اليتامى شديداً

على كافِلهم - قُصِرَ الرجال على ما بين الواحدة إلى الأربع من النساء، ولم يُطلَق لهم ما فوق ذلك؛ لئلا يميلوا.

وقولهم: أين قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ من قوله: ﴿ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧]؟.

وتأويل هذا: أن أهل الجاهلية كانوا يتغاوَرُون ويسفكون الدماء بغير حقها، ويأخذون الأموال بغير حِلِّها، ويُخِيفون السُّبُل، ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل غير قاتله، ويصيب غير الجاني عليه، ولا يبالي مَنْ كان بعد أن يراه كُفْأً لِوَلِيِّهِ ويُسَمِّيهِ: الثأر المُنِيم، وربما قتل أحدُهم حميمَهُ بحميمِه.

قال ابن مُضَرِّسٍ وقَتَلَ خَالَه بأخيه(١):

بَكَتْ جَزَعاً أُمِّي رُمَيْلَةُ أَنْ رَأَتْ ... دَماً من أخيها بالمُهَنَّدِ بَاقِيا

فقلتُ لها: لا تَجْزَعي إنَّ طارِقا ... خَلِيلي الذي كانَ الخليلَ المُصَافِيا

وما كنتُ لو أُعْطِيتُ أَلْفَيْ نَجِيبَةٍ ... وَأَوْلادَها لَغْواً وَسِتِّين راعِيا

لأَقْبَلَهَا مِنْ طارِقٍ دُونَ أَنْ أَرَى ... دماً مِنْ بَنِي حِصْنٍ عَلَى السيف جاريا

وَما كانَ في عوف قتيلٌ عَلِمتُهُ ... لِيُوفِيَني مِنْ طارِقٍ غيرُ خالِيا

وربما أسْرَفَ في القتل فقتل بالواحد ثلاثةً وأربعةً وأكثرَ.

وقال الشاعر(٢):

هُمْ قَتَلُوا مِنكُم بِظِنَّةِ واحِدٍ ... ثمانيةً ثم استَمَرُّوا فَأَرْتَعوا

يقول: إنهم اتهموكم بقتل رجل منهم، فقتلوا منكم ثمانية به.

فجعل الله الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرَم، والشهر الحرام، والهَدْيَ، والقلائِدَ - قِواماً للناس. أي أمْناً لهم؛ فكان الرجل إذا خاف على نفسه لجأ إلى الحَرَم فأَمِن. يقول الله جل وعز: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

(١) الأبيات من الطويل، وهي لتوبة بن المضرس العبسي في كتاب الوحشيات ص ٨٢.
(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في المعاني الكبير لابن قتيبة ص ١٠٢١.

وإذا دخل الشهر الحرام تَقَسَّمَتْهُمْ الرُّحَلُ، وتَوَزَّعَتْهُم النُّجَعُ، وانْبَسطوا في متاجرهم، وأمنوا على أموالهم وأنفسهم.

وإذا أهْدَى الرجل منهم هَدْياً، أو قَلَّدَ بعيره من لِحَاء شجر الحرَم ـ أمِنَ كيف تَصَرَّف وحيثُ سلك.

ولو تُرِكَ الناس على جاهليتهم وتَغَاوُرِهم في كل موضع وكل شهر ـ لفسدت الأرض، وفَنِيَ الناس، وتقطَّعت السُّبُل، وبطلت المتاجر. ففعل الله ذلك لعلمه بما فيه من صلاح شُؤونهم، وليعلموا كما عَلِمَ ما فيه من الخير لهم ـ أنه يعلم أيضاً ما في السموات وما في الأرض من مصالح العبادِ ومَرَافِقِهم، وأنه بكل شيء عليم.

وقولهم: وأين قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ من قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١].

ولم يُرِد الله في هذا الموضع معنى الصبر والشكر خاصةً، وإنما أراد: إن في ذلك لآياتٍ لكل مؤمن. والصبر والشكر أفضل ما في المؤمن من خِلال الخير، فَذَكَرَهُ الله عز وجل في هذا الموضع بأفضل صفاته. وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجر: ٧٧]. وفي موضع آخر: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩] و ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧] و ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩] يعني المؤمنين.

ومثله قوله تعالى في قصة سبإ: ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]. وهذا كما تقول: أن في ذلك لآيةً لكل مُوَحِّدٍ مُصَلٍّ، ولكلِّ فاصلٍ تقيّ. وإنما تُريد المسلمين.

وقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠] فإنما يريد بالكفار هُهنا: الزُّرَّاع، واحدُهم كافر. وإنما سُمِّيَ كافراً لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفَرَهُ، أي غطّاه، وكل شيء، غطَّيتَه فقد كفرتَه، ومنه قيل: تكَفَّرَ فلان في السِّلاح: إذا تَغَطَّى. ومنه قيل للَّيل كافر؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء. ومنه قول الشاعر[1]:

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِها مُتَوَاتِراً ... في لَيلةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُها

---

(١) يروى صدر البيت بلفظ:

يعلو طريقة متنها متواتر

والبيت من الكامل، وهو للبيد في ديوانه ص ٣٠٩، وجمهرة اللغة ص ٧٨٧، وكتاب الجيم ٣/ ١٦٨، وبلا نسبة في المخصص ١٢/ ٢٣٨.

أي غطاها. وهذا مثل قوله تعالى: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

وأما قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]، فإن للعرب في معنى (الأَبَدِ) ألفاظاً يستعملونها في كلامهم، يقولون: لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار، وما طَمَى البحر، أي ارتفع، وما أقام الجبل، وما دامت السموات والأرض، في أشباه لهذا كثيرة، يريدون لا أفعله أبداً؛ لأن هذه المعاني عندهم لا تتغير عن أحوالها أبداً، فخاطبهم الله بما يستعملونه فقال: ﴿**خَالِدِينَ فِيها ما دَامَت السَّمواتُ وَالأَرْضُ**﴾ أي مقدار دوَامهما، وذلك مدة العالم. وللسماء وللأرض وقتٌ يَتَغيَّران فيه عن هيئتهما، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ويقول: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

أراد أنهم خالدون فيها مدة العالم، سوى ما شاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم. ثم قال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي غيرَ مقطوعٍ.

و (إلاّ) في هذا الموضع بمعنى (سوى) ومثله من الكلام: لأَسْكُنَنَّ في هذه الدار حَوْلاً إلا ما شئت. تريد سِوى ما شئت أن أزيد على الحول.

هذا وجه. وفيه (قول آخر)، وهو: أن يُجْعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد، على ما تعرف العرب وتستعمل، وإن كانتا قد تتغيّران، وتُسْتَثنى المشيئة من دَوامهما؛ لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا لا في الجنة، فكأنه قال: خالدين في الجنة وخالدين في النار دَوَامَ السماء والأرض، إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك.

وفيه (وجه ثالث): وهو أن يكون الاستثناء من الخلود مُكْثَ أهل الذنوب من المسلمين في النار حتى تَلحقَهُم رحمة الله، وشفاعة رسوله، فيُخْرَجُوا منها إلى الجنة. فكأنه قال سبحانه: خالدين في النار ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة، وخالدين في الجنة ما دامت السموات والأرض، إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النار مدة من المدد، ثم يَصيرُونَ إلى الجنة.

وأما قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، فإن (إلاّ) في هذا الموضع أيضاً بمعنى (سِوَى). ومثله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] يريد سِوَى ما سلَفَ في الجاهلية قبل النهي.

وإنما استثنى الموتَة الأولى وهي في الدنيا؛ لأن الشُعداء حين يموتون يصيرون بما شاء الله من لُطفه وقدرته، إلى أسباب من أسباب الجنة، ويتفاضلون أيضاً في تلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله: فمنهم من يُلَقى بالرَّوحِ والرَّيْحَان، ومنهم من يُفتح له بابٌ إلى الجنة، ومنهم الشهداء أرواحهم في حواصل طيرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ في الجنة. أي تأكل، قال الشاعر[١]:

إن تَــدْنُ مِــنْ فَــنَــنِ الألاءةِ تَــعْــلُــقِ

وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين يطير مع الملائكة في الجنة.

والله يــقـــول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

أفما ترى أنهم عندنا مَوْتَى وهم في الجنة مُتَّصلون بأسبابها؟ فكيف لا يجوز أن يستثنى من مُكْثِهم فيها الموتَة الأولى؟.

وأمــا قــولــه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]، فإنه ليس على تأوُلهم، وإنما أراد أنه يجعل لهم في قلوب العباد محبَّةً. فأنت ترى المُخلِصَ المُجتهد مُحبَّباً إلى البَرِّ والفاجر، مَهيباً مذكوراً بالجميل. ونحوه قول الله سبحانه في قصة موسى ﷺ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ [طه: ٣٩]، ولم يُرِد في هذا الموضع أني أحببتك، وإن كان يحبه، وإنما أراد أنه حبَّبَهُ إلى القلوب، وقرّبه من النفوس، فكان ذلك سبباً لنَجاتِهِ من فرعون، حتى اسْتَحْيَاهُ في السَّنة التي كان يَقْتُل فيها الوِلْدانِ.

وأما قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ [النبأ: ٩]، فليس السُّبات هُهنا: النوم، فيكونُ معناه: وجعلنا نومكم نَوْماً. ولكن السُّبَات الراحة: أي جعلنا النوم راحة لأبدانكم. ومنه قيل: يوم السبت؛ لأن الخلق اجتمع في يوم الجمعة، وكان الفراغ منه يوم السبت، فقيل لبني اسرائيل: استريحوا في هذا اليوم، ولا تعملوا شيئاً، فسُمِّيَ يوم السبت، أي يوم الراحة. وأصل السبت: التَّمدُّد، ومن تَمَدَّدَ استراح. ومنه قيل: رَجُلٌ مَسْبُوتٌ، ويقال: سَبَتَتِ المرأةُ شَعْرَها: إذا نَقَضَتْهُ من العَقْصِ وَأَرْسَلَته. قال أبو وَجْزَة السَّعْدِي[٢]:

---

(١) صدر البيت: أو فــوق طــاويــةِ الــحــشــى رمــلــيّــةٍ
والبيت من الكامل، وهو للكميت في تاج العروس (علق)، وليس في ديوانه.
(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في أمالي المرتضى ٢/ ١٥، وتفسير البحر المحيط ٨/ ٤٠٩.

وَإِنْ سَبَّتَتْهُ مَالَ جَثْلاً كَأَنَّهُ سَدَى وَائِلاتٍ مِنْ نَوَاسِجِ خَثْعَمَا

ثم قد يسمى النوم سُباتاً؛ لأنه بالتمدُّد يكون. ومثل هذا كثير، وستراه في (باب المجاز) إن شاء الله.

وأما قوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦]، فقد أعلمتُكَ أن كل ما في الجنة من آلتها وسرُرِها وفُرُشِها وأكوابها ـ مُخالِفٌ لما في الدنيا من صنعة العباد، وإنما دلّنا الله بما أراناهُ من هذا الحاضر على ما عنده من الغائب. وقال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء. والأكواب: كِيزان لا عرى لها، وهي في الدنيا قد تكون من فضة، وتكون من قوارير.

فَأَعْلَمَنا أن هناك أكواباً لها بياض الفِضَّة وصفاء القوارير، وهذا على التشبيه، أراد قوارير كأنها من فضة، كما تقول: أتانا بشراب من نور، أي كأنه نور.

وقال قَتَادَةَ في قول الله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن: ٥٨] أي لهنّ صفاء الياقوت وبياض المَرْجَان.

وأما قوله: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]، فإن ابن عباس، رضي الله عنه، ذكر أنها آجُرّ. والآجر: حجارة الطين؛ لأنه في صلابة الحجارة.

وقَرَأْتُ في التَّوْراة بعد ذكر أنساب ولد نوح ﷺ: أنهم تفرّقوا في كل أرض، وكانت الأرضُ لِساناً واحداً، فلما ارتحلوا من المشرق وجدوا بقعة في الأرض اسمها (سُعِير) فحلّوا بها، ثم جعل الرجل منهم يقول لصاحبه: هَلُمّ فَلْنُلَبِّن لَبِناً فَنُحَرِّقَهُ بالنار فيكون اللّبِنُ حجارة، وتبني مِجْدلاً[١] رأسه في السماء.

وذكر بعض من رأى هذه الحجارة أنها حُمْرٌ مختّمةٌ. وقال آخرون: مُخَطَّطَةٌ، وذلك تَسْوِيمها، ولهذا ذهب قومٌ في تفسير (سجّيل) إلى سنْكِ وَكِل. أي حجر وطين.

وأمـا قـولـه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، فإن المخاطبة لرسول الله ﷺ، والمرادُ غيره من الشُّكّاك؛ لأن القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلّها، وهم قد يخاطبون الرجل بالشيء ويريدون غيره.

والجواب عن هذا مستقصى في (باب الكناية والتعريض) فكرهْتُ إعادتَه في هذا الموضع.

---

(١) المجدل: القصر المشرق، لوثاقة بنائه، وجمعه: مجادل.

وأما قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، فإن الناس يختلفون في مطاعمهم: فمنهم من يأكل الوَجْبَةَ، ومنهم من عادته الغَداء والعَشاء، ومنهم من يزيد عليهما، ومنهم من يأكل متى وجَد لغير وقْتٍ ولا عدد. فأَعْدَلُ هذه الأحوال للطّاعِمِ وَأَنفعُها، وأبعدُها من البَشَم[1] والطَّوَى[2] على العموم ـ الغَداء والعَشاء. والعرب تكره الوجبة، وتستحبُّ العَشاء، وتقول: تَرْكُ العَشاء مَهْرَمَة، وترك العشاء يذهب بلحم الكاذَة[3].

وقد بيّنتُ معناهم في هذا القول في كتاب (غريب الحديث).

ونحن لا نعرف دهراً لا يَخْتَلِفُ له وقتٌ، ولا يُرَى فيه ظلامٌ ولا شمسٌ، فأراد الله جل وعز أن يُعرِّفنا من حيث نفْهم ونعلَم، أحوال أهل الجنة في مأكلهم، واعتدال أوقات مطاعمهم، فضرب لنا البُكْرَةَ وَالعَشِيَّ مَثَلاً، إذ كانا يدلاّن على العشاء والغداء.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن قَتَادَة، أنه قال: كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداء والعشاء أعجبه ذلك. فأخبرهم الله تبارك وتعالى أن لهم في الجنة هذه الحال التي تعجبهم في الدنيا.

وأما قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦]، فإنه لم يُرِد أن ذلك يكون في الآخرة، وإنما أراد أنهم يُعرَضون عليها بعد مماتهم في القبور.

وهذا شاهدٌ من كتاب الله لعذاب القبر، يدلُّك على ذلك قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾، [غافر: ٤٦] فهم في البَرْزَخِ يُعرضون على النار غُدُوّاً وَعَشِيّاً، وفي القيامة يُدْخَلُونَ أشد العذاب.

وأما قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥]، ولم يأت بالشيء الذي جعل له الجنة مَثَلاً ـ فإن أصل المَثَل ما ذهبوا إليه من معنى المِثْل، تقول: هذا مِثْلُ الشيء وَمَثَلُه، كما تقول: هذا شِبْهُ الشيء وشَبَهُه.

ثم قد يصير المِثْلُ بمعنى الشيء وصِفَته، وكذلك المِثَالُ والتِمْثالُ، يقال للمرأة الرّائِقَة: كأنها مثال، وكأنها تِمْثَالٌ، أي صورة، كما يقال: كأنها دُمْيَةٌ، أي صورة، وإنما هي مَثَل، وقد مَثَّلْتُ لك كذا، أي صوَّرْتُه ووصفته.

فأراد الله بقوله: ﴿مَثَلُ الجنة﴾، أي صورتها وصفتها.

---

(١) البشم: التخمة.

(٢) الطوى: الجوع.

(٣) الكاذة: لحم مؤخر الفخذين.

وروي أن علياً رحمه الله كان يقرأ: مِثالُ الجنة أو أَمْثالُ الجنة، وهو بمنزلة مَثَلٍ، إلا أنه أوضح وأقرب في أفهام الناس إلى المعنى الذي تأوّلناه في مَثَل.

ونحوه قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩] أي ذلك وصفهم؛ لأنه لم يَضْرِب لهم مَثلاً في أوّل الكلام، فيقول: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ وإنما وَصَفَهم وَحلاّهم، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي وَصْفُهُمْ.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الحج: ٧٣]، ولم يأت بالمثل؛ لأن في الكلام معناه، كأنه قال: يأيها الناس، مثلكم مثل من عَبَد آلهةً اجتمعت لأن تَخْلُقَ ذُباباً لم تَقدر عليه، وسَلَبها الذباب شيئاً فلم تَسْتَنقِذْهُ منه.

ومِثْلُ هذا في القرآن وكلام العرب أشياء قد اقْتَصَصْناها في (أبواب المجاز).

وأما قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [الرعد: ٤٠]. فإنه لم يُرِد أن عليك البلاغ بعد الوفاة كما ظنّوا، وإنما أراد: إن أرَيْناكَ بعض الذي نعدهم في حياتك، أو توفيناك قبل أن نُرِيَك ذلك ـ فليس عليك إلا أن تُبلّغ، وعلينا أن نُجازي.

ومِثْل هذا: رجل بَعَثْته والياً وقلتَ له: سِرْ إلى بلد كذا فادْعُهم، فإن استجابوا لك فأحْسِن فيهم السيرة، وابسط المَعْدِلة، وإن عَصَوْكَ فَعِظْهم وحذِّرهم عقاب المعصية، فإن أقاموا على الغَوَايَةِ أَعْلَمْتَني ليأتيهم النَّكيرُ. فصار إليهم فَمَانَعُوه، ووعظَهم فخالفوه، وأقام حيناً مُسْتَبْطِئاً ما أوعدتهم به، فقلت: إن أريناك ما وعدناهم من العقوبة أو عزلناك قبل أن نُرِيَك ذلك ـ فليس لك أن تَسْتَبْطِئَنَا، إنما عليك التّبليغ والعِظة، وعلينا الجزاء والمكافأة.

وأما قوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢].

وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وقوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥].

وقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦].

فقد ذكرنا الجواب عن ذلك في (باب المجاز)، وكرِهْنا إعادتَه في هذا الموضع وستراه هناك كافياً، إن شاء الله.

بابُ المتشابه

وأما قولهم: ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن، مَنْ أراد بالقرآن لعباده الهدى والتبيان؟.

ـ فالجواب عنه: أن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء، وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللَّقِنُ(١)، وإظهار بعضها، وضرب الأمثال لما خَفي.

ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لَبَطَلَ التفاضُلُ بين الناس، وسقطت المِحْنة، وماتت الخواطر.

ومع الحاجة تقع الفِكْرَة والحيلة، ومع الكِفَاية يقع العجز والبلادَة.

وقالوا: عَيْبُ الغِنى أنه يورِث البَلَه، وفضيلة الفقر أنه يبعث الحيلة.

وقال: أَكْثَمُ بن صَيْفِيّ: ما يسُرُّني أني مَكفِيٌّ كُلَّ أمر الدنيا. قيل له: ولم؟ قال: أكره عادة العجز.

وكل باب من أبواب العلم: من الفقه والحساب والفرائض والنحو، فمنه ما يجلُّ، ومنه ما يَدِقُّ، ليرتقي المتعلم فيه رُتبةً بعد رتبة، حتى يبلُغَ منتهاه، ويُدرِكَ أقصاه؛ ولتكون للعالم فضيلةُ النظر، وحسنُ الاستخراج، ولتقع المثوبةُ من الله على حسن العناية.

ولو كان كل فن من العلوم شيئاً واحداً: لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خفيٌّ ولا جَلِيٌّ؛ لأن فضائل الأشياء تُعرف بأضدادها، فالخيرُ يُعرف بالشر، والنفعُ بالضرّ، والحلو بالمر، والقليلُ بالكثير، والصغيرُ بالكبير، والباطن بالظاهر.

وعلى هذا المثال كلامُ رسول الله ﷺ، وكلام صحابته والتابعين، وأشعار الشعراء، وكلام الخطباء ـ ليس منه شيء إلا وقد يأتي فيه المعنى اللطيف الذي يتَحَيّر فيه

(١) اللَّقِنُ: السريع الفهم.

العالِمُ المُتَقَدِّم، ويقرّ بالقصور عنه الثَّقَّاب المبرِّز.

قال رسول الله، ﷺ: «تجدُون الناس كإبلٍ مائةٍ ليس فيها راحلة»(١).

وقال: «لا تستضيئوا بنار المشركين»(٢).

وقال: «إنّ ممَّا يُنبت الرّبيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ»(٣).

وقال للضحَّاك بن سفيان حين بعثه إلى قومه: «إذا أتيتهم فاربِضْ في دارِهم ظَبْياً»(٤).

وقال: «الكاسِياتُ العاريات لا يَدْخُلْنَ الجنة»(٥).

وكتب في كتاب صلح: «وإنّ بيننا وبينكم عَيبَةً مَكْفوفَةً»(٦).

وقال: «أَجِدُ نَفَسَ رَبّكم مِن قِبَلِ اليمن»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة حديث ٢٣٢، وأحمد في المسند ٢/ ٨٨.

(٢) أخرجه النسائي في الزينة ٢/ ٢٩٠، وأحمد في المسند ٣/ ٩٩، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٧، والسيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٣٧٥٩، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠/ ٢٧٨، والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ٤٥٥، ٤/ ١٦.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٩١، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٩٨، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ٢٤٨، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٨.

(٤) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٨٤، وقال: أي أقم في دارهم آمناً لا تبرح، كأنك ظبي في كناسة قد أمن حيث لا يرى أنسياً. وقيل: المعنى أنه أمره أن يأتيهم كالمتوحّش، لأنه بين ظهراني الكفرة، فمتى رابه منهم ريب نفر عنهم شارداً كما ينفر الظبي.

(٥) روي الحديث بتمامه بلفظ: عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «نساءٌ كاسيات عاريات، مائلات مميلات لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة». أخرجه مسلم في اللباس حديث ١٢٥، والجنة حديث ٥٢، ومالك في اللباس حديث ٧، وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٦، ٤٤٠.

(٦) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ١٥٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣٢٥، ورواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٢٧، وقال: أي بينهم صَدْرٌ نقيٌّ من الخداع، مطويٌّ على الوفاء بالصلح، والمكفوفة: المشرجة المشدودة.
وقيل: أراد أن بينهم موادعة ومكافّة عن الحرب، تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتصافين الذين يثق بعضهم إلى بعض.

(٧) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٤١، وابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٥/ ٩٣، بلفظ: «إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن»، وفي رواية: «أجد نفس ربكم»، قيل: عنى به الأنصار، لأن الله نفّس بهم الكرب عن المؤمنين، وهما يمانون، لأنهم من الأزد، وهو مستعار من نَفَس الهواء الذي يردّه التنفس إلى الجوف فيبرد من حرارته ويعدّلها، أو من نفس الريح الذي يتنسمه

وقال أبو بكر الصديق: نحن حَفْنَةٌ مِنْ حَفَنَاتِ الله(١).

وقال عمر بن الخطاب للعريف الذي أتاه بالمنبوذ: عَسَى الغُوَيْرُ أَبْؤُساً(٢).

وقال عليّ بن أبي طالب: من يَطُل هَنُ أبيه يَنْتَطِقْ به(٣).

وحُدِّثْتُ عن الأصمعي أنه قال: أعياني أن أعلم معنى قول عمر: أيما رجلٍ بايع عن غير مُشَاوَرَةٍ، فلا يُؤَمَّرُ وَاحِدٌ منهما تَغِرَّةً أن يُقْتَلا(٤).

وقال المازِنِي(٥): سألت الأخفش(٦) عن حرفٍ رواه سيبويه(٧) عن الخليل(٨) في

= فيستروح إليه، أو من نفس الروضة، وهو طيب روائحها، فيتفرج به عنه. يقال: أنت في نَفَسٍ من أمرك، واعمل وأنت في نَفَسٍ من عمرك: أي في سعة وفسحة، قبل الهرم والمرض ونحوهما.

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١/ ٤٠٩، أراد: إنا على كثرتنا يوم القيامة قليل عند الله كالحفنة، وهي ملء الكف.

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات باب ١٦، ورواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١/ ٩٠. وأبؤس: جمع بأس. والغوير: ماء الكلب، وهو مثل، أول من تكلم به الزبّاء، ومعنى الحديث: عسى أن تكون جئت بأمر عليك فيه تهمة وشدّة.

(٣) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١/ ٨٥، بلفظ: «من يطل أير أبيه ينتطق به»، هذا مثل ضربه: أي من كثرت إخوته اشتد ظهره بهم وعزّ.

(٤) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ١/ ١٩١، بلفظ: «فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرةً أن يقتلا» أي خوفاً أن يقتلا.

(٥) المازني: هو أبو عثمان بكر بن محمد بن عدي بن حبيب بن عثمان المازني البصري النحوي، توفي سنة ٢٤٩هـ، من تصانيفه: «تفسير كتاب سيبويه» في النحو، «الديباج على خليل من كتاب أبي عبيدة»، «علل النحو»، «كتاب الألف واللام»، «كتاب التصريف»، «كتاب العروض»، «كتاب القوافي»، «كتاب ما يلحن فيه العامة». (كشف الظنون ٥/ ٢٣٤).

(٦) الأخفش: هو سعيد بن مسعدة المجاشعي، أبو الحسن البصري الفقيه النحوي، المعروف بالأخفش الأوسط، توفي سنة ٢٢١هـ، من تصانيفه: «كتاب الأربعة»، «كتاب الاشتقاق»، «كتاب الأصوات»، «كتاب الأوسط»، «كتاب العروض»، «كتاب القوافي»، «كتاب المسائل الصغير»، «كتاب المسائل الكبير»، «كتاب المقاييس»، «كتاب الوقف التام»، «معاني الشعر»، «معاني القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٣٨٨).

(٧) سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بسيبويه، مولى بني الحارث بن كعب، سكن البصرة. وتوفي بمدينة ساوة سنة ١٧٧هـ. له كتاب في النحو مشهور. (كشف الظنون ٥/ ٨٠٢).

(٨) الخليل: هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، أبو عبد الرحمٰن البصري العروضي النحوي اللغوي، ولد سنة ١٠٠هـ، وتوفي سنة ١٧٠هـ. من تصانيفه: «فائت العين في اللغة»، «كتاب الإيقاع»، «كتاب الشواهد»، «كتاب العروض»، «كتاب العين» في النحو واللغة، «كتاب النغم»، «كتاب النقط والشكل». (كشف الظنون ٥/ ٣٥٠).

(باب من الابتداء يُضمَرُ فيه ما بُنِيَ على الابتداء) وهو قوله: ما أَغْفَلَهُ عنك شيئاً، أي دَع الشكَّ: ما معناه؟.

قال الأخفش: أنا مِذ وُلِدْتُ أسأل عن هذا.

وقال المازنيّ: سألت الأصمعي[١] و أبا زيد[٢]، وأبا مالكٍ[٣] عنه، فقالوا: ما ندري ما هو.

والعرب تقول:

(حَوَرٌ في مَحَارَةٍ)[٤].

و (جَرْيُ المُذَكِّيَاتِ غِلابٌ)[٥].

و (عِيلَ ما هو عَائِلُهُ)[٦].

و (إنّهُ لَشَرَّابٌ بِأَنْقُعٍ)[٧].

و (عَاطٍ بغير أَنْوَاطٍ)[٨].

و (إلاّ دَهٍ فَلا دَهٍ)[٩].

و (النُّفَاضُ يُقَطِّرُ الجَلَبَ)[١٠].

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب. تقدمت ترجمته.

(٢) أبو زيد: هو سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد الأنصاري الحنفي، أبو زيد البصري اللغوي، توفي سنة ٢١٥هـ. له العديد من المصنفات، منها: «تخفيف الهمز الواحد»، «غريب الأسماء»، «قراءة أبي عمرو»، «كتاب الأمثال»، «كتاب تحقيق الهمز»، «كتاب الجمع والتنبيه»، «كتاب اللامات»، «كتاب اللغات»، «كتاب المصادر»، «كتاب المنطق في اللغة»، «لغات القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٣٨٧ـ ٣٨٨).

(٣) أبو مالك: لعله أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابي النسب والبصري المذهب، له «كتاب خلق الإنسان»، «كتاب الخيل». (كشف الظنون ٥/ ٨٠٢).

(٤) المثل في جمهرة الأمثال ص ٨٩، ومجمع الأمثال ١/ ٢٠٤، وانظر لسان العرب (حور).

(٥) المثل في جمهرة الأمثال ص ٧٨، ومجمع الأمثال ١/ ١٦٦، وانظر لسان العرب (ذكي).

(٦) المثل في جمهرة الأمثال ص ١٣٨، ومجمع الأمثال ١/ ٤٨٣، وانظر لسان العرب (عيل).

(٧) المثل في جمهرة الأمثال ص ١٢٢، ومجمع الأمثال ١/ ٣٧٤، وانظر لسان العرب (نقع).

(٨) المثل في جمهرة الأمثال ص ١٤١، ومجمع الأمثال ١/ ٤٨٤، وانظر لسان العرب (عطو).

(٩) المثل في جمهرة الأمثال ص ٢٣، ومجمع الأمثال ١/ ٣٦، وانظر لسان العرب (دهو).

(١٠) المثل في جمهرة الأمثال ص ١٢٦، ومجمع الأمثال ٢/ ٢٠٠، وانظر لسان العرب (نفض).

و (به دَاءُ ظَبْي)[١].

و (أَرَاكَ بَشَرٌ مَا أَحَارَ مِشْفَرٌ)[٢].

و (أَفْلَتَ فلانٌ بِجُرَيْعَةِ الذَّقَن)[٣].

و (غُبَارُ ذَيْلِ المَرْأَةِ الفاجرة يُورِث السَّلَّ)[٤].

و (هو كَبَارِحِ الأَرْوِيِّ)[٥].

و (عَبْدٌ وَخَلًى في يديه)[٦].

و (رَمَّدَتِ الضأنُ فَرَبِّق رَبِّق، ورمَّدت المِعْزَى فَرَنِّق رَنِّق)[٧].

و (أَفْوَاهُهَا مَجَاسُّها)[٨].

و (نِجَارُها نارُها)[٩].

في أشباهٍ لهذا كثيرةٍ، لولا العلماء المُنَقِّبون في البلاد، المُنقِّرون عن الخَبْء، الناظِرُون للمُخلوفِ، الطالبون أَعْقَابَ الأحاديث، ولسانَ الصِّدقِ في الباقين ـ لَطَالَ عَلينا أن نطَّلِع على خفيّاتها، أو نُظهرَ مستُورَها .

وإن آثرت أن تعرف معانيها التَمَسْتَها في كتابنا المؤلف في (تفسير غريب الحديث) فإنك واجدُها أو أكثرَها هناك، إن شاء الله تعالى.

وحدثني أبو حاتم[١٠]، عن الأصمعي أنه قال: سألت عيسى بن عمر[١١] عن قول أمية بن أبي الصَّلْت[١٢]:

---

(١) المثل في جمهرة الأمثال ص ٥٧، وانظر لسان العرب (ظبي).

(٢) المثل في جمهرة الأمثال ص ١٩، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٠٢، وانظر لسان العرب (شفر).

(٣) المثل في مجمع الأمثال ٢/١٦، وانظر لسان العرب (جرع).

(٤) المثل في لسان العرب (فجر).

(٥) المثل في مجمع الأمثال ١/ ٧١، وانظر لسان العرب (برح).

(٦) المثل في مجمع الأمثال ١/٤٦٦، وانظر لسان العرب (خلى).

(٧) المثل في مجمع الأمثال ١/ ٣٠٥، وانظر لسان العرب (رمد)، (ربق)، (رنق).

(٨) المثل في لسان العرب (جسس).

(٩) المثل في لسان العرب (نجر).

(١٠) أبو حاتم: هو أبو حاتم السجستاني، تقدمت ترجمته.

(١١) عيسى بن عمر: تقدمت ترجمته.

(١٢) يروى صدر البيت بلفظ:

=

والأَرْضُ نَـوَّخَـهـا الإلَـهُ طَـرُوقَـةً ... لـلـمـاء حتّـى كُـلُ زَنْـدٍ مُـسْـفَـدُ

فقال: لا أعرفه، وقد سألت عنه فلم أجِدْ مَنْ يعرِفه.

فهذا الأصمعي، وعيسى بن عمر، ومن سأله عيسى من أهل اللّغة، لم يعرفوا هذا البيت؛ وفسّرَه من دُونَهُم فقال: معناه: أن الله جعل الأرض كالأنثى للماء، وجعلَ الماءَ كالذكر للأرض، فإذا مُطِرَت أنْبَتَتْ.

ثم قال: وهكذا كل شيء حتى الزُّنُودُ، فإن على الزّندين ذَكَرٌ، والأسفل أنثى، والنار لهما كالولد.

و (مُسفَدٌ) بمعنى: مُنْكَحٍ. تقول: سَفِدَ الذكرُ الأنثى، والله أَسْفَدَهُ، كما تقول: نكح والله أنْكَحَه.

ومثل هذا قول ذي الرُّمة[1].

وَسِقْطٍ كعين الدِّيك عاوَرْتُ صُحْبَتِي ... أَبَاهـا وَهَـيَّـأْنـا لِـمَـوْقِـعِـهـا وَكْـرَا

مُـشَـهَّـرَةٍ لا تُـمْـكِـنُ الـفَـحْـلَ أُمُّـهـا ... إذا هي لـم تُـمْـسَـك بأطرافها قَسْرا

أراد بالسِّقطِ: النار، وأراد بالأب: الزَّنْد الأعلى، وبالأمّ: الزند الأسفل.

وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي أيضاً، عن عيسى بن عمر، أنه قال: لا أدري ما معنى قول أميّة بن أبي الصّلت الثّقفي، ولا رأيت أحداً يُحْسِنُه[2]:

عَـسَـلٌ مَـا وَمِـثْـلُـه عُـشَـرٌ مـا ... عـائـلٌ مَّـا وَعَـالَـت الـبَـيْـقُـورا

هكذا رواه عَسَلٌ ما وإنما هو: سَلعٌ ما.

= والأرض صـيّـرهـا الإلـه طـروقـة

والبيت من الكامل، وهو في ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٣، ولسان العرب (سفد)، وتاج العروس (سفد).

(١) البيتان من الطويل، وهما في ديوان ذي الرمة ص ١٤٢٦، والبيت الأول في لسان العرب (عور)، وتهذيب اللغة ٣/ ١٦٥، وتاج العروس (عور)، (سقط)، والبيت بلا نسبة في كتاب العين ٥/ ٧١، والمخصص ١٧/ ٢١.

(٢) يروى صدر البيت بلفظ:

سَـلَـعٌ مـا ومـثـلـه عُـشَـرٌ مـا

والبيت من الخفيف، وهو في ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٣٦، والأزهية ص ٨١، والأشباه والنظائر ٦/ ١٠١، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٠٥، ٢/ ٧٢٦، ولسان العرب (علا)، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٢٢، ولسان العرب (بقر)، (سلع)، (عول)، ومغني اللبيب ١/ ٣١٤.

ومعنى البيت: أنهم كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بالسَّلَعِ وَالعُشَرِ، وهما ضربانِ من الشجر، فيعقدونهما في أذناب البقر، ويضرمون فيهما النار.

وقوله: (وعالت البيقورا) يعني: سنةُ الجَدْب أثقلتِ البقر بما حُمِّلت من الشجر والنار فيها والعائل: الفقير.

والدليل على أنَّ الرّواية (سَلَعٌ ما) قولُ الآخر(١):

أجاعِلٌ أنتَ بَيْقُوراً مُسَلَّمَةً ذَرِيعَةً لَكَ بين الله والمطرِ

وحدثني أيضاً أبو حاتم، عن الأصمعي، أنه قال في بيت امرىء القيس(٢):

نَطْعَنُهُم سُلْكَى وَمَخْلُوجَةً كَرَّكَ لأمَيْنِ على نابِلِ

ذهب من يُحسن هذا الكلام.

وقال مثل ذلك في بيت الحارث بن حِلِّزَة(٣):

زَعَمُوا أنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوَالٍ لَنَا وَأنَّا الوَلاءُ

وفسَّره الأصمعيُّ فقال: أراد نطعَنُهم طعنةً سُلكَى، أي مُسْتَوِيَةً، وَمَخْلُوجَةً: عَادِلَةً ذات اليمين وذاتَ الشمال، كما تَرُدُّ سَهْمَيْنِ على صاحبِ سِهامٍ قد دفعهما إليك لتنظُرَ

(١) يروى صدر البيت بلفظ:

أجاعل أنت بيقوراً مسلعة

والبيت من البسيط، وهو للورل الطائي في لسان العرب (بقر)، (سلع)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٨٧، وتاج العروس (بقر)، (سلع)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٢/ ٩٩، ومجمل اللغة ١/ ٢٨٢، وديوان الأدب ٢/ ٦١.

(٢) يروى عجز البيت بلفظ:

لفتك لأمين على نابل

والبيت من السريع، وهو في ديوان امرىء القيس ص ٢٥٧، ولسان العرب (خلج)، (سلك)، (تبل)، (لأم)، وتهذيب اللغة ٧/ ٥٧، ١٠/ ٦٢، ١٥/ ٣٦١، ٤٠٠، وجمهرة اللغة ص ٤٠٦، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٠٦، ٥/ ٢٢٧، وتاج العروس (خلج)، (سلك)، (لأم)، وديوان الأدب ٢/ ٦، وكتاب الجيم ٣/ ٢١٩، وكتاب العين ٤/ ١٦٠، ٥/ ٣١١، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٤٤، والمخصص ٦/ ٥٧، ١٥/ ١٩٢.

(٣) البيت من الخفيف، وهو في ديوان الحارث بن حلزة ص ٢٣، ولسان العرب (عير)، ومقاييس اللغة ٤/ ١٩٢، وديوان الأدب ٣/ ٣٠٢، وتهذيب اللغة ٣/ ١٦٧، والحيوان ٥/ ١٧٥، والخصائص ٣/ ١٦٦، والزاهر ٢/ ١٤٤، وشرح القصائد السبع ص ٤٤٩، وشرح القصائد العشر ص ٣٧٩، وفصل المقال ص ٣٠، والمعاني الكبير ٢/ ٨٥٥، ومعجم البلدان (عير)، ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٨٤، وتاج العروس (عير)، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٧٧، والمخصص ١/ ٩٤، ١٥/ ١٣٤.

إليهما، وإذا أنت ألقيتهما إليه: لم يقعا جميعاً مُسْتَوِيَيْن على جهةٍ واحدةٍ، ولكن أحدهما يعوجُ، ويستوي الآخر. فَشَبَّهَ جهتي الطعنتين، بجهتي هذين السهمين.

وقال الزّيادِي[1]: كان زيد بن كَثْوَةَ العَنْبَرِيّ يقول: الناس يغلَطُون في لفظ هذا البيت ومعناه، وإنما هو: كَرُّ كلامين على نابل. أي: نَطْعن طعنتين متواليتين لا نَفْصِل بينهما، كما تقول للرامي: ارْمِ ارْمِ، فهذان كلامان لا فصل بينهما، شَبَّه بهما الطعنتين في موالاته بينهما. وكان يستحسن هذا المعنى.

وأما (العَيْرُ) فقد اختلفوا فيه: فكان بعضهم يجعله الوتد، سمَّاه عَيْراً لِنُتُوئِه مثل عَيْرِ نَصْلِ السّهم، وهو الناتىء وسطه. يريد: أن كل من ضرب خِبَاءً من أهل العَمَدِ، فضرب له وتداً ـ رَمَوْنا بذنبه.

وقال بعضهم: هو كُلَيْبُ وائلٍ، والعَيْرُ: سَيِّدُ القوم، سمِّي بذلك لأنّ العَيْرَ أكبر الوحش؛ ولذلك قال رسول الله، ﷺ، لأبي سُفيان: «**كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ العَيْرِ**»[2].

وقال آخر: العيرُ جَبَلٌ بالمدينة، ومنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ حَرَّم ما بين عَيرٍ إلى ثَوْرٍ[3]. يريد كلَّ من ضربَ إلى ذلك الموضع وبلَغَه.

وقال آخر: هو الحمارُ نفسُه، يريد أنهم يُضيفُون إلينا ذُنُوبَ كلّ من ساقَ حِمَاراً.

ومعنى هذا كله: أنهم يُلزموننا بذنوب الناس جميعاً، ويجعلوننا أولياءهم.

وقال الأصمعي: لا أدري ما معنى قول رؤبة[4]:

يَغْمِسْنَ مَنْ غَمَسْنَهُ في الأَهْيَغِ

ثم قال بعده: يُوهِمُ أنّ ثَمّ ماء.

وقال ابن الأعرابي[5]: يقال: فلانٌ مُنْغَمِسٌ في الأَهْيَغَيْنِ، يُرَادُ: الأكلُ والنّكاح.

---

(١) الزيادي: هو أبو حسان الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمٰن بن يزيد الزيادي القاضي الحنفي المحدث، المتوفى سنة ٢٧٢هـ، من تصانيفه: «ألقاب الشعراء»، «طبقات الشعراء»، «كتاب الآباء والأمهات»، «كتاب معاني عروة بن الزبير». قال ياقوت في طبقات الأدباء: مات الزيادي سنة ٢٤٢هـ. (كشف الظنون ٥/٢٦٨).

(٢) روي الحديث بلفظ: «كل الصيد في جوف الفرا». أخرجه الفتي في تذكرة الموضوعات ١٦٨، والعجلوني في كشف الخفا ٢/١٧٧.

(٣) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٣/٣٢٨.

(٤) الرجز في ديوان رؤبة ص ٩٧، ولسان العرب (هيغ)، وتهذيب اللغة ٦/ ٣٤٠، والرجز بلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/ ٢٥.

(٥) ابن الأعرابي: هو محمد بن زياد الكوفي البغدادي المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله اللغوي، =

ونحوٌ منه: ذهب منه الأَطْيَبان، يُرَادُ: الأكلُ والنكاح.

وقال أيضاً: لا أدري ما معنى قول رؤبة في صفة الثور[(١)]:

كــأنــه حَــامِــلُ جَــنْــبٍ أَخْــذَعَــا

وقال ابن الأعرابي: أراد: كأنه ضُرِب بالسيف ضربةً فَتَعَلَّقَت جنْبه وهو حاملها، وذلك لميله من بَغْيه على أحد جانبيه. والخَذَعُ: المَيَلُ.

ومثل هذا كثيرٌ، وفيما ذكرنا منه ما أَقْنَعَ ودلَّ على ما أردناه، إن شاء الله تعالى.

ولسنا ممن يزعُم: أنّ المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم.

وهذا غلط من مُتأوّليه على اللّغة والمعنى.

ولم ينزل الله شيئاً من القرآن إلا لينفع به عبَادَه، ويدلَّ به على معنى أرادَه.

فلو كان المتشابه لا يعلمه غيره لَلَزِمَنَا للطَّاعِنَ مقالٌ، وتعلّق علينا بِعِلّةٍ.

وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول، الله ﷺ، لم يكن يعرف المتشابه؟!.

وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] جَازَ أَنْ يعرفه الرّبّانيون من صحابته؛ فقد علّم عليّاً التفسير.

ودعا لابن عباس فقال: «اللهم علّمهُ التأويل، وفَقّهْه في الدين»[(٢)].

وروَى عبدُ الرّزّاق[(٣)]، عن إسرائيل[(٤)]، عن سِمَاكِ بن حرْب[(٥)]، عن عِكْرِمَة،

= المتوفى سنة ٢٣١، له من المصنفات: «تاريخ القبائل»، «كتاب الألفاظ»، «كتاب الأنواء»، «كتاب تفسير الأمثال»، «كتاب الخيل»، «كتاب الذباب»، «كتاب صفة الزرع»، «كتاب كرامات الأولياء»، «كتاب معاني الشعر»، «كتاب النبات»، «كتاب النوادر» وغيرها. (كشف الظنون ٦/ ١٢).

(١) يليه: من بغيه والرفق حتى أكنعا

والرجز في ديوان رؤبة ص ٩١، وتاج العروس (خذع)، وتهذيب اللغة ١/ ١٦١، والرجز بلا نسبة في لسان العرب (خذع)، وكتاب العين ١/ ٢٠٤، وهو للعجاج في لسان العرب (كنع)، وتاج العروس (كنع)، وتهذيب اللغة ١/ ٣١٩، وليس في ديوانه.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٣٦، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٩٣، وابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ٢٩٦.

(٣) عبد الرزاق: تقدمت ترجمته.

(٤) إسرائيل: هو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو يوسف الكوفي، محدث ثقة، ولد سنة ١٠٠هـ، وتوفي سنة ١٦٢هـ. (تهذيب التهذيب ١/ ٢٦٩).

(٥) سماك بن حرب: من كبار تابعي أهل الكوفة. توفي سنة ١٢٣هـ. (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٣-٢٣٤).

عن ابن عباس أنه قال: كلّ القرآن أعلَمُ إلا أربعاً: غِسْلِين، وحَنَاناً، والأوّاه، والرَّقِيم.

وكان هذا من قول ابن عباس في وقت، ثُمّ عَلِمَ ذلك بَعْدُ.

حدثني محمد بن عبد العزيز، عن موسى بن مسعود، عن شِبْل، عن ابن أبي نُجَيح، عن مُجَاهد قال: تعلمونه وتقولون: آمنا به.

ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلا أن يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] ـ لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين، بل على جهلة المسلمين؛ لأنهم جميعاً يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾.

وبعد:

فإنّا لم نَر المفسرين توقَّفوا عن شيء من القرآن فقالوا: هذا متشابه لا يعلمه إلا الله، بل أَمَرُّوهُ كلَّه على التفسير، حتى فسروا (الحروف المُقَطَّعة) في أوائل السُّوَر، مثل: آلر، وحم، وطه، وأشباه ذلك. وسترى ذلك في الحروف المشكلة، إن شاء الله.

فإن قال قائل: كيف يجوز في اللغة أن يعلمه الراسخون في العلم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، [آل عمران: ٧]وأنت إذا أشركت الراسخين في العلم انقطعوا عن (يقولون)، وليست هٰهنا وَاوُ نَسَقٍ تُوجِبُ للراسخين فِعْلَين. وهذا مذهب كثير من النحويين في هذه الآية، ومن جهته غلِطَ قومٌ من المتأوِّلين؟.

قلنا له: إن (يقولون) هٰهنا في معنى الحال، كأنه قال: الرّاسخون في العلم قائلين: آمنا به. ومثله في الكلام: لا يأتيك إلا عبدُ الله، وزيدٌ يقول: أنا مَسرُورٌ بزيارتك. يريد: لا يأتيك إلا عبد الله وزيد قائلا: أنا مسرور بزيارتك.

ومثله لابن مُفَرِّغ الحِمْيَرِيّ يرثي رجلاً في قصيدة أولها[1]:

أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أُمَامَهْ ... مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ بِرَامَهْ

والرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَهَا ... والبَرْقُ يَلْمَعُ في غَمَامَهْ

أراد: والبرقُ لامعاً في غمامةٍ تبكي شجْوَه أيضاً، ولو لم يكن البرق يَشْرَكُ الرِّيح في البكاء، لم يكن لذكره البرقَ ولمعَه معنى.

(١) البيتان من مجزوء الكامل، وهما في ديوان ابن مفرغ ص ٢٠٨، والبيت الثاني في لسان العرب (درك).

وأصل (التّشابُهِ): أن يُشْبِه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان. قال الله جل وعز في وصف ثمر الجنة: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، أي متفِقَ المناظر، مُختلِفَ الطُّعُوم. وقال: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨] أي يُشْبه بعضُها بعضاً في الكفر والقسْوة.

ومنه يقال: اشتبه عليَّ الأمرُ، إذا أشبه غيرَهُ فلم تَكَد تَفْرُقُ بينهما، وَشَبَّهْتَ عليَّ: إذَا لَبّسْتَ الحقَّ بالباطل، ومنه قيل لأصحابِ المخَارِيقِ أصحابُ الشُّبَه، لأنهم يُشَبِّهُونَ الباطل بالحق.

ثم قد يقال لكلّ ما غَمُضَ وَدَقَّ مُتَشَابِهٌ، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشَّبه بغيره، ألا ترَى أنه قد قيل للحروف المُقَطّعَةِ في أوائل السّورَ: متشابه، وليس الشك فيها، والوقوف عندها لِمُشَاكَلَتِهَا غيرَها، والتباسِها بها.

ومثل المتشابه (المُشكِلُ). وسمي مشكلاً: لأنه أشْكل، أي دخل في شَكْلِ غيره فأشْبهَهُ وشاكله.

ثم قد يقال لما غَمُضَ ـ وإن لم يكن غموضُه من هذه الجهة ـ: مُشكِلٌ.

وقد بيّنتُ ما غَمُضَ من معناه لالتباسه بغيره، واستِتارِ المعاني المختلفة تحتَ لفظه، وتفسير (المشكل) الذي ادُّعِيَ على القرآن فسادُ النّظم فيه.

وقدّمت قبل ذلك (أبواب المجاز): إذْ كان أكْثَرُ غَلَطِ المتأوِّلين من جهته.

وأرجو أن يكون في ذلك ما شفي مرضَ القلوب، وهدى من الحَيْرَة، إن شاء الله.

باب القَول في المجاز

وأما (المجاز) فمن جهته غلِطَ كثير من الناس في التأويل، وتشعَّبت بهم الطرق، واختلفت النِّحل: فالنصارى تذهب في قول المسيح عليه السلام في الإنجيل: (أدعوا أبي، وأذهب إلى أبي) وأشباه هذا، إلى أُبُوّة الولادة.

ولو كان المسيح قال هذا في نفسه خاصةً دون غيره، ما جاز لهم أن يتأوّلوه هذا التأويل في الله ـ تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ـ مع سعة المجاز، فكيف وهو يقوله في كثير من المواضع لغيره؟ كقوله حين فتح فَاهُ بالوحي: إذا تصدَّقتَ فلا تُعلِمْ شِمالَك بما فعلت يمينُك، فإنّ أباكَ الذي يرَى الخَفِيّات يجزيك به علانيةً، وإذا صلّيتم فقولوا: يا أبانا الذي في السماء لِيَتَقَدَّسَ اسمُك، وإذا صُمْتَ فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غيرُ أبيك.

وقد قرؤوا في (الزَّبُور) أن الله تبارك وتعالى قال لداود عليه السلام: سيولد لك غلام يُسمَّى لي ابناً وأَسَمّى له أباً.

وفي (التَّوراة) أنه قال ليعقوب عليه السلام: أنت بِكْرِي.

وتأويل هذا أنه في رحمته وبرّه وعطفه على عباده الصالحين، كالأب الرحيم لولده.

وكذلك قال المسيح للماء: (هذا أبي)، وللخبز: (هذا أمي)؛ لأنَّ قِوَامَ الأبْدانِ بهما، وبقاءَ الروح عليهما، فهما كالأبوين اللّذين منهما النَّشأَةُ، وَبِحَضَانتِهما النَّماءُ.

وكانت العرب تُسمِّي الأرض أُمّاً؛ لأنها مُبْتَدَأُ الخلق، وإليها مرجعهُم، ومنها أقواتُهم، وفيها كِفايتُهم.

وقال أُمَيّة بن أبي الصَّلْت[1]:

---

(١) البيت من الكامل، وهو في ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٣، والمخصص ١٣/ ١٨٠، والحيوان ٥/ ٤٣٧، وتفسير القرطبي ١/ ١١٢، والبيت بلا نسبة في المذكر والمؤنث للأنباري ص ١٨٧.

والأرضُ مَعْقِلُنا وكانت أُمَّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ

وقال يذكرها[(١)]:

مِنها خُلِقْنا وكانت أُمَّنا خُلِقَتْ وَنحنُ أبناؤُها لو أننا شُكُرُ

هِيَ القَرَارُ فَمَا نَبْغِي بِها بَدَلاً ما أرْحَم الأرْضَ إلا أنّنا كُفُرُ

وقال الله تعالى في الكافر: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٩] لمّا كانت الأمُّ كافِلَةَ الولد وغاذِيَتَه، ومَأْوَاه وَمُرَبِّيَته، وكانت النار للكافر كذلك ـ جعلها أُمّه.

وقال في أزواج النبي، ﷺ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، أي: كأمهاتهم في الحُرُمات.

وفي (التوراة) (إنّ الله بَرّكَ اليومَ السابع وَطهَّره؛ من أجل أنه استراح فيه من خَليقَتِهِ التي خَلق).

وأصل الاستراحة: أن تكون في مُعانَاة شيء يُنْصِبُك ويُتعبُك، فتستريحَ.

ثم يَنْتَقِلُ ذلك فتصير الاستراحة بمعنى: الفراغ. تقول في الكلام: استَرَحْنا من حاجتك وأَمَرْنا بها. تريد فَرَغْنا، والفراغُ، أيضاً يكون من الناس بعد شُغل.

ثم قد ينتقل ذلك فيصير في معنى القَصْد للشيء، تقول: لئن فرغتُ لك، أي قصَدْتُ قصْدَك.

وقال الله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١﴾ [الرحمن: ٣١]. والله تبارك وتعالى لا يشْغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ. وَمَجَازُهُ: سنقصد لكم بعد طول التَّرْك والإمْهال.

وقال قتادة: قد دَنا من الله فراغٌ لخَلْقِهِ. يريد: أن الساعة قد أزِفَت وجاء أشْرَاطُها.

وتأوّل قوم في قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: ٨] معنى (التناسخ). ولم يُرِد الله في هذا الخطاب إنساناً بعينه، وإنما خاطب به جميع الناس كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ [الانشقاق: ٦] كما يقول القائل: يا أيها الرجل، وكُلُّكم ذلك الرجل.

فأراد أنه صَوَّرَهم وعَدَّلهم، في أيِّ صورة شاء ركّبهم: من حُسنٍ وقُبحٍ، وبياضٍ

(١) البيتان من البسيط، وهما في ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٣٢.

وسواد، وأُدْمَةٍ وحُمْرَة.

ونحوه قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢].

وذهب قوم في قول الله وكلامِه: إلى أنه ليس قولاً ولا كلاماً على الحقيقة، وإنما هو إيجاد للمعاني. وصرفوه في كثير من القرآن إلى المجاز، كقول القائل: قال الحائط فمال، وَقُلْ برأسك إليَّ، يريد بذلك المَيل خاصة، والقولُ فضل.

وقال بعضهم في قوله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]: هو إلهام منه للملائكة، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أي ألهمها. وكقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١] وذهبوا في الوحي هٰهنا: إلى الإلهام.

وقالوا في قوله للسماء والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]: لم يقل الله ولم يقولا، وكيف يخاطب معدوماً؟ وإنما هذا عبارة: لكَوْناهما فكانتا.

قال الشاعر حكايةً عن ناقته(١):

تَقُولُ إذا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي: ... أَهَذَا دِينُهُ أَبَداً وَدِينِي

أَكُلُّ الدَّهْرِ حَلٌّ وَارْتِحَالٌ؟ ... أَمَا يُبْقِي عَلَيَّ وَلا يَقِينِي؟

وهي لم تقل شيئاً من هذا، ولكنه رآها في حال من الجَهْد والكَلالِ، فقضى عليها بأنها لو كانت ممن تقول لقالت مثل الذي ذكر.

وكقول الآخر(٢):

شَكَا إلَيَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى

---

(١) البيتان من الوافر، وهما للمثقب العبدي في ديوانه ص ١٩٥، ١٩٨، والبيت الأول في لسان العرب (درأ)، (دين)، (وضن)، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٥٩، وتاج العروس (درأ)، (دين)، (وضن)، وشرح اختيارات المفضل ص ١٢٦٣، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٦٨٨، ٩١٣، ١٢٦٦، ومجمل اللغة ٢/ ٢٦٦، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٧٣، والمخصص ١٧/ ١٥٥، وديوان الأدب ٣/ ٣٢٧.
ويروى عجز البيت الثاني بلفظ: أما تبقي عليّ ولا تقيني
وهو في لسان العرب (حلل)، وتهذيب اللغة ٣/ ٤٣٦، وشرح اختيارات المفضل ص ١٢٦٣.

(٢) يروى الرجز بتمامه:
يشكو إليّ جملي طول السُّرى ... صَبْرٌ جميلٌ فكلانا مبتلَى =

والجمل لم يَشْكُ، ولكنه خَبَّرَ عن كثرة أسفاره، وإتعابه جمله، وقضى على الجمل بأنه لو كان متكلماً لاشتكى ما به.

وكقول عنترة في فرسه[1]:

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ

لما كان الذي أصابه يُشتكي مثله ويُستَعْبَرُ منه، جعلَه مُشْتَكِياً مُسْتَعْبِراً، وليس هناك شكوى ولا عَبرة.

قالوا: ونحو هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠﴾ [قٓ: ٣٠] وليس يومئذ قول منه لجهنم، ولا قول من جهنم، وإنما هي عبارة عن سعتها.

وفي قوله: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧﴾ [المعارج: ١٧]يريد: أن مصير من أدبر وتولى إليها، فكأنها الداعية لهم؛ كما قال ذو الرُّمة[2]:

دَعَتْ مَيَّةَ الأَعْدَادُ وَاسْتَبْدَلَتْ بِهَا خَنَاطِيلَ آجَالٍ من العِيْنِ خُذَّلِ

والأعداد: المياه، لما انتقلت مَيَّةُ إليها ورغبت عن مائها، كانت كأنها دعتها.

وكقول الآخر[3]:

وَلَقَدْ هَبَطْتُ الوادِيَيْنِ وَوَادِياً يدعُو الأَنِيسَ بِهِ الغَضِيضُ الأَبْكَمُ

والغضيض الأبكم: الذُّباب، يريد: أنه يَطِنّ فيدُل بطنينه على النبات والماء، فكأنه دعاء منه.

وقال أبو النجم يذكر نبتاً[4]:

= والرجز للمليد بن حرملة في شرح أبيات سيبويه ١/٣١٧، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/١٠٧، وشرح الأشموني ١/١٠٦، والكتاب ١/٣٢١، ولسان العرب (شكا)، وتهذيب اللغة ١٠/٢٩٩، وتاج العروس (شكا).

(١) البيت من الكامل، وهو في ديوان عنترة ص ١٢٦ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ١٤٥٥، ولسان العرب (عدد)، (خنطل)، وتهذيب اللغة ١/٨٨، ومقاييس اللغة ٢/٢٥٢، وتاج العروس (عدد)، (خنطل)، وكتاب العين ١/٧٩، والبيت بلا نسبة في المخصص ٨/٤٢.

(٣) البيت من الكامل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (عدد)، وتاج العروس (عدد)، وكتاب الجيم ٣/١٧.

(٤) الرجز لأبي النجم في لسان العرب (عشب)، (أسد)، وتهذيب اللغة ١/٤٤١، ١٣/٤٣، وتاج =

مُسْتَأْسِداً ذِبَّانُهُ في غَيْطَلِ يَقُلْنَ للرَّائِدِ: أَعْشَبْتَ انْزِلِ

ولم يقل الذباب شيئاً من هذا، ولكنه دل على نفسه بطنينه، ودل مكانه على المرعى؛ لأنه لا يجتمع إلا في عشب، فكأنه قال للرائد: هذا عشب فأنزل.

وقال آخر يصف ذئباً[1]:

يَسْتَخْبِرُ الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوَقَّعِ

يريد: أنه يتشمم ثم يَتَّبع الرائحة بخَطْمٍ كأنه الفأس التي يُكسر بها الصخر، فجعل تشممه استخباراً.

قال أبو محمد:

وقد تبين لمن قد عرف اللغة، أن القول يقع فيه المجاز، فيقال: قال الحائط فمال، وقُلْ برأسك إليّ، أي أَمِلْهُ، وقالت الناقة، وقال البعير.

ولا يقال في مثل هذا المعنى: تكلم، ولا يُعْقَلُ الكلام إلا بالنطق بعينه، خلا موضع واحد وهو أن تتبين في شيء من الموات عبرة وموعظة فتقول خَبَّر وتكلم وذَكَّر؛ لأنه دلّك معنى فيه، فكأنه كلمك، وقال الشاعر[2]:

وَعَظَتْكَ أَجْدَاثٌ صُمُتْ وَنَعَتْكَ أَلْسِنَةٌ خُفُتْ

وتَكَلَّمَتْ عَنْ أَوْجُهٍ تَبْلَى وعن صُوَرٍ سُبُتْ

وأَرَتْكَ قَبْرَكَ في القُبُو رِ وأَنْتَ حَيٌّ لم تَمُتْ

وقال الكُمَيْت يمدح رجلاً[3]:

أَخْبَرتْ عن فَعَالِهِ الأرضُ واسْتَنْـ ـطَق مِنها اليَبابَ والمَعْمُورَا

العروس (عشب)، (أسد)، (مرع)، وكتاب العين ١/ ٢٦٢، ٧/ ٢٨٦، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٢٣، وأساس البلاغة (عشب)، (أسد)، والطرائق الأدبية ص ٥٨، ولرؤبة في كتاب العين ١/ ١٢٨، وليس في ديوانه.

(١) يروى الشطر الأول من الرجز:

يستمخر الريح إذا لم يسمع

والرجز بلا نسبة في لسان العرب (مخر)، (قرع)، وتاج العروس (مخر)، (قرع)، وديوان الأدب ١/ ٣١١.

(٢) الأبيات من المتقارب، وهي لأبي العتاهية في ديوانه ص ٥٢، وعيون الأخبار ٢/ ٣٠٦.

(٣) البيت من الخفيف، وهو في ديوان الكميت ١/ ٢٠٣، وأساس البلاغة (يبب)، والبيت بلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/ ١٥١.

أراد أنه حفر فيها الأنهار، وغرس الأشجار، وأثر الآثار، فلما تَبيَّنت للناظر صارت كأنها مُخْبِرَةً.

وقال عَوْفُ بن الخَرِع يذكر الدار(١):

وَقَفْتُ بِها ما تُبِينُ الكَلامَ لِسائِلِها القَولَ إلا سِرَارا

يقول: ليست تُبِينُ الكلام لمخاطبها، إلا أنَّ ظاهر ما يُرى دليل على الحال، فكأنه سِرارٌ من القول، ولهذا قالت الحكماء: كل صامت ناطق. يريدون أنَّ أثر الصنعة فيه يدل على مُحْدِثه ومدبّره.

ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥] أي أنزلنا عليهم برهاناً يستدلون به، فهو يدلهم.

ونبيّن له أيضاً أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا تُؤكَّد بالتكرار، فتقول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تقول: أراد الحائط أن يسقط إرادةً شديدة، وقالت الشجرة فمالت، ولا تقول: قالت الشجرة فمالت قولاً شديداً. والله تعالى يقول: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فوكّد بالمصدر معنى الكلام، ونفى عنه المجاز.

وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] فوكّد القول بالتكرار، ووكّد المعنى بإنما.

وأما قول من قال منهم: إن قوله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤، والأعراف: ١١، والإسراء: ٦١، والكهف: ٥٠، وطه: ١١٦] إلهام، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] أي إلهاماً ـ فما نُنْكِرُ أنّ القول قد يسمى وحياً، والإيماءَ وَحياً، والرمزَ بالشفتين والحاجبين وَحْياً، والإلهامَ وحياً. وكل شيء دَلَلْتَ به فقد أوحيتَ به، غير أنّ إلهام النَّحل تَسْخِيرُها لاتخاذ البيوت، وسلوك السُّبُل والأكلِ من كل الثمرات.

وقال العَجَّاجُ وذَكَرَ الأرضَ(٢):

وحَى لها القَرَارَ فاستَقَرَّتِ

أي: سخّرها لأن تستقر، فاستقرت:

---

(١) البيت من المتقارب، وهو لعوف بن عطية بن الخرع في المفضليات ص ٤١٣.

(٢) يليه: وشدّها بالراسيات الثُّبَّتِ

والرجز في ديوان العجاج ٢/٤٠٨، ٤٠٩، ولسان العرب (وحي)، وتهذيب اللغة ٥/٢٩٦، ٢٩٧، وجمهرة اللغة ص ٥٧٦، وكتاب العين ٣/٣٢٠، وتاج العروس (وحي)، والرجز بلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/٩٣، ومجمل اللغة ٤/٥١٢.

وأما قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١] فالوحي الأول: ما أراه الله تعالى الأنبياء في منامهم.

والكلام من وراء الحجاب: تكليمُه موسى.

والكلام بالرسالة: إرْسَالُهُ الرّوحَ الأمينَ بالرُّوح من أمره إلى من يشاء من عباده.

ولا يقال لمن ألهمه الله: كلّمهُ الله؛ لما أعلَمْتُك من الفرق بين (الكلام) (والقول).

ولا يجوز أن يكون قوله للملائكة وإبليس، وطُولُ مراجعتِه إياه في السّجود، والخروج من الجنة، والنَّظِرَةُ إلى يوم البعث ـ إلهاماً. هذا مالا يُعْقَل. وإن كان ذلك تسخيراً فكيف يُسخّرُ لشيء يَمْتَنِعُ منه؟.

وأما تأولهم في قوله جل وعزّ للسمّاء والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]: إنه عبارة عن تكوينه لهما. وقوله لجهنم: ﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] إنه إخبارٌ عن سَعَتِها ـ فما يُحوجُ إلى التّعَسُّف والتماس المخارج بالحيل الضعيفة؟ وما ينفع من وجود ذلك في الآية والآيتين والمعنى والمعنيين ـ وسائرُ ما جاء في كتاب الله عزّ وجلّ من هذا الجنس، وفي حديث رسول الله ﷺ ـ مُمْتَنِعٌ عن مثل هذه التأويلات؟.

وما في نطق جهنم ونطق السماء والأرض من العجب؟ والله تبارك وتعالى يُنْطِق الجلودَ، والأيديَ، والأرجل، ويُسَخّرُ الجِبالَ والطير، بالتّسبيح. فقال: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص: ١٩] وقال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠] أي سَبِّحْنَ معه. وقال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال في جهنم: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٨] أي تنقطع غيظاً عليهم كما تقول: فلان يكاد يَنْقَدُّ غيظاً عليك، أي ينشق.

وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢].

وروي في الحديث أنها تقول: (قَط قطْ)[1] أي حسبي.

---

(١) لفظ الحديث بتمامه: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع ربّ العزّة فيها قدمه، فتقول: قَطْ قَطْ، وعزتك وجلالك، ويزوي بعضها إلى =

وهذا سليمان عليه السلام يفهم منطق الطَّير وقول النَّملِ؛ والنمل من الحُكْلِ، والحُكْل مالا يُسمَعُ له صوت. قال رؤبة[١]:

لَوْ كُنتُ قد أُوتِيتُ عِلْمَ الحُكْلِ عِلْمَ سليمانَ كلامَ النَّمْلِ

وقال العُمَانيّ يمدحُ رجلا[٢]:

ويفهَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لو أنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخرَى لم يَفُتْهُ سِوَادُها

والسِّوَاد: السِّرَار، جعل قولها سِرَاراً؛ لأنها لا تُصوِّت.

وهذا رسول الله ﷺ، تُخْبِرُهُ الذِّرَاع المسْمُومَة[٣] ويخبِرُه البعير أنَّ أهله يُجِيعُونَه ويُدْئِبُونَه[٤].

= بعض». أخرجه البخاري في الأيمان ٨/ ١٦٨، ومسلم في الجنة حديث ٣٧، ٣٨، والترمذي حديث ٣٢٧٢، وأحمد في المسند ٣/ ١٣٤، ١٤١، ٢٣٠، ٢٣٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ١١٧١، ١١٧٣، ٣٩٤٧٩، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٦٩٥، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٧، وابن حجر في فتح الباري ٨/ ٥٩٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥/ ١٢٧.

(١) الرجز في ديوان رؤبة بن العجاج ص ١٣١، ولسان العرب (حكل)، (فطحل)، وتهذيب اللغة ٤/ ١٠١، وجمهرة اللغة ص ٥٦٢، ومجمل اللغة ٢/ ٩٤، وتاج العروس (حكل)، (فطحل)، والرجز بلا نسبة في المخصص ٢/ ١٢٢، وديوان الأدب ١/ ١٥٨، ومقاييس اللغة ٢/ ٩١.

(٢) البيت من الطويل، وهو للعثماني في أساس البلاغة (حكل)، وللعماني في البيان والتبيين ١/ ٤٠، والحيوان ٤/ ٢٣، والمعاني الكبير ٢/ ٦٣٦، وبلا نسبة في لسان العرب (حكل).

(٣) لفظ الحديث بتمامه: عن جابر بن عبد الله: أن يهودية من أهل خيبر سمّت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم» وأرسل إلى اليهودية فدعا بها، فقال لها: «أسممت هذه الشاة؟» قالت: نعم، قال: «فما أردت إلى ذلك؟» قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها.
وقد روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة. انظر: البخاري في الهبة باب ٢٨، ومسلم في السلام حديث ٤٢، وأبو داود في الديات باب ٦، وابن ماجه في الطب باب ٤٥، والدارمي في المقدمة باب ١١.

(٤) لفظ الحديث بتمامه: عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرّ إليّ حديثاً لا أحدّث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً أو حائش نخل. قال: فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى رسول الله ﷺ حنّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: «من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكى إليّ أنك تجيعه وتدئبه». أخرجه أبو داود في الجهاد باب ٤٤، وأحمد في المسند ١/ ٢٠٤، ٢٠٥.

في أشباهٍ لهذا كثيرة.

وأنكروا مع هذا (السِّحرَ) إلا من جهة الحيلة.

وقالوا: منه رُقَاةُ التَّمِيمة يُفَرِّقُ بها بين المرء وزوجه، والكذبُ تصرف به القلوبُ عن المحبة إلى البِغْضَة، وعن البِغْضَة إلى المحبة.

وقالوا: منه السُّمُومُ يُسحَر بها فتقطعُ عن النساء، وتَحُتُّ الشَّعَر وتغيّر الخَلْق.

والله تعالى يقول: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ [الفلق: ٤، ٥] فأعلمنا أنهن يَنْفُثْنَ ـ والنَّفْثُ كالتَّفْل ـ كما ينفث الرّاقي في عُقَدٍ يعقدها.

قال الشاعر(١):

يُعَقِّدُ سِحْرَ البابِلِيينَ طَرْفُهَا ... مِرَاراً وَيَسْقِينا سُلافاً مِنَ الخَمْرِ

فأراد أن طرفَها يذهب بِعُقولنا كما يذهب السِّحرُ والراح بالعقل.

وقد سُحِر رسول الله، ﷺ، وجعل سحره في بئر ذِي أَرْوَان، واستخرجه (عليّ) منها، وجعل يحلُّه عُقْدَةً عُقدة، فكلما حل عقدة وجد النبي، ﷺ راحة وخِفّاً، فلما فرغ من حَلِّه قام النبي، ﷺ، كأنما أُنْشِطَ من عِقَال(٢).

وقال الله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أفَتُراهُما كانا يُعَلِّمَان التَّمائِم، والكذبَ وَسَقْيَ السُّمومِ؟!.

وبمثل هذا النظر أنكروا عذاب القبر، ومُسَاءَلَةَ المَلَكين، وحياة الشهداء عند ربهم يرزقون؛ وأنكروا إصابةَ العينَ ونفعَ الرُّقي والعُوَذِ، وعَزِيفَ الجِنَّانِ، وَتَخَبُّطَ الشيطان، وَتَغَوُّلَ الغِيلان.

فلما رأوا تواطُؤَ العرب على ذلك، وإكثارَ الشعراء فيه، كقول: ذي الرُّمة(٣):

---

(١) البيت من الطويل، وهو لذي الرمة في ملحق ديوانه ص ١٨٧٧، وأساس البلاغة (عقد)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤/ ٨٩.

(٢) انظر الحديث عند البخاري في الطب باب ٣٩، وأبو داود في الطب باب ١٩.

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ٢٩٦، ولسان العرب (ادلهم)، والحيوان ٦/ ٢٤٨.

إذا حَنَّهُنَّ الرَّكْبُ في مُدْلَهِمَّةٍ أحاديثُهَا مِثْلُ اصطِخَاب الضَّرائِرِ

وكقول زهير[١]:

تَسْمَعُ لِلجِنِّ عازِفِينَ بها تَضْبَحُ عن رَهْبَةٍ ثَعَالِبُهَا

في أشباه لهذا كثيرة ـ طلبوا الحيلة فقالوا: عِلَّةُ ما يسمعون من هذا ويرون ـ انفرادُ القوم وتَوَحُّشُهم في الفلوات والقِفَار، ومن انفرد فكَّر وتوهَّم واستوحش وتخيَّل، فرأى ما لا يرى، وسمِع مالا يُسمع، كما قال حُميدُ بن ثور[٢]:

مُفَزَّعَةٌ تَسْتَحِيلُ الشُّخُوصَ من الخوف تَسْمَعُ مالا تَرى

وقالوا: ومن أخْنَاشِ الأرض، وأخناش الطير في المهَامِهِ والرمال ـ ما لا يظهر ولا يُصَوِّتُ إلا بالليل كالصَّدَى والضُّوَع والبُوم واليَرَاعِ، فإذا سمع أحدهم حَسِيسَ هامَةٍ، أو زُقَاءَ بُومٍ، أو رأى لَمعَ يَرَاعَةٍ من بُعْدٍ ـ وَجَبَ قلبُه، وَقَفَّ شَعْرُه، وذهبت به الظنّون.

وقالوا: في النهار ساعات تتغيّر فيها مناظر الأشباح، وتتضاعف أعدادها، فربما رُئِي الصغير كبيراً، والكبير صغيراً، والواحد اثنين، وقد يُسْمَعُ لأصوات القَلا والجِرازِ، مثلُ الدَوِيّ، ولذلك قال ذو الرُمة[٣]:

إذا قال حَادِينَا لِتَشْبِيهِ نَبْأَةٍ صَهٍ؛ لم يكُن إلا دَوِيُّ المسامِعِ

وبهذا سُمِّيت الفلاة: دَوِّيَّة، كأن الدَّوُّ حكاية ما يسمعون، ثم نسب المكان إليه، قال الأعشى[٤]:

فَوْقَ دَيْمُومَةٍ تخَيَّلُ بالسَّفرِ قِفَاراً إلا من الآجالِ

يريد بقوله: تخيّل بالسفر، أنهم يَرَونها مرّة على هيئة، ومرة على هيئة، قال كعب ابنُ زُهَير[٥]:

وَصَرْمَاءَ مِذْكَارٍ كأنَّ دَوِيَّهَا بُعَيْدَ جَنَانِ اللَّيْلِ مما يُخَيِّلُ

حديثُ أنَاسِيَّ فلمَّا سَمِعْتُه إذَا لَيْسَ فِيهِ ما أُبِينُ فَأَعْقِلُ

---

(١) البيت من المنسرح، وهو في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٢٦٥.

(٢) البيت من المتقارب، وهو بلا نسبة في المعاني الكبير ٢/ ٧٠٢.

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ٧٩١، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٤٩، وجمهرة اللغة ص ١٤٥، والبيت بلا نسبة في لسان العرب (صهصه)، وتاج العروس (صهصه).

(٤) البيت من الخفيف، وهو في ديوان الأعشى ص ٧، وبلا نسبة في المخصص ٨/ ٤١.

(٥) البيتان من الطويل، وهما في ديوان كعب بن زهير ص ٤٥.

وقال الأخطل يذكر فلاة رأى الصغيرَ فيها كبيراً[١]:

تَرَى الثَّعْلَبَ الحَوْلِيَّ فيها كأنَّهُ   إذا ما عَلا نَشْزاً حِصَانٌ مُجَلَّلُ

وقال النابغة[٢]:

وَحَلَّت بُيوتِي في يَفَاعٍ مُمَنَّعٍ   تَخَالُ بِهِ رَاعِي الحَمُولَةِ طائرا

هذا رأى الكبير صغيراً لأنه في شَرَف.

وقال ابن أحمر أيضاً في تضاعف الأعداد:

وَازْدَادت الأشْبَاحُ أَخْيِلَةً   وَتَعَلَّلَ الحِرْبَاءُ بالنَّقْرِ

وأخشى أن يكون معتقداً هذا والقائل به، يُرَقِّقُ عن صَبُوحٍ[٣]، ويُسِرُّ حَسْواً في ارْتِغاء[٤].

وما على من آمن بالبعث من الممات: أن يؤمن بعذاب البَرْزَخ، وقد خبَّر به رسولُ الله ﷺ، وقولُه قَاضٍ على الكتابِ؛ وبمُسائلة الله يوم القيامة: أن يُؤْمِنَ بِمُسَائَلَةِ الملكين في القبر؟!.

وما على من آمن بإِنْيَّةِ الشيطان: أنْ يؤمن بتخبُّطِهِ؟ ومن صدّق بخلق الجن والغيلان: أن يُصدِّق بعَزِيفِها وتَغَوُّلِها؟!.

وما أَخْرَجَهُ إلى تجهيل العرب قاطبة وتكذيبها: وشاهِدُها على صدق ما تقول كتابُ الله تعالى، ورسوله، وكتب الله المتقدمة، وأنبياؤه، وأممُ العجم كلها؟!.

قد جعل الله الجن أحد الثَّقَلين، وخاطبهم في الكتاب كما خاطبنا، وسمَّاهم رجالاً كما سمَّانا فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦].

وقال في الحور العِين: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٤]، فدل على أن الجن تَطْمِث الإنسَ.

وأخبَرَنا عن طائفة منهم سمعوا القرآن فَوَلّوا إلى قومهم مُنذِرين، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان الأخطل ص ٧.

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوان النابغة الذبياني ص ٦٩، وتخليص الشواهد ص ٤٣٧، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٠، وشرح المفصل ٢/ ٥٤، والكتاب ١/ ٣٦٨، والبيت بلا نسبة في شرح قطر الندى ص ١٧٢، ولسان العرب (حمل).

(٣) يرقق عن صبوح: مثل يضرب لمن يجمجم ولا يصرح. انظر لسان العرب (رقق).

(٤) يسرّ حسواً في ارتغاء: مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره. انظر لسان العرب (رغو).

يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والمَسُّ: الجنون، سُمِّي مسّاً؛ لأنه عن إلمام الشيطان ومسِّه، يكون.

هذا مع أخبار كثيرة صِحاح تُؤْثَرُ عن الرسول، ﷺ، وعن السلف في الرِّئِيّ والنَّجِيّ.

وما نُنكِر مع هذا الفَلَوات قد يَعْرِضُ فيها ما يذكرون، ولكنّ ذلك لا يُدْفَعُ به حقائق ما يسمعون ويُبصرون.

ولم تكن العرب طُرّاً ـ مع أفهامها وألبابِها ـ لتتواطأ على تخيُّل وظنون، ولا كلُّها أسمعه الخوف، وأراه الجبن، فهذا أبو البلادِ الطُّهَوِيّ، وتأبَّطَ شرّاً ـ: وهما من مَرَدَة العرب، وشياطين الإنس. ـ يصفان الغول، ويُحَلِّيانها ويُساوِرانها.

وهذا أبو أيوب الأنصاري يأسِرُها.

وهذا عمرُ رضي الله عنه، يُصَارِع الجِنّيَّ.

وما جاء في هذا أكثرُ من أن نُحيطَ به.

فمن آمن بمحمد، ﷺ، وبأنَّ ما جاء به الحقُّ، آمَنَ بجميع هذا، وشرح صدره به.

ومن أنكره ـ: لأنه لا يؤمن إلا بما أَوْجَبَهُ النظر والقياس على ما شاهَد ورأى في المَواتِ والحيوان ـ فماذا بقّى على المسلمين؟ وأيّ شيء ترك للملحدين؟.

وذهب (أهل القدَر) في قول الله عز وجل: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣، وفاطر: ٨] إلى أنه على جهة التسمية والحكم عليهم بالضلالة، ولهم بالهداية.

وقال فريق منهم: يُضِلُّهم: يَنْسُبُهم إلى الضلالة، ويهديهم: يُبَيِّنُ لهم ويُرْشِدُهم.

فخالفوا بين الحكمين، ونحن لا نعرف في اللغة أَفْعَلتُ الرجل: نَسَبْتُه. وإنما يُقالُ إذا أردت هذا المعنى: فَعَّلتُ. تقول: شجَّعت الرجل وجبَّنْتُه وسرَّقتُه وَخَطَّأْتُه، وكفَّرته وضلَّلته وفسَّقْتُه وَفجَّرْته ولحّنته. وقُرِىء: ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سُرِّقَ﴾ [يوسف: ٨١]، وأي نُسِبَ إلى السَّرِق.

ولا يقال في شيء من هذا كله: أَفْعَلْته؛ وأنت تريد نسبته إلى ذلك.

وقد احتج رجل من النحويين كان يذهب إلى (القدر) ـ لقول العرب: كَذَّبتُ

الرجل وأكْذَبْتُه ـ بقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣]ولا يُكْذِبونَكَ، وذكر أنَّ أَكْذَبْتُ وكذَّبْتُ جميعاً، بمعنى: نَسَبْتُ إلى الكذب.

وليس ذاك كما تأوّل، وإنما معنى أكذبت الرجل: أَلْفَيْتُهُ كاذباً. وقولُ الله تبارك وتعالى: **﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكْذِبُونَكَ﴾** بالتخفيف أي: لا يجدونك كاذباً فيما جئت به، كما تقول: أبخَلْتُ الرجل وأَجْبَنْتُه وَأَحْمَقْتُه، أي وجدته جباناً بخيلاً أحمق.

وقال عمرو بن مَعدِ يكرب لبني سُلَيم: قاتَلْناكم فما أَجْبَنّاكم، وسألناكم فما أبخلناكم، وهجوناكم فما أفحمناكم أي: لم نجدكم جُبَنَاء، ولا بُخلاً، ولا مُفحَمِين.

وقال الكسائي[1]: العرب تقول: أَكْذَبْتُ الرجل: إذا أخبرت أنه روايَةٌ للكذب: وكذَّبتُه: إذا أخبرت أنه كاذِبٌ. ففرّق بين المعنيين.

واحتج أيضاً لأفعَلتُ في معنى نسبت، بقول ذي الرُّمة يصف رَبْعاً[2]:

وَأُسْقيه حتّى كادَ مِمّا أَبُثُّه ... تُكلِّمني أحجارُهُ وملاعِبُه

وتأوّل في أَسْقيه معنى أسقِّيه من طريق النِّسبة.

ولا أعلم (له) في هذا حجة؛ لأنا نقول: قد أرعى الله هذه الماشية، أي: أنبتَ لها ما ترعاه، فكذلك تقول: أَسْقَى الله الربع، أي أنزل عليه مطراً يَسقيه، وأنا أرعى الماشية، وأُسقِي الربع، أي أدعو لها بالمرعى، وله بالسُّقْيَا.

واحتج آخر ببيتٍ ذكر أنه لِطَرَفَة[3]:

---

(١) الكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان، مولى بني أسد، أبو الحسن المعروف بالكسائي، ثم البغدادي الكوفي، أحد أئمة النحو، توفي بالري سنة ١٨٩هـ، تقدمت ترجمته الوافية مع ذكر مؤلفاته.

(٢) قبله:

وقفت على ربع لميّة ناقتي ... فما زلت أبكي حوله وأخاطبُه

والبيتان من الطويل، وهما في ديوان ذي الرمة ص ٨٢١، وأدب الكاتب ص ٤٦٢، والدرر ٢/ ١٥٥، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٦٤، وشرح التصريح ١/ ٢٠٤، وشرح شافية ابن الحاجب ١/ ٩١، ٩٢، وشرح شواهد الشافية ص ٤١، والكتاب ٤/ ٥٩، ولسان العرب (سقى)، (شكا)، والمقاصد النحوية ٢/ ١٧٦، والممتع في التصريف ص ١٨٧، والبيتان بلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ٣٠٧، وشرح الأشموني ١/ ١٣٠، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٢٦، وهمع الهوامع ١/ ١٣١.

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان طرفة بن العبد ص ١٥٧ (طبعة مكس سلغسون)، ومقاييس اللغة ٣/ ١٨١، ولسان العرب (شرر)، وفيه «ذلكا» بدل «ذلكِ»، وتاج العروس (شرر)، والبيت بلا نسبة في ديوان الأدب ٣/ ١٥٧.

وَمَا زَالَ شُرْبِي الرَّاحَ حَتَّى أَشَرَّنِي صديقي وحتى ساءَني بَعْضُ ذَلِكِ

وتوهَّمَ أن قوله: أَشَرَّني، نسبني إلى الشرِّ.

وليس ذاك كما تأوَّل، وإنما أراد شهرَني وأذاعَ خبَري، من قولك: أَشْرَرْتِ الأَقِط وشرَّرْتُه، إذا بسطته على شيء ليجف. وقال الشاعر وذكر يوم صِفِّين[1]:

وحتى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ المَصَاحِفُ

يُرِيدُ: شُهِرَتْ وَأُظهِرَتْ.

ورَوَى عبدُ الله بن محمد بن أسماء، عن جُوَيْرِيَة، قال: كنتُ عند قَتَادَةَ فسُئل عن القَدَر، فقال: ما زالت العرب تُثبتُ القَدَرَ في الجاهلية والإسلام.

وحدثني أبو حاتم[2]: سهل بن محمد، عن الأصمعي[3] قال: قلت لِدِزوَاسٍ الأعرابيّ: ما جعل بني فلان أشرفَ من بني فلان؟ قال: الكتابُ. يعني (القَدَرَ)، ولم يقل: المكارمُ والفَعال.

وكان الأصمعي يُنشدَ من الشعر أبياتاً في القَدَرَ ذَكَرْتُها وغيرها:

قال: أنشدني عيسى بن عمرَ لِبَدَوِيّ[4]:

كُلُّ شَيْءٍ حتى أَخِيكَ مَتَاعُ وبِقَدْرٍ تَفَرُّقٌ واجتماعُ

وقال المَرَّارُ بن سعيد الأسَدِيُّ[5]:

وَمَنْ سَابِقُ الأقدار إذْ دَأَبَتْ بِهِ وَمَنْ نَائلٌ شيئاً إذا لم يُقَدَّرِ؟

---

(١) صدر البيت:

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم

والبيت من الطويل، وهو لكعب بن جعيل في لسان العرب (شرر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٣٩، وديوان الأدب ٣/ ١٥٧، وجمهرة اللغة ص ٧٣٦، ولكعب بن جعيل أو للحصين بن حمام المري في تاج العروس (شرر)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ١٨١، والمخصص ١٣/ ٥٦، وتهذيب اللغة ١١/ ٢٧٤.

(٢) أبو حاتم: هو أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي الإمام، توفي سنة ٢٥٠هـ، وقيل: سنة ٢٤٨هـ، تقدمت ترجمته الوافية مع ذكر مؤلفاته.

(٣) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب، تقدمت ترجمته.

(٤) البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في لسان العرب (قدر)، وتاج العروس (قدر).

(٥) البيت من الطويل، وهو في ديوان المرار بن سعيد الفقعسي ص ٤٥٢.

وقال جميلٌ(١):

أَقْدُرُ أمراً لستُ أدري: أنالُه؟ ... وما يقدِرُ الإنسانُ؟ فالله قادِرُ

وقال ابن الدُّمَيْنَة(٢):

زُورُوا بِنَا اليومَ سَلمى أيُّهَا النَّفَرُ ... ونحنُ لَمَّا يُفرِّقْ بيننا القَدَرُ

وقال الفَرَزْدَق(٣):

نَدِمْتُ نَدامَةَ الكُسَعِيِّ لمّا ... غَدَتْ مني مُطَلَّقةً نَوَارُ

ولو ضَنَّتْ بها كَفِّي وَنَفْسِي ... لَكَانَ عَلَيَّ لِلقَدَرِ الخِيَارُ

وقال القَسُّ(٤):

قد كُنْتُ أَعْذِلُ فِي السَّفاهةِ أهلَها ... فاعجَبْ لِمَا تَأْتِي بِهِ الأَيَّامُ

فاليَومَ أعذِرُهم، وَأَعْلَمُ أنما ... سُبُلُ الغَوايَةِ والهُدَى أقسَامُ

وقال ابن أَحْمَرَ حين سُقِيَ بطنُه(٥):

شَرِبْنَا وَدَاوَيْنَا، وَمَا كانَ ضَرَّنا ... إذا الله حَمَّ القَدْرَ - ألاَّ نُداوِيَا

وقال الشَّمَّاخ(٦):

وإنّي عَذَابِي عنكما غَيْرَ ماقِتٍ ... نَوَارانِ مكتوبٌ عليَّ بُغاهُمَا

أي حاجتان عسيرتان. والنّوار: النفورُ. مكتوب عليّ أي مَقْدُورٌ عليَّ طلبُهما.

وقال الأعشى(٧):

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان جميل بن معمر (جميل بثينة) ص ٨٢.

(٢) البيت من البسيط، وهو في ديوان ابن الدمينة ص ٤٨.

(٣) البيتان من الوافر، وهما في ديوان الفرزدق ١/ ٢٩٤. والبيت الأول في لسان العرب (كسع)، وتاج العروس (كسع)، وتهذيب اللغة ١/ ٢٩٩.
ويروى صدر البيت الثاني: ولو رضيت يداي بها وضنّت
والبيت بهذا اللفظ في الخصائص ١/ ٢٥٨، والمحتسب ٢/ ١٨١، والمقرب ١/ ٢٥٢.

(٤) البيتان من الكامل، ولم أجدهما في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٥) البيت من الطويل، وهو لعبد الله بن أحمر في ديوانه ص ١٧٢، والشعر والشعراء ١/ ٣١٦، وعيون الأخبار ٣/ ٢٧٤.

(٦) البيت من الطويل، وهو في ديوان الشماخ ص ٨٨، والمعاني الكبير ٢/ ٨٧١.

(٧) يروى البيت بلفظ:

في فتية كسيوف الهند قد علموا ... أن هالكٌ كلُّ من يحفى وينتعِلُ =

فِي فِتْيَةٍ كَسُيوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الحِيلَةِ الحِيَلُ

يعني: هم موقِنُون بأن ما قُدِّرَ وحُتِم لا يُدفع بالحيلة، فهم مُوَطِّنون أنفسَهم عليه.

وقال أبو زُبَيْد[1]:

فَلاتَكُ كالمَوْقُوصِ عَنْ ظَهْرِ رَحْلِهِ تَـرَدَّتْ بـه أسـبَـابُـهُ وهـو يـنـظُـرُ

أسبابُهُ: المقادِير، تردَّت به وهو ينظر لا يَقْدِرُ أنْ يَدفَع ذلك. والمَوْقُوص: الذي قد اندقَّت عُنُقُه.

وقال الراعي[2]:

وَهُنَّ يُحَاذِرْنَ الرَّدَى أَنْ يُصِيبَنِي ومن قبل خَلْقِي خُطَّ ما كُنْتُ لاقِيَا

وَكَائِن تَرى من مُسْعَفٍ بِمَنِيَّةٍ يُجَنَّبها أو مُعْصِمٍ لَيْسَ نَاجِيَا

وقال أُفْنُون التَّغْلبي[3]:

لعمرُكَ ما يَدري الفتى كيفَ يتَّقي إذا هُوَ لـم يَـجـعـلْ لـه الله واقِـيـا

وقال لبيد بن ربيعة العَامِري[4]:

إنَّ تَـقْـوَى رَبِّـنَـا خَـيْـرُ نَـفَـلْ وَبِـإِذْنِ الله رَيْـثِـي وَعَـجَـلْ

مَنْ هَـدَاهُ سُبُلَ الـخـيـرِ اهْـتَـدَى نَـاعِـمَ الـبَـالِ، وَمَـنْ شَـاءَ أَضَـلْ

= والبيت من البسيط، وهو للأعشى في ديوانه ص ١٠٩، والأزهية ص ٦٤، والإنصاف ص ١٩٩، وتخليص الشواهد ص ٣٨٢، وخزانة الأدب ٥/ ٤٢٦، ٨/ ٣٩٠، ١٠/ ٣٩٣، ١١/ ٣٥٣، ٣٥٤، والدرر ٢/ ١٩٤، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٧٦، والكتاب ٢/ ١٣٧، ٣/ ٧٤، ١٦٤، ٤٥٤، والمحتسب ١/ ٣٠٨، ومغني اللبيب ١/ ٣١٤، والمقاصد النحوية ٢/ ٢٨٧، والمنصف ٣/ ١٢٩، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١٠/ ٣٩١، ورصف المباني ص ١١٥، وشرح المفصل ٨/ ٧١، والمقتضب ٣/ ٩، وهمع الهوامع ١/ ١٤٢.

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان أبي زبيد الطائي ص ٦٤.

(٢) البيتان من الطويل، وهما في ديوان الراعي النميري ص ٢٨٥، والبيت الثاني في لسان العرب (سعف)، وتاج العروس (سعف)، وتهذيب اللغة ٢/ ١١١.

(٣) البيت من الطويل، وهو لأفنون التغلبي في تاج العروس (وقي)، ومعجم البلدان (الآلاهة)، ولسان العرب (أله)، (وقي)، والمفضليات ص ٢٦١، والشعر والشعراء ١/ ٣٨٢، والمؤتلف والمختلف ص ١٥١، وكتاب الصناعتين ص ١٦٤.

(٤) البيتان من الرمل، وهما في ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ١٧٤، والبيت الأول في لسان العرب (نفل)، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٦٤، وتاج العروس (نفل)، والبيت الثاني في لسان العرب (ضلل)، وتهذيب اللغة ١١/ ٤٦٥، وتاج العروس (ضلل).

أفترى لبيداً أراد بقوله: من شاء أضل، أي سُمّي ضالاً؟ لا لعمرُ الله ما عَرَف هذا لبيدٌ ولا وجدَه في شيء من اللغات. والمعنى في ضلّلت، وأضللت، ويشرَح صَدرَهُ للإسلام، ويجعل صدره ضيِّقاً حَرِجاً ـ يَمتنِعُ على التأويل المطلوب بالحيلة عند من عرف اللغة.

وربما جعلت العربُ (الإضلال) في معنى الإبطال والإهلاك؛ لأنه يؤدّي إلى الهَلَكَةِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ [السجدة: ١٠]، أي بَطلنا وَلَحِقْنا بالتراب وصرنا منه. والعرب تقول: ضلّ الماء في اللبن: إذا غلب اللبن عليه فلم يَتَبيّن.

وقال النابغة الذبياني يرثي بعض الملوك[١]:

وآبَ مُضِلُّوهُ بِعَينٍ جَلِيَّةٍ ... وغُودِرَ بالجَولانِ حَزْمٌ ونائِلُ

أي قابروه، سمّاهُم مضلّين لأنهم غيّبوه وأفقدوه فأبطلُوه.

هذا مذهب العرب في (القدر)، وهو مذهب كل أمة من العجم، وأنّ الله في السماء، ما تُرِكَت على الجِبلّة والفِطْرَة، ولم تُنْقَل عن ذلك بالمقاييس والتَّلْبيس.

وقد أَعْلَمتُك في كتاب (غريب الحديث) أن فريقاً منهم يقولون: لا يلزمنا اسم (القَدَر) من طريق اللغة؛ لأنهُ يَتأوَّل علينا أنا نقول: لا قَدَر، فكيف نُنسَبُ إلى ما نَجْحَدُ؟.

وأن هذا تمويهٌ، وإنما نُسِبوا إلى (القَدَر) لأنهم يضيفونه إلى أنفسهم، وغيرُهم يجعله لله دون نفسه، ومُدَّعِي الشيء لنفسه أَوْلَى بأن ينسب إليه ممن جعله لغيره.

وأما الطاعنون على القرآن (بالمجاز) فإنهم زعموا أنه كَذِبٌ . لأن الجِدَارَ لا يُرِيدُ، والقَريةَ لا تُسأَل.

وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلِّها على سوء نظرهم، وقلة أفهامهم.

ولو كان المجاز كَذِباً، وكلُّ فعل يُنسب إلى غير الحيوان باطلاً ـ كان أكثرُ كلامِنا فاسداً؛ لأنا نقول: نَبت البقلُ، وطالت الشجرة، وأَيْنَعَت الثمرة، وأقام الجبل، ورخُص السِّعر.

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان النابغة الذبياني ص ١٢١، ولسان العرب (ضلل)، (جلا)، وتاج العروس (ضلل)، (جلا)، وتهذيب اللغة ١١/١٨٧، ٤٦٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٤٤، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٠٧٧، ومقاييس اللغة ١/٤٩٦، ٣/٣٥٦، ومجمل اللغة ٣/٢٧٧.

وتقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا والفعل لم يكن وإنما كُوّن.

وتقول: كان الله. وكان بمعنى حَدَثَ، والله، جل وعز: قبل كل شيء بلا غاية، لم يحدث: فيكون بعد أن لم يكن.

والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] وإنما يُعزم عليه.

ويقول تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦] وإنما يُرْبَحُ فيها.

ويقول: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] وإنما كُذِّبَ به.

ولو قلنا للمُنكر لقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] كيف كنت أنت قائلاً في جدارٍ رأيته على شَفَا انهيار: رأيتَ جداراً ماذا؟ لم يَجد بُدّاً من أن يقول: جِداراً يَهُمُّ أن ينقضّ، أو يكاد أن ينقضّ، أو يقارب أن ينقضّ. وأيّاً ما قال فقد جعله فاعلاً، ولا أحسِبُه يصلُ إلى هذا المعنى في شيء من لغات العجم، إلا بمثل هذه الألفاظ.

وأنشدني السّجِسْتَانِي[١] عن أبي عبيدة[٢] في مثل قول الله: ﴿يريد أن ينقضّ﴾[٣]:

يُرِيدُ الرُّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... ويَرغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ

وأنشد الفرّاء[٤]:

إنَّ دَهْراً يَلُفُّ شَمْلِي بِجُمْلٍ ... لَزَمَانٌ يَهُمُّ بالإحسَانِ

والعرب تقول: بأرض فلان شجرٌ قد صاح. أي طال؛ لَمَّا تَبَيَّنَ الشَّجَرُ للنّاظِرِ بطوله، ودلَّ على نفسه ـ جعله كأنه صائحٌ: لأن الصائح يدلُّ على نفسه بصوته.

---

(١) السجستاني: هو أبو حاتم السجستاني، تقدمت ترجمته.

(٢) أبو عبيدة: هو الحافظ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري المنشأ، بغدادي الدار والوفاة، الفقيه اللغوي الأخباري، ولد سنة ١١٠هـ، وتوفي سنة ٢٠٣هـ. تقدمت ترجمته الوافية، مع ذكر مؤلفاته.

(٣) البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في لسان العرب (رود)، وكتاب الصناعتين ص ٢١٢، وتفسير الطبري ١٦/١٨٦، ومجاز القرآن ١/٤١٠.

(٤) يروى صدر البيت بلفظ:

إن دهراً يلفُّ حبلي بجُمل

والبيت من الخفيف، وهو لحسان بن ثابت في أساس البلاغة (لفف)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (دهر)، وتهذيب اللغة ٦/١٩٢، وديوان الأدب ١/١٠٧، وتاج العروس (دهر).

ومثل قولُ العجاج[1]:

كَـالـكَـرْمِ إذْ نَـادَى مِـنَ الـكَـافُـورِ

ويقال: هذا شجرٌ واعِدٌ، إذا نوَّر، كأنَّه نَوَّر لمَّا وَعَد أن يُثمر. ونباتٌ واعِدٌ، إذا أَقْبَلَ بِمَاء وَنِضْرة.

قال سُويدُ بن كُرَاعٍ[2]:

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ وَرَاقَهُ ... لَمَاعٌ تَهَادَاهُ الدَّكَادِكُ وَاعِدُ

في أشباه لهذا كثيرة، سنذكر ما نحفظ منها في كتابنا هذا مما أتى في كتاب الله، عز وجل، وأمثاله من الشعر، ولغات العرب، وما استعمله الناس في كلامهم.

ونبدأ بباب الاستعارة؛ لأن أكثر المجاز يقع فيه.

---

(١) قبله:

غـراء تـسـبـي نـظـر الـنـظـورِ ... بـفـاحـم يُـعـكَـفُ أو مـنـشـورِ

كـالـكـرم إذا نـادى مـن الـكـافـورِ

والرجز للعجاج في ديوانه ١/ ٣٣٨ـ ٣٣٩، ولسان العرب (كفر)، وتاج العروس (كفر)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٢٠١، والمخصص ١٠/ ٢١٦، وجمهرة اللغة ص ٧٨٦، ولرؤبة في لسان العرب (صيح)، (عرق)، وتاج العروس (صيح)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (ندى)، ومقاييس اللغة ٥/ ١٩٢، وجمهرة اللغة ص ١٠٦١، ١٢٠٥، وكتاب العين ٥/ ٣٥٨، وتاج العروس (ندا)، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٩٠.

(٢) البيت من الطويل، وهو لسويد بن كراع في لسان العرب (وعد)، (لعع)، وأساس البلاغة (وعد)، وتهذيب اللغة ٣/ ١٣٥، وتاج العروس (وعد)، (لعع)، وبلا نسبة في المخصص ١٠/ ١٨٣.

بابُ الاستِعارة

فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسببٍ من الأخرى، أو مُجاوراً لها، أو مُشَاكِلاً. فيقولون للنبات: نوءٌ لأنه يكون عن النوءِ عندهم.

قال رؤبة بن العجاج[1]:

وَجفَّ أَنْوَاءُ السَّحَابِ المُرْتَزَقْ

أي جفّ البقل.

ويقولون للمطر: سماءٌ؛ لأنه من السماء ينزل، فيقال: ما زلنا نَطأُ السماء حتى أتيناكم.

قال الشاعر[2]:

إذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بَأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وإنْ كَانُوا غِضَابَا

ويقولون: ضَحكتِ الأرض: إذا أنبتت؛ لأنها تُبدِي عن حُسْن النبات، وتَنْفَتِقُ عن الزهرِ، كما يَفْتَرُّ الضاحكُ عن الثغر، ولذلك قيل لطَلْع النخل إذا انفتق عنه كافورُهُ: الضَّحْكُ؛ لأنه يبدو منه للناظر كبياض الثغر. ويقال: ضَحكت الطَّلْعَةُ، ويقال: النَّورُ يُضَاحِكُ الشمس؛ لأنه يدور معها.

---

(١) يروى الرجز بتمامه:

وخفّ أنواء الربيع المرتزق ... وخبّ أعراقُ السفا على القيق

والرجز لرؤبة في ديوانه ص ١٠٥، ولسان العرب (قيق) وتهذيب اللغة ٩/ ٣٧٢، وتاج العروس (رزق)، ومقاييس اللغة (٢/١٥٨، ٣/ ٨١، ومجمل اللغة ٢/ ١٦١، ٤/ ١٣٥، وبلا نسبة في لسان العرب (قط)، وكتاب العين ٥/ ٢٣٨، والمخصص ١٠/ ١٢٩.

(٢) البيت من الوافر، وهو لمعوّد الحكماء (معاوية بن مالك) في لسان العرب (سما)، وللفرزدق في تاج العروس (سما)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٩٨، والمخصص ٧/ ١٩٥، ١٦/ ٣٠، وديوان الأدب ٤/ ٤٧.

وقال الأعشى يذكر رَوْضَةً[١]:

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ

وقال آخر[٢]:

وضَحِكَ المُزْنُ بها ثُمَّ بَكَى

يريد بضحكه انعِقَاقَه[٣] بالبرق، وببكائه: المطر.

ويقولون: لَقيتُ من فلانٍ عَرقَ القِرْبَةِ، أي شِدَّةً ومشقَّةً. وأصل هذا أن حامل القِرْبَة يتْعَبُ في ثَقْلِها حتى يَعرَقَ جبينُه، فاستُعِيرَ عَرَقُها في موضع الشِّدةُ.

ويقول الناس: لقيتُ من فلانٍ عَرَقَ الجَبينِ، أي شدّة.

ومثل هذا في كلام العرب كثير يطول به الكتاب، وسنذكر ما في كتاب الله تعالى منه.

فمن الاستعارة في كتاب الله قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] أي عن شِدَّةٍ من الأمر، كذلك قال قَتَادَةُ[٤]. وقال ابراهيم[٥]: عن أمر عظيم.

وأصل هذا أنّ الرجل إذا وَقَع في أمرٍ عظيم يحتاج إلى معاناته والجدّ فيه ـ شَمَّر عن ساقِهِ، فاستُعيرت الساق في موضع الشدة.

وقال دُرَيْد بن الصِّمَّة[٦]:

---

(١) البيت من البسيط، وهو في ديوان الأعشى ص ١٠٧، ولسان العرب (كوكب)، (أزر)، (شرق)، (كهل)، (عمم)، وتهذيب اللغة ١/ ١١٩، ٦/ ١٩، ٨/ ٣١٦، ١٠/ ٤٠٢، ومقاييس اللغة ٥/ ١٢٥، ١٤٤، وأساس البلاغة (ضحك)، والمخصص ١٠/ ١٩٤، وتاج العروس (ككب)، (أزر)، (شرق)، (كهل)، والبيت بلا نسبة في كتاب العين ٣/ ٣٧٨، ٥/ ٤٣٣.

(٢) الرجز لدكين الراجز في أمالي المرتضى ٢/ ٩٤، وبلا نسبة في كتاب الصناعتين ص ٢٣٩، والحيوان ٣/ ٧٥.

(٣) الانعقاق: الانشقاق.

(٤) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، أبو الخطاب البصري التابعي، ولد سنة ٦٠هـ، وتوفي سنة ١١٧هـ. صنّف «تفسير القرآن». (كشف الظنون ٥/ ٨٣٤).

(٥) إبراهيم: هو إبراهيم بن يزيد، أبو عمران النخعي الكوفي، توفي سنة ٩٦هـ.

(٦) البيت من الطويل، وهو في ديوان دريد بن الصمة ص ٦٦، ولسان العرب (سوق)، والمخصص ١٣/ ٦٧، ١٦/ ٣٧، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٣٤، ١٠/ ٤٨٨، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٨١٨، والكامل ص ٤٩٧، والأصمعيات ص ١١٣، وجمهرة أشعار العرب ص ١١٨، وديوان المعاني ١/ ٥٦، وكتاب الصناعتين ص ٣٠٥، والبيت بلا نسبة في لسان العرب (جلل).

كَمِيشُ الإزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلى الجَلاَّءِ طَلاَّعِ أنْجُدِ

وقال الهُذليّ[(١)]:

وكُنتُ إذا جَارِي دعَا لِمَضُوفَةٍ أُشَمِّرُ حتّى يَنصُفَ السَّاقَ مِئزَري

ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩] ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤] والفَتيل: ما يكون في شقّ النّواة. والنّقِيرُ: النُّقْرَةُ في ظهرها. ولم يُرد أنهم لا يظلمون ذلك بعينه، وإنما أراد أنهم إذا حُوسِبُوا لم يُظلموا في الحساب شيئاً ولا مِقْدار هذين التافهين الحقيرين.

والعرب تقول: ما رَزَأْته زِبَالاً. (والزِبَالُ) ما تحمله النّملة بفمها، يريدون ما رَزَأْته شيئاً.

وقال النابغة الذُّبْيَاني[(٢)]:

يَجْمَعُ الجَيْشَ ذا الأُلُوفِ ويَغْزُو ثم لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتِيلا

وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] وهو (الفُوقَةُ) التي فيها النّواة. يريد ما يملكون شيئاً.

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣] أي قصَدْنا لأعمالهم وعَمَدنا لها. والأصل أنّ مَنْ أراد القُدُومَ إلى موضع عَمَدَ له وقَصَدَهُ.

والهباء المنثور: ما رأيته في شعاع الشمس الداخل من كُوَّة البيت.

والهباء المُنْبَثُّ: ما سَطع من سَنابِك الخيل. وإنما أراد أنّا أبْطَلْنَاهُ كما أنّ هذا مُبْطَلٌ لا يُلمَس ولا ينتفع به.

ومنه قوله: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] يريد أنها لا تَعِي خيراً؛ لأن المكان إذا

---

(١) البيت من الطويل، وهو لأبي جندب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١/٣٥٨، وشرح شواهد الشافية ص ٣٨٣، ولسان العرب (جور)، (ضيق)، (نصف)، (كون)، والمعاني الكبير ص ٧٠٠، ١١١٩، وبلا نسبة في شرح المفصل ١٠/٨١، والمحتسب ١/٢١٤، والممتع في التصريف ٢/٤٧٠، والمنصف ١/٣٠١.

(٢) البيت من الخفيف، وهو لعبد قيس بن خفاف في الحيوان ٤/٣٧٩، والأغاني ١١/١٦، وللنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٣٥ (طبعة دار الكتاب العربي)، والشعر والشعراء ص ١٧١، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤/٤٧٢، والمخصص ١٣/٢٥٤.

كان خَالياً فهو هواءٌ حتى يَشغَلَهُ الشيء.

ومثله قوله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] يريد أطْلعْنَا عليهم. وأصل هذا أنّ من عَثر بشيء وهو غافل نظر إليه حتى يَعرِفه. فاستُعِيرَ العِثَارُ مكان التّبيّن والظهور. ومنه يقول الناس: ما عثرتُ على فلانٍ بسوء قطُّ. أي ما ظَهرتُ على ذلك منه.

ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أراد الخيلَ، فسمَّاها الخَيْرَ لما فيها من المنافع.

قال الرّاجز بعد أن عدَّد فضائِلها وأسبابَ الانتفاع بها ـ(١):

فالخيلُ والخيراتُ في قَرَنَيْنِ

وقال طُفَيل(٢):

وللخيلِ أيّامٌ فَمَنْ يَصْطَبِرْ لَها   وَيَعْرِفْ لها أيّامَها الخيرَ تُعقِبِ

ومنه قوله عز وجل ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾[الأنعام: ١٢٢]. أي كان كافراً فهديناه وجعلنا له إيماناً يَهْتَدِي به سُبُلَ الخير والنّجاة ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] أي في الكُفر. فاستعار الموت مكانَ الكُفرِ، والحياةَ مكان الهدايةَ، والنّورَ مكان الإيمان.

ومنه قوله عز وجل: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝﴾ [الشرح: ٢] أي إثْمَكَ. وأصل الوِزْرِ: ما حمله الإنسان على ظهره. قال الله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧] أي أحمالاً من حُليّهم. فشبه الإثمُ بالحمل، فَجُعِلَ مكانَه، وقال في موضع آخر: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] يريد آثامهم.

ومن ذلك قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي نكاحاً، لأن النكاح يكون سراً ولا يظهر، فاستُعيرَ له السرُّ.

قال رُؤْبة(٣):

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِها بَعْدَ العَسَقْ

(١) الرجز بلا نسبة في كتاب المعاني ١/ ٨٥، ١٧٦، وفي المعاني: «في قرينين» بدل: «في قرنين»، وفي الخزانة ٣/ ٦٤٣: «كالقرينين» بدل: «في قرنين».

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوان طفيل الغنوي ص ٣٥، والإنصاف ص ٦٢١، وخزانة الأدب ٩/ ٤٤، وكتاب الصناعتين ص ٢٧٧، والمعاني الكبير ١/ ٨٥.

(٣) الرجز في ديوان رؤبة ص ٢٠٤، وتهذيب اللغة ١٢/ ٢٨٤، ولسان العرب (فرك) وفيه: «الغسق» =

والعَسَق: الملازمة:

ومنه قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]أي مُزْدَرَعٌ لكم كما تُزْدَرَعُ الأرض.

ومنه قوله: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي تترَخَّصُوا. وأصل هذا أن يصرفَ المرء بصره عن الشيء ويُغمضَه، فسُمّي التَّرَخُّصُ إغماضاً. ومنه يقولُ الناس للبائع: أَغْمِضْ وغمّض. يريدون لا تستقص وكمن كأنّك لم تُبْصِر.

ومنه قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] لأنَّ المرأة والرجل يتجردان ويجتمعان في ثوب واحد، ويَتَضَامَّانِ فيكون كلٌّ واحدٍ منهما للآخر بمنزلة اللباس.

قال النابغة الجَعْدِيّ[1]:

إِذَا مَا الضَّجِيعُ ثَنَى جِيدَهَا ... تَدَاعَتْ عَلَيْهِ فَكَانَتْ لِبَاسَا

ومنه قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤] أي طهّر نفسك من الذنوب، فكنى عن الجسم بالثياب؛ لأنّها تشتمل عليه.

قالت ليلى الأخيليةُ وذكرتْ إبلا[2]:

رَمَوهَا بَأَثْوابٍ خِفَافٍ فَلا تَرَى ... لَها شَبَهاً إلاَّ النَّعَامَ المُنَفَّرَا

أي ركبوها فرمَوها بأنفسهم.

وقال آخر[3]:

= بدل: «العسق».

(١) يروى عجز البيت بلفظ:

تداعت فكانت عليه لباسا

والبيت من المتقارب، وهو في ديوان النابغة الجعدي ص ٨١، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٣٠، وتهذيب اللغة ١٢/ ٤٤٤، ومجمل اللغة ٤/ ٢٦٢، وتاج العروس (لبس)، ولسان العرب (لبس)، والشعر والشعراء ص ٣٠٢.

(٢) البيت من الطويل، وهو للشماخ في تهذيب اللغة ١٥/ ١٥٤، وليس في ديوانه، ولليلى الأخيلية في ديوانها ص ٧٠، وأساس البلاغة (ثوب)، والمعاني الكبير ص ٤٨٦، وكتاب الصناعتين ص ٣٥٣، والبيت بلا نسبة في مجمل اللغة ١/ ٣٧٢، وتاج العروس (ثوب)، ولسان العرب (ثوب).

(٣) الرجز بلا نسبة في تاج العروس (دسم)، (وذم)، ولسان العرب (دسم)، (وذم)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٧٧، ١٥/ ٢٩، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٧٦، وديوان الأدب ٣/ ٢٧٠، وأساس البلاغة (دسم)، والمعاني الكبير ١/ ٤٨١، ويروى: «جحّا» بتقديم الجيم على الحاء، بدل: «حجّا».

لا هُـمَّ إنَّ عـامِـرَ بـن جَـهـمِ ... أَوْذَمَ حـجـاً فـي ثـيـابٍ دُسْـمِ

أي هو متدنّس بالذنوب .

والعرب تقول: قومٌ لطاف الأُزُر. أي خِماصُ البطون؛ لأنَّ الأُزُرَ تُلاثُ عليها. ويقولون: فِدى لك إزاري. يريدون: بدني، فتضع الإزار موضعَ النَّفْسِ.

قال الشاعر[١]:

ألا أَبْـلِـغْ أَبَـا حَـفْـصٍ رَسُـولاً ... فِـدًى لَـكَ مِـنْ أَخِـي ثِـقَـةٍ إِزَارِي

وقد يكون الإزارُ في هذا البيت: الأهلَ. قال الهُذليّ[٢]:

تَـبَـرَّأُ مِـن دَمْ الـقَـتـيـل وبَـزِّهِ ... وقـد عَـلِـقَـتْ دمُ الـقـتـيـل إزَارُهـا

أي نفسها.

ويقولون للعَفَافِ: إزارٌ؛ لأنَّ العفيف كأنّه استتر لمّا عفَّ.

وقال عَدِيّ بن زَيْد[٣]:

أَجْـلِ أنَّ الله قَـدْ فَـضَّـلَـكُـمْ ... فَـوقَ مـا أَحْـكِـي بِـصُـلْـبٍ وإِزَارِ

فالصُّلبُ: الحسَبُ، سمّاه صُلْباً لأنَّ الحَسَبَ: العشيرة. والخلْقُ. من ماء الصّلب. والإزار: العفاف.

ويجوز أن يكون سَمّى العشيرة صُلْباً لأنّهم ظَهْرُ الرجل، والصُّلبُ في الظّهر.

(١) البيت من الوافر، وهو لبقيلة الأكبر الأشجعي، وكنيته أبو المنهال، في لسان العرب (أزر)، والمؤتلف والمختلف ص ٦٣، وعجزه في لسان العرب (أزر)، منسوباً إلى جعدة بن عبد الله السلمي، وبلا نسبة في شرح اختيارات المفضل ص ٢٥٠، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٦٢، ولسان العرب (قلص).

(٢) البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٧٧، ولسان العرب (أزر)، وتاج العروس (أزر)، والمعاني الكبير ص ٤٨٣، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٤٣٢، ومقاييس اللغة ٤/١٢٧، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧١٣، والمخصص ٤/٧٧، ١٧/٢٢.

(٣) البيت من الرمل، وهو في ديوان عدي بن زيد ص ٩٤، وتهذيب اللغة ١١/١٩٤، وديوان الأدب ١/١٤٩، وتاج العروس (حكى). ويروى البيت بلفظ:

أجْـلَ أن الـلّـه قـد فـضّـلـكـم ... فـوق مـن أحـكـأ صـلـبـاً بإزارِ

والبيت بهذا اللفظ، لعدي بن زيد في ديوانه ص ٩٤، وجمهرة اللغة ص ١٠٥١، ولسان العرب (حكأ)، (صلب)، (أزر)، (أجل)، (حكى)، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ١/٢٤٠.

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧]: أي سِتْراً وحجاباً لأبصاركم.

قال ذو الرُّمة[١]:

وَدَوِّيَّةٍ مِثْلِ السَّمَاءِ اعْتَسَفْتُها وقد صَبغَ اللَّيْلُ الحَصَى بِسَوَادِ

أي لمّا ألبَسَهُ الليلُ سَوَادَهُ وظُلمَته، كانَ كأنّه صَبَغَهُ.

وقد يَكْنُون باللباس والثوب عما سَتَر ووقى، لأنّ اللباس والثوبَ وَاقِيانِ ساتِرانِ.

وقال الشاعر[٢]:

كَثَوْبِ ابنِ بِيضٍ وقاهم به فَسَدَّ على السَّالكين السَّبيلا

قال الأصمعي: (ابن بيض) رجلٌ نحرَ بعيراً له على ثَنِيَّةٍ فَسَدَّها فلم يقدر أحد أنْ يجوز، فَضُرِبَ به المثل فقيل: سَدّ ابن بِيضٍ الطريقَ[٣].

وقال غير الأصمعي: (ابن بيض) رجلٌ كانت عليه إتَاوَةٌ فهرب بها فاتَّبَعَهُ مُطالِبُه، فلما خشيَ لحَاقَه وضع ما يطالبه به على الطريق ومضى، فلما أخذ الإتاوةَ رجع وقال: «سدّ ابن بيضٍ الطريقَ» أي منعَنا من اتباعِه حين وَفَى بما عليه، فكأنه سدّ الطريق[٤].

فكنَى الشاعرُ عن البعير ـ إن كان التفسير على ما ذكر الأصمعي.

أو عن الإتاوَةِ ـ إن كان التفسير ما ذَكَرَ غيره ـ بالثوب؛ لأنهما وَقَيَا كما يقي الثوبُ.

وكان بعض المفسرين يقول في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [الفرقان: ٤٧] أي سكَنا، وفي قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي سكن لكم.

وإنما اعتَبر ذلك من قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: ٦٧] ومن قوله:

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ٦٨٥، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣٨٢، وهو بلا نسبة في شرح شذور الذهب ص ٤١٥.

(٢) البيت من المتقارب، وهو لبشامة بن عمرو في تاج العروس (بيض)، وشرح اختيارات المفضل ص ٢٩٣، والمفضليات ص ٦٠، وطبقات الشعراء ص ٥٦٥، والأغاني ١٢/ ٤٣، ولبسامة بن حزن (وهذا تحريف) في لسان العرب (بيض)، وبلا نسبة في تاج العروس (ثوب).

(٣) انظر المثل في لسان العرب (بيض)، وجمهرة الأمثال ص ١١٨، ومجمع الأمثال ١/ ٣٤١، وأمثال العرب للمفضل الضبي ص ٧١ـ ٧٢.

(٤) انظر لسان العرب (بيض)، ومجمع الأمثال ١/ ٣٢٨.

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

ومن الاستعارة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٧] يعني جَنَّته، سمَّاها رحمة؛ لأن دخولهم إيَّاها كان برحمته.

ومثله قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ [النساء: ١٧٥]. وقد توضَعُ (الرحمةُ) موضع (المطر) لأنه يَنزِل برحمته.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧] يعني المطر.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ [الإسراء: ١٠٠] يعني مفاتيح رزقه.

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢] أي من رزق.

ومن الاستعارة: اللسان يوضع موضع القول؛ لأنَّ القول يكونُ بها. قال الله، عز وجل، حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤]. أي ذِكراً حسناً. وقال الشاعر[1]:

إنِّي أتتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بِهَا ... من عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْهَا ولا سَخَرُ

أي أتاني خبرٌ لا أُسَرُّ به.

ومنه الذِّكْرُ يوضعُ موضع الشرف؛ لأنَّ الشريف يُذْكر قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] يريد أن القرآن شرفٌ لكم.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي شرفُكم.

وقال: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١] أي أتيناهم بشرفهم.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] أي لا تستثقل شيئاً

---

(١) البيت من البسيط، وهو لأعشى باهلة في إصلاح المنطق ص ٢٦، والأصمعيات ص ٨٨، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٠، وجمهرة اللغة ص ٩٥٠، ١٣٠٩، وخزانة الأدب ٦/ ٥١١، وسمط اللآلي ص ٧٥، وشرح المفصل ٤/ ٩٠، ولسان العرب (سخر)، (لسن)، والمؤتلف والمختلف ص ١٤، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١/ ١٩١، ٤/ ١٥٦، ولسان العرب (علا).

من أمرهما، وتَضِقْ به صدراً، ولا تُغْلِظ لهما.

والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون: أُفٌّ له. وأصل هذا نفخُكَ للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد وغير ذلك، وللمكان تريد إماطة الشيء عنه لتقعُد فيه. فقيل لكل مُسْتثقَل: أُفٍّ لك، ولذلك تُحرَّكُ بالكسر للحكاية، كما يقولون: غاقٍ غاقٍ، إذا حكَوْا صوتَ الغراب.

والوجه أن يُسكَّن هذا، إلا أنه يُحرَّك لاجتماع الساكنين، فربما نُوِّن، وربما لم ينوَّن، وربما حُرِّكَ إلى غير الكسر أيضاً.

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] يريد كلما هاجوا شرّاً وأجمعوا أمراً ليحاربوا النبي ﷺ ـ سكّنه الله وَوَهَّن أمرهم.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. الإصر: الثِّقْل الذي ألْزَمَهُ الله بني إسرائيل في فرائضهم وأحكامهم، ووضعه عن المسلمين. ولذلك قيل للعهد: إصرٌ.

قال تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [آل عمران: ٨١] أي عهدي؛ لأن العهد ثقلٌ وَمَنْعٌ من الأمر الذي أُخِذَ له.

﴿وَالأَغْلالُ﴾: تحريمُ الله عليهم كثيراً مما أطلقه لأمّة محمد، ﷺ، وجعله أغلالاً لأن التحريم يمنع كما يقبض الغُلُّ اليَدَ، فاسْتُعِيرَ.

قال أبو ذؤيب[(١)]:

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يا أمّ مالِكٍ ... ولكن أحاطَتْ بالرِّقابِ السَّلاسِلُ
وَعَادَ الفَتَى كالكَهْلِ لَيْسَ بِقَائلٍ ... سِوَى العَدْلِ شَيْئاً فَاسْتراحَ العَواذِلُ

يقول: ليس الأمرُ كعهدِكِ إذ كنا في الدّار ونحن نَتبسَّطُ في كل شيء ولا نَتوقّى، ولكن أسْلَمْنَا فصِرْنا من موانع الإسلام في مثل الأغلال المحيطة بالرّقاب القابضة للأيدي.

ومن هذا قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يسٓ: ٨]، أي قبضنا أيديهم عن الإنفاق في سبيل الله بموانع كالأغلال.

---

(١) البيتان من الطويل، وهما لأبي خراش الهذلي في ديوان الهذليين القسم الثاني ص ١٥٠، وشرح أشعار الهذليين ص ١٢٢٣، ولسان العرب (عهد)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٤٣، والأغاني ٢١/ ٥٨.

ومن ذلك قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]، يريد الخِتان، فسماه صِبْغةً؛ لأن النصارى كانوا يَصبُغُون أولادهم في ماءٍ ويقولون: هذا طُهْرَةٌ لهم كالختان للحُنَفَاء، فقال الله تعالى؛ ﴿صِبْغَةَ الله﴾ أي الزَمُوا صبغة الله لا صبغة النصارى أولادهم؛ وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام.

ومنه قوله: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] أي ما لها من تَنَظُّرٍ وتَمَكُّثٍ إذا بدأَتْ، ولذلك سمّاها ساعة لأنها تأتي بغْتَةً في ساعة.

وأصل الفَوَاقِ أن تُحلب الناقة ثم تُترك ساعة حتى يجتمع اللبن ثم تُحلَب فما بين الحَلْبَتَين فَوَاق، فاستعير الفَوَاق في موضع الانتظار.

ومنه قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ [الذاريات: ٥٩]، أي حظاً ونصيباً.

وأصلُ الذَّنوب: الدَّلْو، وكانوا يَسْتقون الماء، فيكون لهذا ذَنُوبٌ ولهذا ذَنُوبٌ، فاستُعيرَ في موضع النَّصِيب، وقال الشاعر(١):

إنّا إذا نازَعَنا شَرِيبُ ... لنا ذَنوبٌ وله ذَنوبُ

والعرب تقول: (أخي وأخوك أيّنا أبْطَشُ؟) يريدون: أنا وأنت نَصْطرع فنظر أيُّنا أَشدُّ؟ فَيكْنى عن نفسه بأخيه، لأن أخاه كنفسه.

وقال العَبْدِيّ(٢):

أخي وأخُوكَ ببطن النُّسَيْرِ ... ليس به مِنْ مَعَدٍّ عَرِيبُ

ويكنى عن أخيه بنفسه.

---

(١) يروى الرجز بلفظ:

لها ذَنُوبٌ ولكم ذَنُوبُ ... فإن أبيتم فلنا القَلِيبُ

والرجز بلا نسبة في لسان العرب (ذنب)، وتهذيب اللغة ١٤/ ٤٣٩، والمخصص ١٧/ ١٨، وكتاب العين ٨/ ١٩٠، وجمهرة اللغة ص ٣٠٦، وتاج العروس (ذنب).

(٢) يروى البيت بلفظ:

فعردةٌ فقفا حِبِرٌ ... ليس به من أهله عريبُ

والبيت بهذا اللفظ من مخلع البسيط، (وفي عجزه خلل بالوزن)، وهو لعبيد بن الأبرص في ديوانه ص ١١، وجمهرة اللغة ص ٢٧٥، ١١٦٤، وجمهرة أشعار العرب ص ٤٦١، وأمالي القالي ١/ ٢٥٠، وسمط اللآلي ص ٥٦٥، ومعجم البلدان (حبر)، وتاج العروس (عرد). والبيت برواية المؤلف لثعلبة بن عمرو العبدي في المفضليات ص ٢٥٤.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، أي لا تَعيبُوا إخوانكم من المسلمين؛ لأنهم كأنفسكم.

وقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي بأمثالهم من المسلمين.

وبعض المفسّرين يقول في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، أي على أهليكم، جعَلَهم أنفسهم على التّشبيه.

وقال: ابن عباس في تفسير ذلك: البيوتُ: المساجدُ، إذا دَخَلْتَها سَلِّمْتَ عَلى نفسك وعلى عباد الله الصالحين.

وقال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، أي إلى الجهاد الذي يُحْيي دينَكم ويُعْليكم.

وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، أي لا تقتلوا إخوانكم، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي أموال إخوانكم.

وإن جعلْتَهُ بمعنى لا يأكل بعضكم مال بَعْضٍ، ولا يَقْتُلْ بعضكم بعضاً ـ فهو أيضاً قريب المعنى من الأوّل.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١] أراد: خلقْنا آدم وصوَّرناه، فجعل الخلقَ لهم، إذ كانوا منه.

ومنه قوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾، [ق: ٣٧] أي عقل؛ لأن القلب موضعُ العقل، فكنى عنه به.

وقوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ [الطور: ٣٢]، أي تدلهم عقولهم عليه؛ لأن الحِلم يكون من العقل، فكنى عنه به.

ومنه قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر: ١٣] لأن التعذيب قد يكون بالسوط.

ومنه قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النساء: ١٥٧] يعني العِلْم، لم يتحقَّقُوه ويَسْتَيْقِنُوه. وأصل ذلك أن القتل للشيء يكون عن قهرٍ واستعلاءٍ وغلبةٍ. يقول: فلم يكن عِلمهم بقتل المسيح عِلماً أُحِيطَ به، إنما كان ظنّاً.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] أي كلَّ ذي مِخلَبٍ من الطير، وكلّ ذي حافرٍ من الدّواب كذلك قال المفسّرون:

وسمّى الحافر ظُفراً على الاستعارة، كما قال الآخر وذكر ضيْفاً طَرَقه[1]:

فَمَا رَقَدَ الوِلْدَانُ حتّى رَأَيْتُهُ ... على البَكْرِ يَمْرِيهِ بِسَاقٍ وحافِرِ

فجعل الحافرَ موضعَ القدَم.

وقال آخر[2]:

سَأَمْنَعُها أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَها ... إلَى مَلِكٍ أَظْلافُه لم تَشَقَّقِ

يريد بالأظْلاف: قَدَمَيْه، وإنما الأظلافُ للشاء والبقر.

والعرب تقول للرجل: (هو غليظُ المَشَافِرِ) تريد الشفتين، والمشافرُ للإبل.

وقال الحُطَيْئة[3]:

قَرَوْا جَارَكَ العَيْمَان لمّا جَفَوْتَهُ ... وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهْ

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٦].

قال ابن عباس: اليمين هٰهنا: القُوَّة. وإنما أقامَ اليمين مُقامَ القوّة، لأن قوة كل شيء في مَيامنه.

ولأهل اللغة في هذا مذهب آخر قد جَرى الناس على اعتيادِه: أنْ كان الله عز وجل أراده في هذا الموضع، وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة رجلٍ: خُذ بيده وافعل به كذا

---

(١) البيت من الطويل، وهو لجبيهاء الأسدي في لسان العرب (حفر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١١٠، وتاج العروس (حفر)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٣١٣، والمخصص ٦/ ١٣٤، وكتاب الصناعتين ص ٢٣٣، والموازنة ص ٣٦، والموشح ص ٩١.

(٢) البيت من الطويل، وهو لعقفان بن قيس بن عاصم في لسان العرب (ظلف)، وسمط اللآلي ص ٧٤٦، وتاج العروس (ظلف)، وبلا نسبة في كتاب الصناعتين ص ٢٣٤، والموازنة ص ٣٦، وجمهرة اللغة ص ١٣١٢، وأمالي القالي ٢/ ١٢٠.

(٣) يروى صدر البيت بلفظ:

سَقَوا جارك العيمان لما تركته

والبيت من الطويل، وهو في ديوان الحطيئة ص ٢٥، وجمهرة اللغة ص ١٣١٢، والموشح ص ٩١، والموازنة ص ٣٦، وكتاب الصناعتين ص ٢٣٣، والبيت بلا نسبة في المخصص ٤/ ١٣٦، ١٢/ ١٨١.

وكذا. وأكثرُ ما يقولُ السلطانُ والحاكمُ بعد وُجُوبِ الحُكم: خذ بيده واسفعْ بيده.

ونحوه قول الله: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥، ١٦] أي لَنَأْخُذَنَّ بها، ثم لَنُقيمنَّه ولنُذلّنَّه إما في الدنيا وإما في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمٰن: ٤١] أي يُجَرُّونَ إلى النار بنواصيهم وأرجلهم. ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [العلق: ١٦] وإنما يعني صاحبَها. والناس يقولون: هو مَشْؤُوم الناصية. لا يريدونها دون غيرها من البدن. ويقولون: قد مرّ على رأسي كذا. أي مَرّ عليّ.

فكأنه تعالى قال: لو كذب علينا في شيء مما يلقيه إليكم عنّا، لأمَرْنا بالأخذ بيده، ثُمّ عَاقَبْناه بقطع الوَتِين.

وإلى هذا المعنى ذهب الحسن فقال في قوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ [الحاقة: ٤٥]أي بالمَيَامِنِ، ثم عاقبناه بقطع الوتين، وهو: عِرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

ولم يُرد أنا نقطعه بعينه، فيما يَرَى أهلُ النظر، ولكنه أراد: ولو كذّبَ علينا لأَمَتْنَاه أو قتلناه، فكان كمن قُطِع وتِينُه.

ومثله قول النبي ﷺ: «ما زَالت أَكْلَةُ خَيْبَر تُعَاذُني، فَهَذَا أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَري»[(١)].

والأَبْهَرُ: عِرقٌ يتصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه. فكأنّه قال: فهذا أوان قتلني السّمّ، فكنت كمن انقطع أَبْهَرُه.

ومنه قوله سبحانه: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦] ذهب بعض المفسّرين فيه: إلى أنّ الله عز وجل يَسِمُ وجهَه يوم القيامة بالسّواد.

وللعرب في مثل هذا اللفظ مَذْهَبٌ نُخبر به، والله أعلم بما أراد.

تقولُ العرب للرجل يسُبُّ الرجل سبّةً قبيحة، أو يثْنُو عليه فاحِشَةً: وقد وَسَمَهُ بميسم سوءٍ. يريدون: أَلْصَق به عاراً لا يُفَارِقُه، كما أنّ السِّمَةَ لا تَنْمَحِي ولا يَعْفُو أَثَرُها.

وقال جرير[(٢)]:

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في المغازي باب ٨٣، والدارمي في المقدمة باب ١١، وأحمد في المسند ٦/ ١٨، والقاضي عياض في الشفا ١/ ٦٠٩، والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين ٣٣، والقرطبي في تفسيره ٥/ ١٦٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٢١٨٩، والذهبي في ميزان الاعتدال ٦٢٦٣، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢٣٩.

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوان جرير ص ٤٤٣.

لما وَضَعْتُ الفَرَزْدَقِ مِيسَمِي   وعلى البَعِيثِ، جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ

يريد: أنه وسَم الفرزدق وجَدَع أنف الأخطل بالهجاء، أي أبقى عليه عاراً كالجَدْعِ والوشم.

وقال أيضاً[١]:

رُفِعَ المَطِيُّ بما وسَمْتُ مُجَاشِعاً   والزِّنْبِرِيُّ يَعُومُ ذو الأَجْلالِ

يريد: أن هجاءه قد سارت به المطيّ، وغُنِّيَ به في البر والبحر. وقال[٢]:

وَأَوْقَدتُ نَارِي بالحديدِ فأصبَحتْ   لها وَهجٌ يُصْلِي بِهِ اللهُ مَنْ يُصْلِي

شَبَّهَ شِعرَهُ بالنَّار، وهجاءَهُ بمواسِم الحديد.

وقال الكُمَيت بن زيد يذكر قصيدة له[٣]:

تُعَلِّطُ أَقْوَاماً بِمَيْسِمِ بارِقٍ   وتَقْطِمُ أوباشاً زَنِيماً وَمُسْنَدَا

والعِلاط: سِمَةٌ في العُنُق.

وربما استعاروا للهجاء غيرَ الوَسْمِ، كقول الهذليّ[٤]:

---

(١) يروى البيت بلفظ:

رفع المطيّ بها وشمت مجاشعاً   كالزنبريّ يقاد بالأجلالِ

والبيت من الكامل، وهو لجرير في ديوانه ص ٩٥٥ (ورواية عجز البيت فيه كما في المتن). ولسان العرب (جلل)، وبلا نسبة في لسان العرب (زنبر)، وكتاب العين ٧/ ٢٨٦، وتاج العروس (زنبر).

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوان جرير ص ٤٦٢.

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان الكميت بن زيد ١/ ١٦٤.

(٤) الأبيات من المتقارب، والبيت الأول لأبي المثلم الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٣٠٦، وتاج العروس (حلأ)، (حيض)، (رهط)، (زها). ولسان العرب (رهط)، (زها)، وللهذلي في تهذيب اللغة ٦/ ١٧٥، ٣٧١، ٣٧٣، وبلا نسبة في كتاب العين ٤/ ٢٠، ٧٤، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٥١، ٣/ ٢٩، ومجمل اللغة ٢/ ٤٢٩، ٣/ ٢٧، والمخصص ٤/ ٣٦.

والبيت الثاني لأبي المثلم الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٣٠٧، وتاج العروش (أبأ)، (حلأ)، وللمتنخل الهذلي في لسان العرب (جلا)، وتاج العروس (جلو)، وللهذلي في جمهرة اللغة ص ١٠٤٥، وأساس البلاغة (فقع)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٩٣، وتهذيب اللغة ١١/ ١٧٦، والمخصص ١٥/ ١٢٢، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٤٣.

والبيت الثالث لأبي المثلم الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٣٠٧، وتاج العروس (أبأ)، (خوض)، وبلا نسبة في كتاب الجيم ٢/ ٤٢، وفيه: «المقرض»، بدل: «بالمخوض».

والبيت الرابع بلا نسبة في كتاب العين ١/ ٨٠.

مَتَى ما أشأْ غيرَ زَهْوِ المُلُو ... كِ أجْعلْكَ رَهْطاً على حُيَّضِ
وَأكْحُلْكَ بِالصَّابِ أو بِالجَلا ... فَفَقِّحْ لِكُحْلِكَ أو غَمِّضِ
وَأسْعُطْكَ في الأنْفِ ماءَ الأبا ... ءِ مِمَّا يُثَمَّلُ بِالمِخْوَضِ
جَهِلْتَ سُعوطَكَ: حتى ظَنَنْتُ ... بأنْ قد أُرِضْتَ، ولم تُؤْرَضِ

والرَّهطُ: جلدٌ تلبسه المرأة أيامَ الحيض.

والصابُ: شجرٌ له لبنٌ يحرقُ العين.

والجلا: كحلٌ يُحكُّ على حَجَرٍ ثم يُكتحل به.

والأباء: القَصَبُ، وماؤه شرُّ المياه.

ويقال: الأباء هٰهنا: الماء الذي تَشرب منه الأَرْوَى، فتبول فيه وتُدَمِّنُه. ويُثَمَّلُ: يُنقَع.

وهذه أمثال ضربها لما يهجوه به.

وقال آخر[1]:

سَأَكْسُوكُمَا يا ابْنَيْ يزيدَ بنَ جُعْشُمٍ ... رداءَيْنِ مِنْ قَارٍ وَمِنْ قَطِرَانِ

في أشباهٍ لهذا كثيرة.

وهذه الآية[2] نزلت في الوليد بن المغيرة، ولا نعلم أن الله عزّ وجل وصف أحداً وَصْفَهُ له، ولا بلغ من ذكرِ عيوبه ما بلغه من ذكرِها منه لأنه وصفَهُ بالحُلْفِ، والمهانة، والعيبِ للناس، والمشي بالنمائم، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدَّعوة.

فألحق به عاراً لا يفارقهُ في الدنيا ولا في الآخرة، كالوسم على الخرطوم، وأبيَنُ ما يكون الوَسْمُ في الوجه.

ومما يشهد لهذا المذهب، ما رواه سُفْيانُ، عن زكريا، عن الشَّعْبي في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: ١٣] أنه قال: العُتُلُّ: الشديد. والزَّنيم: الذي له زَنَمةٌ من الشَّرِّ يُعرفُ بها، كما تُعرفُ الشاةُ بالزَّنمة.

أراد الشَّعبي: أنه قد لحقته سُبّة من الدَّعوة عُرِفَ بها كزنَمِة الشّاة.

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في الشعر والشعراء ١/ ١٥٦، والمعاني الكبير ٢/ ٧٩٩، ١١٧٥.
(٢) يشير إلى الآية: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾.

ومنه قوله: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾ [المسد: ٤، ٥]،

قال ابن عباس: في رواية أبي صالح عنه: الحطب: النميمة وكانت تَنُمُّ وَتُؤَرِّش بين الناس.

ومن هذا قيل: (فلان يَحْطِبُ عَلَيَّ) إذا أغرى به، شبّهوا النّميمةَ بالحطَبِ، والعداوةَ والشحناء بالنار؛ لأنهما يقعان بالنميمة، كما تلتهب النار بالحطب. ويقال: نار الحِقْد لا تَخْبُو فاستعاروا الحطب في موضع النميمة. وقال الشاعر وذَكَر امرأة[1]:

مِنَ البِيْضِ لَمْ تَصْطَدْ عَلَى حَبْلِ سَوْأَةٍ وَلَمْ تَمْشِ بَيْنَ الْحيِّ بالحَظِرِ الرَّطْبِ

أي لم تُوجَد على أمر قبيح، ولم تمْشِ بالنمائم والكَذِب.

والحَظِر: الشّجر ذو الشَّوكِ يُحْظَرُ به.

وقال آخر[2]:

فَلَسْنَا كمن تُزْجَى المقالةُ شَطْرَهُ
بقَرفِ العِضَاهِ الرَّطْبِ وَالعَبَلِ اليَبْسِ

وقال بعض المتقدمين: كانت تُعيِّرُ رسول الله، ﷺ، بالفقر كثيراً، وهي تَحْتَطِب على ظهرها بحبل من ليف في عنقها.

ولستُ أدري كيف هذا لأنّ الله عز وجل وصفه بالمال والوَلد، فقال: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ٢].

وأما المَسَدُ، فهو عند كثير من الناس: اللّيف دون غيره. وليس كذلك؛ إنما المسَدُ: كلّ ما ضُفِر وفُتِلَ من اللّيف وغيره، يقال: مَسَدت الحَبْل مَسْداً إذا فَتَلْته، فهو مَسَدٌ. كما تقول: نفضتُ الشّجرة نفْضاً وَخَبَطْتُها خَبْطاً. واسم ما يسقط من ثمرها وورقها: نَفَضٌ وَخَبَطٌ، ومنه قيل: رجل مَمْسُودُ الخَلْق؛ إذا كان مَجْدُولاً مفْتولاً.

---

(١) يروى البيت بلفظ:

من البيض لم تُضطَدْ على ظهر لأمةٍ ولم تمشِ بين الحي بالحطب الرطبِ

والبيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (حطب)، (حظر)، (برعم)، ومجمع الأمثال ١/ ١٧٩، ومقاييس اللغة ٢/ ٧٩، وأساس البلاغة (حظر)، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٩٤، ٤٥٥، وجمهرة اللغة ص ١٢٨٨، وتاج العروس (حطب)، (حظر).

(٢) البيت من الطويل، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

ويدلُّكَ على أن المَسَد قد يكون من غير الليف، قولُ الرّاجز[1]:

يـا مَـسَـدَ الـخُـوصِ تـعـوَّذْ مِـنِّـي   إنْ تَـكُ لَـدْنـاً لَـيِّـنـاً فـإنّـي

مَـا شِـئْـتَ مِـنْ أَشْـمَـطَ مُـقْـسَـئِـنِّ

فجعله هذا من خُوص.

وقال آخر[2]:

وَمَـسَـدٍ أُمِـرَّ مِـنْ أَيَـانِـقِ   لَـسْـنَ بِـأَنْـيَـابٍ ولا حَـقَـائِـقِ

فجعله هذا من جلود الإبل.

وأراد الله، تبارك وتعالى، بهذا الحبل السلسلَة التي ذكرها، فقال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]. كذلك قال ابن عباس.

فيجوز أن يكون سمّاها مَسَداً، وإن كانت حديداً أو ناراً أو ما شاء الله أن تكون، بالضَّفْر والفَتْل.

ومنه قوله سبحانه: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧].

قال قتادة والحسن: اللهو: المرأة:

وقال ابن عباس: هو الولد.

والتفسيران متقاربان؛ لأن امرأة الرجل لَهْوه، وولدَه لهوُه ولذلك يقال: امرأة الرجل وولده رَيْحَانَتَاهُ.

وأصل اللهو: الجماع، فكُنِّيَ عنه باللهو، كما كُنِيَ عنه بالسِّرِّ، ثم قيل للمرأة لَهْوٌ لأنها تُجامَع. قال: امرؤ القيس[3]:

(١) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (مسد)، (قسن)، وتاج العروس (مسد)، (قسن)، وجمهرة اللغة ص ١٠٨٩، ١٢٢٠، وكتاب العين ٥/ ٧٩، ومقاييس اللغة ٥/ ٨٧، والمخصص ٢/ ٩٥، وتهذيب اللغة ٨/ ٤٠٩، ١٢/ ٣٨٠.

(٢) الرجز لعمارة بن طارق في لسان العرب (حقق)، وتاج العروس (مسد)، (حقق)، (نوق)، ولعثمان بن طارق في لسان العرب (زهق)، ولعمارة بن طارق أو لعقبة الهجيمي في التنبيه والإيضاح ٢/ ٥٣، ولسان العرب (مسد)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٣/ ٣٨٠، ١٢/ ٣٨٠، وجمهرة اللغة ص ٧٨٥، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٢٣، ومجمل اللغة ٤/ ٣٢٨، وأساس البلاغة (مسد).

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان امرىء القيس ص ٢٨، وجمهرة اللغة ص ١٢١، وبلا نسبة في =

أَلا زَعَمَتْ بَسْبَاسَةُ اليومِ أنَّني ... كَبِرْتُ وألا يُحسِنَ اللهوَ أمثالي

أي النكاح.

ويروى أيضاً: (وألا يحسن السر أمثالي)[١]: أي النكاح.

وتأويل الآية: أن النَّصارى لما قالت في المسيح وأمّه ما قالت، قال الله جل وعز: لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً، أي صاحبةً وولداً، كما يقولون، لاتخذْنا ذلك مِنْ لَدُنَّا، أي من عندنا، ولم نتَّخذه من عندكم لو كُنَّا فَاعِلِين ذلك، لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجه يكونان عنده وبحضرته لا عند غيره.

وقال الله في مثل هذا المعنى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، يعني الملائكة.

ومنه قوله سبحانه: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وأصل الذَّوَاقِ: بالفم، ثم قد يُستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول في الكلام: نَاظِرْ فُلاناً وذُقْ ما عنده، أي تَعَرَّفْ واختبر، واركب الفرس وذُقْه.

قال الشمَّاخ في وصف قَوْس[٢]:

فَذَاقَ فَأَعْطَتْهُ من اللِّين جَانِباً ... كَفَى وَلَهَا أَنْ تُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

يريد: أنه ذاق القَوسَ بالنَّزْعِ فيها ليعلم أَلَيِّنَةٌ هي أم صُلبةٌ؟

وقال آخر[٣]:

وإنَّ الله ذَاقَ حُلُومَ قَيْسٍ ... فَلَمَّا رَاءَ خِفَّتَهَا قَلاهَا

= لسان العرب (لها)، وتاج العروس (لها). ويروى عجز البيت:

كبرت وأن لا يحسن السرَّ أمثالي

والبيت بهذا اللفظ في ديوان الأدب ٣/ ٣٠.

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) يروى عجز البيت بلفظ:

لها ولها أن يُغرق السهمَ حاجزُ

والبيت من الطويل، وهو في ديوان الشماخ ص ١٩٠، وأساس البلاغة (ذوق)، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٦٣، وجمهرة أشعار العرب ص ٨٣٢، ولسان العرب (ذوق)، وتاج العروس (ذوق)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٢/ ٣٦٥، والمخصص ٦/ ٤٧.

(٣) البيت من الوافر، وهو ليزيد بن الصعق في كتاب الحيوان ٥/ ١٥.

وهذه الآية نزلت في أهل مكة، وكانوا آمنين بها لا يُغَارُ عليهم، مطمئنين لا يَنتَجِعُونَ ولا يتنقَّلون، فأبدَلهم الله بالأمن الخوفَ من سَرَيَا رسول الله ﷺ وبُعُوثِهِ، وبالكفاية الجوعَ سبع سنين، حتى أكلوا القِدَّ والعِظَامَ.

ولباسُ الجوع والخوف: ما ظهر عليهم من سوء آثارهما بالضُّمْرِ والشُّحوب ونَهكَةِ البدن، وتغيّر الحال، وكُسُوف البال.

وقال في موضع آخر: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٦]، أي ما ظهر عنه من السَّكِينَةِ والإِخْباتِ والعمل الصالح، وكما تقول: تعرَّفْتُ سوء أثرِ الخوف والجوع على فلان، وذقت بمعنى: تعرفتُ واللِّبَاسُ: بمعنى سوء الأثر ـ كذلك تقول: ذقتُ لِبَاسَ الجوع والخوف، وأذاقني الله ذلك.

ومنه قوله: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١] يعني الملائكة، يريد: أنها متابعة يتلو بعضها بعضاً بما تُرْسَلُ به من أمر الله عز وجل.

وأصلُ هذا من عُرْف الفرس؛ لأنه سطرٌ مستوٍ بعضُه في إثْرِ بعض. فاستُعِيرَ للقوم يتبع بعضُهم بعضاً.

ومنه يقول الناس: هُمْ إليه عُرْفٌ وَاحِدٌ، إذا كثروا وتتابعوا في توجُّههم إليه.

ويقال: أُرْسِلْتُ بالعُرْفِ أي بالمعروف.

ومنه قوله سبحانه: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] والاستدراج: أن يُدنيَهم من بأسه قليلاً قليلاً من حيث لا يعلمون، ولا يباغتَهم ولا يجاهِرَهم. ومنه يقال: دَرجْتُ فلاناً إلى كذا وكذا، واسْتَدْرِجْ فُلاناً حتى تعرف ما عنده وما صنع. يُرَادُ لا تجاهره ولا تهجم عليه بالسؤال، ولكن استخرج ما عنده قليلاً قليلاً.

وأصل هذا من الدَّرَجة، وذلك أن الراقي فيها النازلَ منها ينزل مِرْقاةً مِرْقاةً، فاستُعيرَ هذا منها.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي يُمسكون عن العطية. وأصل هذا: أن المُعْطِيَ بيده يمدُّها ويبسطها بالعطاء، فقيل لكل من بخل وَمَنَعَ: قد قَبَضَ يدَه.

ومنه قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة: ٦٤] أي: مُمْسِكَةٌ.

ومنه قوله: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢]: أي دنَوا من الهلاك. وأصل

هذا: أن العَدُوّ إذا أحاط بقوم أو بلدٍ فحاصَرَهُ فقد دنا أهله من الهَلَكَةِ. وقال في موضع آخر: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢].

ومنه قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان: ٢٩] تقول العربُ إذا أرادت تعظيم مهلكِ رجل عظيم الشأن، رفيع المكان، عامّ النفع، كثير الصنائع: أظلمت الشمس له، وكسَفَ القمرُ لفقده، وبكَته الرّيحُ والبرقُ والسماءُ والأرضُ.

يريدون المبالغة في وصف المصيبة به، وأنها قد شمِلت وعمَّت. وليس ذلك بكذب؛ لأنهم جميعاً مُتَواطِئُون عليه، والسَّامِعُ له يَعرف مذهب القائل فيه.

وهكذا يفعلون في كل ما أرادوا أن يعظّموه ويَسْتَقْصوا صفته. ونيَّتُهمْ في قولهم: أظلمت الشمس، أي كادت تُظلم، وكَسَفَ القمر، أي كاد يَكسِف.

ومعنى كاد: همَّ أن يفعَلَ ولم يفعل. وربما أظهروا كاد، قال ابن مُفَرِّغ الْحِمْيَرِيّ يرثي رجلاً[١]:

الـرِّيـحُ تَـبْـكِـي شَـجْـوَهُ ... والـبَـرْقُ يَـلْـمَـعُ فـي غَـمَـامَـهْ

وقال آخر[٢]:

الشَّمسُ طَالِعةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ ... تَبْكِي عَلَيْكَ، نُجُومَ اللَّيْلِ والقَمَرا

أرادَ: الشمسُ طالعةٌ تبكي عليك، وليست مع طلوعها كاسِفةً النجومَ والقمرَ؛ لأنها مظلمةٌ، وإنما تَكْسِفُ بضوئها، فَنُجُومُ الليل باديةٌ بالنهار.

وهذا كقوله النابغة وذكر يوم حرب[٣]:

---

(١) يروى البيت بلفظ:

الـريـح تـبـكـي شـجـوهـا ... والـبـرق يـضـحـك فـي الـغـمـامـة

والبيت من مجزوء الكامل، وهو لابن مفرغ في ديوانه ص ٢٠٨، ولسان العرب (درك)، وتفسير البحر المحيط ٧/ ٣٦، وأمالي المرتضى ١/ ٣٩، ٢/ ٩٦، وشرح شواهد الشافية ص ٣٦، والبيت بلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠١، والأضداد لابن الأنباري ص ٣٧٢.

(٢) البيت من البسيط، وهو لجرير في ديوانه ص ٧٣٦، والأشباه والنظائر ٥/ ٣٠٧، وأمالي المرتضى ١/ ٥٢، وشرح شواهد الشافية ص ٢٦، والعقد الفريد ١/ ٩٦، ولسان العرب (كسف)، (بكى)، وبلا نسبة في لسان العرب (شمس).

(٣) البيت من البسيط، وهو في ديوان النابغة الذبياني ص ٨٣، وخزانة الأدب ٢/ ١٣٣، ١٣٤، والشعر والشعراء ١/ ١٢٥، والبيت بلا نسبة في رصف المباني ص ٤١٨، ولسان العرب (روح).

تَبْدُوا كَوَاكِبُهُ والشمسُ طالِعةٌ　　　لا النُّورُ نورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ

ونحوه قول طَرَفة في وصف امرأة(١):

إنْ تُنَوِّلْهُ فَقَدْ تَمْنَعُهُ　　　وَتُرِيهِ النجمَ يَجْرِي بالظُّهُرْ

يقول: تُشَقُّ عليه حتى يُظلَم نهارُه فيرَى الكواكب ظهراً.

والعامة تقول: أراني فلانٌ الكواكبَ بالنهار، إذا بَرَّح به.

وقال الأعشى(٢):

رَجَعْتَ لِمَا رُمْتَ مُسْتَحْسِراً　　　تَرَى لِلكواكب ظُهْراً وَبِيصا

أي: رجعتَ كئيباً حسيراً، قد أظلَم عليكَ نهارُك، فأنت ترى الكواكب تُعالِي النَّهارَ بريقاً.

وقد اختلف الناس في قول الله عز وجل: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩].

فذهب به قومٌ مَذاهِبَ العرب في قولهم: بكته الريحُ والبرق. كأنه يريد أنَّ الله عز وجل حِينَ أهلكَ فرعون وقومَه وغرَّقَهم وأوْرَثَ منازِلهم وجنَّاتِهم غيرَهم ـ لم يَبْكِ عليهم باكٍ، ولم يجزع جازعٌ، ولم يُوجَدْ لهم فَقْدٌ.

وقال آخرون: أراد: فما بكى عليهم أهلُ السماء ولا أهل الأرض. فأقامَ السماءَ والأرضَ مقامَ أهلهما، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أراد أهلَ القرية.

وقال: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]، أي يضع أهلُ الحربِ السِّلاح.

وقال ابن عباس: لكل مؤمنٍ بابٌ في السماء يصعَدُ فيه عمله، وينزل منه رزقه، فإذا مات بكى عليه البابُ، وبكت عليه آثارُه في الأرض ومُصَلاّه. والكافر لا يَصْعد له عمل، ولا يبكي له باب في السماء ولا أثرُهُ في الأرض.

ومن هذا الباب قول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [القلم: ٥١] يريد أنهم ينظرون إليك بالعداوة نظراً شديداً يكاد يُزْلِقُكَ من شِدَّته، أي يُسقِطك.

---

(١) البيت من الرمل، وهو في ديوان طرفة بن العبد ص ٥٢، وتهذيب اللغة ١٠/ ٤٠٣، ١٥/ ٣٧١، ومجمل اللغة ٨/ ٣٣٢، وأساس البلاغة (نول)، وتاج العروس (نول)، وفيه: «في الظهر» بدل: «بالظهر». والبيت بلا نسبة في لسان العرب (نول).

(٢) البيت من المتقارب، وهو في ديوان الأعشى ص ٢٥٥.

ومثله قول الشاعر[١]:

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوْا فِي مَوْطِنٍ نَظَراً يُزِيلُ مَوَاطِئَ الأَقْدَامِ

أي ينظر بعضهم إلى بعضٍ نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يزيل الأقدام عن مواطئها.

فتفهَّم قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي يقاربون أن يفعلوا ذلك، ولم يفعلوا. وتفهَّم قول الشاعر: (نظراً يُزيلُ) ولم يقل: يَكادُ يزيل؛ لأنه نواها في نفسه.

وكذلك قول الله عز وجل: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾ [مريم: ٩٠] إعظاماً لقولهم.

وقوله جل وعز: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

إكباراً لمكرهم. وقرأها بعضهم: ﴿وَإِن كاد مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

وأكثرُ ما في القرآن من مثل هذا فإنه يأتي بِكادَ، فما لم يأت بكَاد ففيه إضمارها، كقوله: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، وأي كادت من شدَّة الخوف تبلغُ الحُلوقَ: .

وقد يجوز أن يكون أراد: أنها ترجفُ من شدّة الفَزَع وتجفُ ويتصلُ وَجِيفُها[٢] بالحلوق، فكأنها بلغت الحلوقَ بالوَجِيبِ. وهم يصفون القلوب بالخفقان، والنَّزْو عند المخافة والذُّعر.

قال الشاعر في وصف مفازةٍ تَنْزُو من مَخَافَتِهَا قُلوبُ الأدِلاَّء[٣]:

كَأنَّ قُلُوبَ أَدْلاَئِهَا مُعَلَّقَةٌ بِقُرون الظِّبَاءِ

وهذا مثل قوله امرىء القيس[٤]:

---

(١) البيت من الكامل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (قرض)، (زلق)، وتاج العروس (قرض)، (زلق)، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٤٢، ٤٣٢، ومقاييس اللغة ٣/ ٢١، وتفسير غريب القرآن ص ٤٨٢، وكتاب الصناعتين ص ٢٨١، والبيان والتبيين ١/ ١١، وتفسير القرطبي ٢/ ٢٥٦، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٣١٧.

(٢) الوجيف: الاضطراب والخفق.

(٣) البيت من المتقارب، وهو للمرار الفقعسي في تأويل مختلف الحديث ص ٤٤٨، والحماسة البصرية ٢/ ٣٦٢، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ٢/ ٩، وأساس البلاغة (عفر).

(٤) يروى صدر البيت بلفظ:

وَلا مِثْلِ يَومٍ في قُذارِ ظَلِلْتُهُ ... كأنّي وَأَصْحابِي على قَرْنِ أَعْفَرَا

أي كأنّا من القلق على قرن ظبي، فنحن لا نستقر ولا نسكن.

وكان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفَنّ، وينسبها فيه إلى الإفْرَاط وتجاوز المقدار. وما أرى ذلك إلا جائزاً حَسَناً على ما بيَّنَّاه من مذاهبهم.

كقول النابغة في وصف سيوف[1]:

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ المُضَاعَفَ نَسْجُهُ ... وتُوقِدُ بالصَّفَاحِ نَارَ الحُباحِبِ

ذكر أنها تقطع الدّروعَ التي هذه حالُها، والفارسَ حتى تبلغَ الأرضَ فتُورى النار إذا أصابت الحجارة.

وقول النَمِر بن تَوْلَب في صفة سيف[2]:

تَظَلُّ تَحْفِرُ عنهُ إنْ ضَرَبْتَ بهِ ... بَعدَ الذِّرَاعَيْنِ والسَّاقَيْنِ والهادِي

يقول: رسب في الأرض بعد أن قطع ما ذكر، واحتاج أن يحفر عنه ليستخرجه من الأرض.

ومثله قول مُهَلهِل[3]:

ولولا الرِّيحُ أَسْمَعَ أهلَ حَجْرٍ ... صليلَ البَيضِ تُقْرَعُ بالذُّكُورِ

= ولا مثل يوم في قذاران ظِلْتُهُ

والبيت من الطويل، وهو في ديوان امرىء القيس ص ٧٠، ولسان العرب (عفر)، وتهذيب اللغة ٢/ ٣٥٤، وتاج العروس (عدد)، وفيه: «عندرا»، بدل: «أعفرا»، (عفر)، (قدر)، (حمل)، وأساس البلاغة (عفر)، والبيت بلا نسبة في مجمل اللغة ٣/ ٣٨٥.

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان النابغة الذبياني ص ٤٦، ولسان العرب (حجب)، (صفح)، (سلق)، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٨، ٣/ ٢٩٣، والتنبيه والإيضاح ١/ ٥٨، ومجمل اللغة ٢/ ٢٨، وكتاب العين ٥/ ٧٧، وتهذيب اللغة ٤/ ٢٥٧، ٨/ ٤٠٤، وجمهرة اللغة ص ١٧٤، وبلا نسبة في كتاب العين ٣/ ١٢، وجمهرة اللغة ص ٨٥١، وتاج العروس (حبب)، (صفح)، (سلق).

(٢) البيت من البسيط، وهو للنمر بن تولب في الشعر والشعراء ١/ ٢٧٠، والوساطة ص ٤٣٥، ونقد الشعر ص ١٨، والعمدة ٢/ ٥٨، وكتاب الصناعتين ص ٢٨٣، والموشح ص ٧٨، والأغاني ١٩/ ١٦٢، وإعجاز القرآن ص ٧٧، وديوان المعاني ٢/ ٥١.

(٣) البيت من الوافر، وهو للمهلهل في أمالي القالي ٢/ ١٣٤، وأمالي اليزيدي ص ١٢، والكامل ١/ ٣٥٠، والعمدة ٢/ ٥٩، والعقد الفريد ٥/ ٢٠، والوساطة ص ٤٣٥، والشعر والشعراء ١/ ٢٥٦، والحيوان ٦/ ٤١٨، والأغاني ٤/ ١٤٧، ومعجم الشعراء ص ٣٣١، والبيان والتبيين ١/ ١٢٤، والموشح ص ٧٤، ونقد الشعر ص ٨٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ١٨٥.

وقال قيس بن الخطيم يَصِف طعنة[1]:

مَلَكْتُ بها كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَها ... يَرَى قائِمٌ مِنْ دُونِها مَا وَرَاءَها

وقال أيضاً[2]:

لَوْ أنَّكَ تُلْقِي حَنْظَلاً فَوْقَ بَيْضِنَا ... تَدَحْرَجَ عن ذِي سَامِةِ المُتَقَارِبِ

يقول: تَرَاصَّ القومُ في القتال حتى لو أن ملقياً ألقى على بيضهم حنظلاً لجرى عليها كما يجري على الأرض ولم يسقط لِشِدَّة تَرَاصُفِهِمْ.

و (عن) بمعنى (على).

وذو سامه: بيضه المذهب. والسَّامُ: عُروق الذّهب.

وقول عنترة[3]:

وأنا المَنِيَّةُ في المَواطِنِ كلها ... والطَّعْنُ مِنّي سَابِقُ الآجالِ

وقال بشار[4]:

إذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ... هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَما

وقال طُرَيْح الثقفي[5]:

لَوْ قُلْتَ للسَّيل: دع طريقَكَ والـ ... ـموج عليه بالهَضْب يَعْتَلِجُ

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان قيس بن الخطيم ص ٤٦، وديوان الأدب ٢/ ٣٠١، وتهذيب اللغة ٦/ ٢٧٧، ١٠/ ٢٧١، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٨٤، وشرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي ١/ ٩٥، ولباب الأدب ص ١٨٤، والأغاني ٣/ ٥، وتاج العروس (نهر)، (ملك)، والمعاني الكبير ص ٩٧٨، ٩٨٣، ١٠٦٢، ١٠٨٠، ولسان العرب (نهر)، (ملك)، والبيت بلا نسبة في المخصص ٣/ ١٣٣، ٤/ ١٩، ٦/ ٨٩، ١٠/ ٣٠، ١٧/ ١٥٧.

(٢) البيت من الطويل، وهو لقيس بن الخطيم في ديوانه ص ٨٦، وأدب الكاتب ص ٥١٣، ولسان العرب (سوم)، وبلا نسبة في الاشتقاق ص ١٠٩، ومجالس ثعلب ص ١٨٤.

(٣) البيت من الكامل، وهو في ديوان عنترة ص ١٠٦ (طبعة دار الكتب العلمية)، والوساطة ص ٤٣٤.

(٤) البيت من الطويل، وهو لبشار بن برد في ديوانه ٤/ ١٦٣، والأغاني ٣/ ١٥٦، والعمدة ص ٢٥٣، والمختار من شعر بشار ص ١٦٣، والأزمنة والأمكنة ٢/ ٣٥، والشعر والشعراء ٢/ ٧٣٦، والموشح ص ٢٤٨، والحيوان ٦/ ١١٢، وللغنوي في لسان العرب (حجب)، وتهذيب اللغة ٤/ ١٦٣، وللقحيف بن عمير العقيلي في لسان العرب (غشم)، وتاج العروس (حجب)، ويروى: «أو مطرت دماً»، بدل: «أو قطرت دماً».

(٥) البيتان من المنسرح، وهما لطريح بن إسماعيل الثقفي في ديوانه ص ٤٠٦، ولسان العرب (ولج)، والشعر والشعراء ٢/ ٦٦٠، والأغاني ٤/ ٨٠، ٨١.

لارتــدَّ أوْســاخ أو لَــكــانَ لــهُ فــي سَـائِـر الأرْضِ عـنـك مُـنْـعَـرَجُ

وقال ابن ميّادة[١]:

ولو أنّ قَيْساً قيسَ عَيلانَ أقْسَمَتْ على الشَّمسِ لَمْ تطلُع عليك حِجابُها

وقال الطِّرِمّاح[٢]:

وَلَوْ أنَّ حُرْقوصاً على ظَهْرِ قَمْلَةٍ يَكُرُّ على صَفَّي تميمٍ لَوَلَّتِ

وقال آخر يذكر حديث امرأة[٣]:

حَديثٌ لو أنّ اللَّحْمَ يَصْلَى بِحَرِّهِ غَرِيضاً أتَى أصْحَابَهُ وَهُوَ مُنْضَجُ

وقال أبو النجم يذكر سيلاً[٤]:

كـأنَّ فَـوْقَ الأُكْـمِ مِـنْ غُـثَـائِـهِ قـطـائِـف الـشّـام عـلـى عَـبـائـهِ

والـشِّـيـحَ يَـهْـدِيـهِ إلَـى طَـخْـمَـائِـهِ

يقول: صار الجبلُ والسهل واحداً، وصار الغُثاءُ على رؤوس الأُكم.

والطَّخماء: شجر ينبت في الجبال.

والشِّيحُ ينبت في السّهول، فأراد أنّه حَمَل نَبتَ السهل إلى الجبل.

وقال وذكر ظَليماً يَغدُو ويطير[٥]:

هَــاوٍ تَـضِــلُّ الـطَّـيــرُ فــي خَــوائِــهِ

والخَوَاءُ: ما بين قوائمه وبطنه، وبين الأرض إذا عدا وطار. يريد أن الطير يطير بينه وبين الأرض حتى يَضِلَّ.

وقد يُرْوَى[٦]:

---

(١) البيت من الطويل، وهو لابن ميادة في ديوانه ص ٧٨، والأغاني ٢/ ١١٧.

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوان الطرماح ص ١٣٢ـ ١٣٣، والمعاني الكبير ٢/ ٦٨٠، والشعر والشعراء ٢/ ٥٦٨، وكتاب الصناعتين ص ٢٨٤، وحماسة ابن الشجري ص ١٢٦، وكتاب الحيوان ٦/ ٤٥٤.

(٣) البيت من الطويل، وهو لجران العود في عيون الأخبار ٤/ ٨٢، وليس في ديوانه، ولأم الضحاك المحاربية في أمالي القالي ٢/ ٧٦، وزهر الآداب ٤/ ٨٨.

(٤) الرجز في كتاب الحيوان ٣/ ٣٨٩، ورواية الشطر الأخير فيه:

والـشـيـخ تـهـديـه إلـى طـحـمـائـه

(٥) انظر الحاشية السابقة.

(٦) ويروى الرجز أيضاً بلفظ:

تَضِلُّ الرِّيحُ فِي خَوَائِهِ

وقال الكُمَيْت وذكر الرِّياح[١]:

تَرَامَى بِكَذَّانِ الإِكَامِ وَمَرْوِهَا تَرامِيَ وُلْدَانِ الأَصَارِمِ بالخَشْلِ

أراد أن الرياح ترامى بالحجارة الكبار، كما يَتَرَامَى الصِّبيان بنوى المُقْلِ.

وقال آخر[٢]:

زَعَمت غُدَانَةُ أَنَّ فِيها سَيِّداً ضَخْماً يُوَازِنُه جَناحُ الجُنْدَبِ

يُرْوِيه ما يُرْوِي الذُّبابَ فيَنتَشِي سُكراً وتشبِعُهُ كُرَاعُ الأَرْنَبِ

هذه الأبيات التي ذكرناها ومثلها في الشعر كثير.

والعرب تقول: له الطِّمُّ والرِّمُّ، إذا أرادوا تكثير ماله.

والطِّمُّ: البحر، والرِّمُّ: الثرى. وهذا لا يملكه إلا الله تعالى.

ويقولون: (فلان دون نائله العَيُّوق) ويقولون: (له الضِّحُّ والرِّيحُ) يريدون ما طلعت عليه الشمس، وجرت عليه الرِّيح.

ويقولون: (فلان يثير الكلاب عن مرابِضها) يريدون أنه لِشرَهِه ولؤمِه - يثيرها عن مواضعها، يَطلُب تحتها شيئاً فاضِلاً من طُعْمِها ليأكُلَه. وهذا ما لا يفعله بشر.

وقال الشاعر[٣]:

تَرَكُوا جارَهُم يَأْكُلُه ضَبُعُ الوادي ويَرميه الشَّجرْ

والشجر لا يرمي أحداً.

= يبدو خواءُ الأرضِ من خوائه

وهو لأبي النجم العجلي في لسان العرب (خوا)، وتهذيب اللغة ٧/٦١٦، وأساس البلاغة (خوي)، وتاج العروس (سلع)، (خوي)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٣٢، ٣٦٣، ١٠٥٧.

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان الكميت ٢/٩٧، وفيه: «بالخشْل» بسكون اللام، بدل: «بالخشلِ» بكسر اللام. ولسان العرب (كذذ)، وتاج العروس (كذذ).

(٢) يروى عجز البيت الأول بلفظ:

ضخماً يواريه جناح جندبِ

والبيتان من الكامل، وهما للأبيرد الرياحي في ديوانه ص ٢٧٣، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/١٠، والأغاني ١٣/١٤٢، والحيوان ٦/٣٥١، وثمار القلوب ص ٣٢٥.

(٣) البيت من الرمل، وهو بلا نسبة في كتاب الحيوان ٦/٥٦١.

وهذا كله على المبالغة في الوصف، وينوون في جميعه يكاد يفعل، وكلهم يعلمُ المراد به.

وقال آخر[(١)]:

إذَا رَأَيْتَ أَنْجُماً مِنَ الأَسَدْ جَبْهَتِهِ أو الخَرَاةِ والكَتَدْ

بالَ سُهَيْلٌ فِي الفَضِيخِ فَفَسَدْ وطَابَ أَلْبَانُ اللِّقَاحِ فَبَرَدْ

وهذا وقت يذهب فيه الفَضِيخُ؛ لأنه يكون من البُسْر، والبسر يصير عند طلوع هذه الأنجم رُطَباً، فلما كان فسادُه عن طلوع سُهَيل، وكان الشرابُ يفسد بأن يبال فيه ـ جَعَلَ سُهيلاً كأنه بالَ فيه لمّا أفسَدَهُ وقتَ طلوعِه.

وقال دُكَيْن[(٢)]:

وَقَدْ تَعَالَلْتُ ذَمِيلَ العَنْسِ بِالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالتُّرْسِ

إذ عَرَّجَ اللَّيلُ بروحِ الشَّمسِ

فجعل الشمس رُوحاً عرّج بها الليل.

والأصل في هذا كله: أن كلَّ حيوان يموت تُقْبَضُ روحُه، فلما أبطل الليل الشمس جعله كأنه قَبض لها رُوحاً.

وقال ذو الرُّمَّة يصف إبلاً في مسيرها[(٣)]:

إذَا اغْتَبَطَتْ نَجْماً فَغَار تَسَحَّرَت عُلالَةَ نَجْمٍ آخرَ اللَّيلِ طالِعِ

يقول: تهتدِي بكوكبٍ طلَع أوّلَ الليل، حتى إذا غاب اهتدت بكوكب آخر طالعٍ في السَّحر، ولم يُرِدْهَا، وإنما أراد رُكبانَها فجعلها تَغْتَبِق النَّجْمَ، وَتَتَسَحَّر بالنَّجْم.

---

(١) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (خرت)، (فضخ)، (كتد)، (بول)، (جبه)، وتهذيب اللغة ٦/٦٦، وتاج العروس (خرت)، (فضخ)، (كتد)، (جبه).

(٢) الشطران الأولان من الرجز لمنظور بن مرثد في مقاييس اللغة ٤/ ١٣، وبلا نسبة في تاج العروس (علل)، وأساس البلاغة (علل)، وديوان الأدب ٣/ ١٩٠، ولسان العرب (علل). ويروى الشطر الثالث مع شطر آخر بلفظ:

فِي أفقٍ وردٍ كلونِ الورسِ وعرّج الليلُ بُروجُ الشمسِ

والرجز لمنظور بن مرثد الأسدي في المؤتلف والمختلف ص ١٠٤، ولدكين بن رجاء الفقيمي في الحيوان ٣/ ٧٤، وله أو لأبي محمد الفقعسي في الحيوان ٣/ ٣٦٣، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٤/ ٣٠٤، وكتاب الجيم ١/ ٢٦٣، ٢/ ٣٢٤.

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ٣٧١، وفيه: «إذا اغتبقت» بدل: «إذا اغتبطت».

وقال مُزَرِّد[1]:

ولو أنَّ شَيْخاً ذا بَنِينَ كأنَّما ... على رَأسه مِنْ شامِلِ الشَيْبِ قَوْنَسُ
تُبَيِّتُ فيه العنكبوتُ بَناتِها ... نَوَاشِيءَ حَتَّى شِبْنَ أَوْ هُنَّ عُنَّسُ

وإنما أراد طول مكث العناكب في رأسه، فجعلهنّ قد شِبْنَ وَعَنَّسْنَ.

وأصل هذا: أنَّ المرأة إذا طال مُكثها في بيت أبيها لا تزوّج عَنَّسَت وشابت، فاستعار الشيب والتَّعْنيسَ مثلاً لطول مكث العناكب.

وقال المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ[2]:

دَعَا شَجَرَ الأرْضِ دَاعِيهِم ... لِيَنْصُرَه السِّدرُ والأثْأَبُ

أراد أنه دعا عليهم الخلق يستنصرهم، فضرب الشجر مثلاً لكثرة الناس والعوام تقول: جاءنا بالشوك والشجر. إذا جاء في جيش عظيم.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف: ٣١] أي طعاماً، يقال: اتَّكأْنا عند فلان، أي طَعِمنا.

وقال جميل[3]:

فَظَلِلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا ... وَشَرِبْنَا الحَلالَ مِنْ قُلَلِهْ

والأصل: أن من دعوته ليطعَم أعددت له التكأة للمُقام والطمأنينة فسمّى الطعام متّكئاً على الاستعارة.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: ٥٦] أي يقهرها ويذِلُّها بالمُلْكِ والسُّلطان. وأصل هذا: أن من أخذت بناصيته فقد قهرته وأَذْلَلْته، ومنه قيل في الدعاء: ناصيتي بيدك. أي أنت مالكٌ لي وقاهِرٌ.

ومنه قوله عز وجل: ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ﴾ [آل عمران: ٧٥] أي مواظباً بالاقتضاء والمطالبة. وأصله أن المُطالب بالشيء يقوم فيه ويتصرّف، والتارِكُ له يقعد عنه.

---

(١) البيتان من الطويل، وهما لمزرد بن ضرار في كتاب الحيوان ٥/ ٢١٩، والمعاني الكبير ص ٦٢٥.

(٢) البيت من المتقارب، وهو في ديوان المسيب بن علس ص ٦٠٢، والعمدة ١/ ٢٨٠.

(٣) البيت من الخفيف، وهو لجميل بن معمر (جميل بثينة) في ديوانه ص ١٨٩، ولسان العرب (قلل)، وأساس البلاغة (قلل)، (وكأ)، والأغاني ٨/ ٩٤، وخزانة الأدب ٢/ ٢٤، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٦٦، والمعاني الكبير ص ٤٥٧، وتاج العروس (قلل)، وبلا نسبة في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ١/ ٣٠٥.

قال الأعشى[(١)]:

يَقومُ على الوَغْم في قومِهِ فَيَعْفُو إذا شاءَ أَوْ يَنْتَقِمْ

أي يطالب بالذَّحْلِ[(٢)] ولا يقعد عنه.

وقال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] أي عاملة غير تاركة.

وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] أي آخذ لها بما كسبت.

ومنه قوله تعالى حكاية عن المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١] أي يقبل كلّ ما بلغه. والأصل: أن الأذن هي السامعة، فقيل لكل من صدَّق بكُلّ خبر يَسمَعُه: أُذُنٌ، ومنه يقال: آذنتك بالأمر فأَذِنت، كما تقول: أَعلمْتُكَ فعلمت، إنما هو أوقَعته في أُذنك. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي اعلموا، ومن قرأها (فَآذِنُوا) أراد فأَعْلِمُوا.

ومنه ما قالت الشعراء[(٣)]:

آذنتنا ببينها أسماءُ

ومنه الأَذَانُ إنما هو إعلام الناس وقت الصلاة.

وقولُه: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٣] أي إعْلام.

وكان المنافقون يقولون: إن محمداً أُذُن فقولوا ما شئتم، فإنا متى أتيناه فاعتذرنا إليه صَدَّقَنا. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] أي كان الأمر

(١) البيت من المتقارب، وهو في ديوان الأعشى ص ٨٩، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/ ١٢٧.

(٢) الذَّحْل: الثأر، أو طلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح أو نحو ذلك.

(٣) عجزه: رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

والبيت من الخفيف، وهو للحارث بن حلزة في ديوانه ص ١٩، والأغاني ١١/ ٣٦، وإنباه الرواة ٣/ ٩٤، وتخليص الشواهد ص ٤٧٢، وخزانة الأدب ٣/ ١٨١، ١٨٢، ٤١٥، وزهر الآداب ١/ ٥٦١، وشرح شواهد الشافية ص ٢٤٤، وشرح القصائد السبع ص ٤٣٢، ٤٣٣، وشرح القصائد العشر ص ٣٧٠، وشرح المعلقات السبع ص ٢١٦، وشرح المعلقات العشر ص ١١٩، والشعر والشعراء ١/ ٢٠٣، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٥١، والعقد الفريد ٥/ ٢٧٠، والعمدة ١/ ١١٤، ولسان العرب (أذن)، (ثفا)، (ثوا)، ومعاهد التنصيص ١/ ٣١٠، والمقاصد النحوية ٢/ ٤٤٥، وبلا نسبة في الخصائص ١/ ٣٤١، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٣١٧.

كما تذكرون، ولكنه إنّما ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١] أي يُصَدِّقُ الله ويصدِّق المؤمنين، لا أنتم، (والباء) و (اللام) زائدتان.

ومنه قوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣] أي قُتِلَ وَالنَّحْبُ: النَّذْرُ.

وأصل هذا: أنَّ رجالاً من أصحاب رسول الله، ﷺ، نذروا إن لَقوا العدُوَّ لَيَصْدُقُنَّ القتال أو لَيُقتَلُنَّ، هذا أو نحوه، فقُتِلوا، فقيل لِمَنْ قُتِلَ: قَضَى نَحْبَهُ. واستُعير النَّحْب مكان الأَجل؛ لأن الأجل وَقَعَ بالنَّحْب وكان النَّحْبُ له سبباً.

ومنه قيل للعطية: المَنّ؛ لأنَّ من أعطى فقد مَنَّ. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: ٦] أي لا تُعْطِ لتأخذ أكثرَ مما أُعْطَيت.

وقال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [ص: ٣٩]، أي فأعْطِ أو أَمْسِكْ.

وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩] مردود إلى قوله: ﴿هٰذا عَطَاؤُنَا﴾ بغير حساب.

بابُ المقلوب

ومن المقلوب: أن يُوصف الشيءُ بضدّ صفته للتطير والتفاؤل، كقولهم لِلّديغ: سليمٌ، تَطَيُّراً من السُّقم، وتفاؤلاً بالسّلامة. وللعطشان: نَاهِل أي سينْهَل. يَعْنُونَ: يَرْوَى. وللفلاة: مَفَازَة. أي منجاة، وهي مَهلَكَةٌ.

وللمبالغة في الوصف، كقولهم للشمس: جَوْنَةٌ، لشدّة ضوئها. وللغراب: أعْوَرُ؛ لحدّة بصره.

وللاستهزاء، كقولهم للحبشيّ: أبو البَيْضاء. وللأبيض: أبو الجَوْن.

ومن هذا قول قوم شُعَيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧].

كما تقول للرجل تستجهله: يا عاقل، وتستخفه: يا حليم.

قال الشاعر(١):

فقلتُ لِسَيِّدِنا: يا حَلِيـ ... ـمُ إنكَ لَمْ تأْسُ أَسْواً رَفِيقَا

قال قتادة: ومن الاستهزاء قولُ الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ۝١٢ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ۝١٣﴾ [الأنبياء: ١٢، ١٣].

وفي قول عَبيد بن الأبْرَص لِكِنْدَةَ - طَرَفٌ من هذا المعنى(٢):

هَلا سَأَلْتَ جُمُوع كِنْـ ... ـدَة يومَ وَلَّوْا: أَيْنَ أَيْنَا؟

يستهزىءُ بهم حين انهزموا، يريد أين تذهبون؟ ارجعوا.

---

(١) يروى البيت بلفظ:

قلت لسيدنا يا حكيـ ... ـم إنك لم تأسُ أسواً رفيقا

والبيت من المتقارب، وهو لشتيم بن خويلد في لسان العرب (خفق)، وكتاب الحيوان ٣/ ٨٢، ٥/ ٥١٧، وبلا نسبة في كتاب الأضداد ص ٣٢٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٤.

(٢) البيت من مجزوء الكامل، وهو في ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٤٢، ومختارات ابن الشجري ٢/ ٣٩، والشعر والشعراء ١/ ٢٢٤، والأغاني ١٩/ ٨٥، وبلا نسبة في كتاب الصناعتين ص ١٤٤، وإعجاز القرآن ص ٩٤، ومعاني القرآن للفراء ١/ ١٧٧.

وأما قول الله سبحانه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩].

فبعضُ الناس يَذْهَبُ به هذا المذهب، أي أنت الذليل المهان.

وبعضهم يريد: أنت العزيز الكريم عند نفسك. وهو معنى تفسير ابن عباس لأن أبا جهل قال: ما بين جبليها أعزُّ مني ولا أكرم، فقيل له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩].

ومن ذلك أن يسمّى المتضادّان باسم واحد، والأصل واحد.

فيقال للصبح: صَرِيمٌ، ولليل: صَرِيمٌ. قال الله سبحانه: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ [القلم: ٢٠]، أي سوداء كالليل؛ لأنّ الليل يَنْصَرِمُ عن النّهار، والنهار ينصرم عن الليل.

وللظُّلمة: سَدْفَةٌ. وللضوء: سُدفةٌ. وأصل السُّدْفة: السُّتْرَة، فكأن الظلام إذا أقبل سِتْرٌ للضّوء، والضوء إذا أقبل سِتْرٌ للظلام.

وللمستغيث: صارخ. وللمُغيث: صارخ؛ لأن المستغيث يصرخُ في استغاثته، والمُغيث يصرخُ في إجابته.

ولليقينُ: ظَنٌّ؛ لأنّ في الظن طَرَفاً من اليقين. قال الله عز وجل: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، أي يستيقنون. وكذلك: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحاقة: ٢٠]، ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]، و ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]؛ هذا كلّه في معنى (اليقين).

قال دُريد بن الصِّمة[(1)]:

فَقُلْتُ لَهُمْ: ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سراتُهمُ في الفارِسيِّ المُسَرَّدِ

أي تيقنوا بإتيانهم إيّاكم.

وكذلك جعلوا (عَسَى) شَكّاً ويقيناً، (ولعلَّ) شكّاً ويقيناً. كقوله: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]، أي ليهتدوا.

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان دريد بن الصمة ص ٤٧، ولسان العرب (ظنن)، والأصمعيات ص ١١٢، وجمهرة أشعار العرب ص ١١٧، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٩، والأضداد لابن الأنباري ص ١٢، والأغاني ٩/ ٤، وتفسير الطبري ١/ ٢٥٦، وتفسير البحر المحيط ١/ ١٨٥، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ٣٠٥، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري ٢٥/ ٨٣، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٨٨، وأسرار العربية ص ١٥٦، وشرح المفصل ٧/ ٨١، والمحتسب ٢/ ٣٤٢، ومجالس ثعلب ص ١٩٩.

وللمشتري: شارٍ، وللبائع: شارٍ؛ لأنَّ كلّ واحدٍ منهما اشترى.

وكذلك قولهم لكل واحدٍ منهما: (بائع) لأنه باع وأخذ عِوَضاً مما دفع، فهو(شارٍ) و (بائعٌ).

قال الله عز وجل: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ﴾ [يوسف: ٢٠]، أي باعُوه. وقال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال ابن مُفَرّغ(١):

وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ

(وبُرْدٌ): غلام كان له فباعه وندم على بيعه.

و (وراء) تكون بمعنى (خَلْف) وبمعنى (قُدَّام).

ومنها المُواراةُ والتَّوارِي. فكلُّ ما غاب عن عينك فهو وراءٌ، كانَ قُدَّامَك أو خلفك.

قال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، أي أمامهم.

وقال: ﴿مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠]، أي أمامهم.

وقال: ﴿وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧].

وقالوا للكبير: (جَلَلٌ)، وللصغير: (جَلَلٌ)؛ لأنَّ الصغير قد يكون كبيراً عند ما هو أصغر منه، والكبير يكون صغيراً عند ما هو أكبر منه، فكلّ واحدٍ منهما صغير كبير.

ولهذا جُعلت (بعض) بمعنى (كلّ)؛ لأنَّ الشيء يكون كلُّه بعضاً لشيءٍ، فهو بعضٌ وكُلٌّ.

وقال عز وجل: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣] (وكلٌ) بمعنى (بعض)، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، و ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وجُعلتْ (فوق) بمعنى (دون) في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن

(١) البيت من مجزوء الكامل، وهو في ديوان يزيد بن مفرغ ص ٢١٣، ولسان العرب (برد)، (شرى)، والشعر والشعراء ١/ ٣٢١، والأغاني ١٧/ ٥٥، ومجاز القرآن ١/ ٤٨، ٣٠٤، وأمالي المرتضى ٢/ ٩٥-٩٦.

يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٦]، أي فما دونها؛ لأن (فوق) قد تكون (دون) عند ما هو فَوْقَها، و (دون) قد تكون (فوق) عند ما هو دونَها.

و (خشيتُ) بمعنى: (علمت). قال عز وجل: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]، أي عَلِمْنا. وفي قراءة أُبَيّ: ﴿فَخَافَ رَبُّكَ﴾.

ومثله: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقوله: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البقرة: ١٨٢]، أي علم.

وقوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١]؛ لأنَّ في الخشية والمخافة طَرَفاً من العلم.

و (رَجَوْتُ) بمعنى: (خِفْتُ). قال الله سبحانه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣]، أي: لا تخافون لله عظمته؛ لأن الرّاجيَ ليس بمستيقن، ومعه طَرَفٌ من المخافة.

قال الهُذَليّ[1]:

إذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها وَحَالَفَها في بَيْتِ نوبٍ عَوَامِلِ

أي: لم يخفها.

و (يئستُ) بمعنى: (علمتُ) من قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ [الرعد: ٣١]؛ لأنّ في علمك الشيء وتيقُّنك له يأسَك من غيره.

قال لبيد[2]:

---

(١) البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٤٤، وتهذيب اللغة ١١/ ١٨٢، والمخصص ٨/ ١٧٨، ١٧/ ١١، وتاج العروس (نوب)، (حلف)، وكتاب الجيم ٢/ ٤١، وأساس البلاغة (نوب)، ومجاز القرآن ٢/ ٧٣، والخزانة ٢/ ٤٩٢، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٧، والأضداد لابن الأنباري ص ٩، والأضداد لابن السكيت ص ١٧٩، والمقصور والممدود لابن ولاد ص ٤٥، وإصلاح المنطق ص ١٤٢، وتفسير الطبري ٢٥/ ٨٣، ومجمع البيان ١/ ٣١٣، والمخصص ٨/ ١٧٨، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٩٥.

(٢) البيت من الكامل، وهو للبيد في ديوانه ص ٣١١، ولسان العرب (قفل)، (عصم)، (دجن)، وتهذيب اللغة ٢/ ٥٧، ومقاييس اللغة ٤/ ٣٣٣، وديوان الأدب ٢/ ١٨٠، وكتاب الجيم ٢/ ٣٣٩، وتاج العروس (قفل)، (عصم)، (دجن)، (منن)، وبلا نسبة في لسان العرب (منن)، والمخصص ٨/ ٧٣.

حَتَّى إذَا يَئِسَ الرُّمَاةُ فَأَرْسَلُوا ... غُضْفاً دوَاجِنَ قَافِلاً أَعْصَامُها

أي: علموا ما ظهر لهم فيئسوا من غيره.

وقال آخر(١):

أَقُولُ لهم بالشِّعْبِ إذْ يَأْسِرُونَنِي ... : أَلَمْ تَيْئَسُوا أَنِّي ابنُ فَارِس زَهْدَم

أي: ألم تعلموا.

ومن المقلوب: أن يقدِّمَ ما يوضحه التأخيرُ، ويؤخِّر ما يُوضحه التقديمُ.

كقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، أي مُخلف رُسلِه وعدَه؛ لأنَّ الإخلافَ قد يقعُ بالوعد كما يقعُ بالرُّسُل، فتقول: أخلفتُ الوعد، وأخلفتُ الرُّسلَ،

وكذلك قولُه سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٧] أي: فإنّي عَدُوّ لهم؛ لأنّ كل من عاديته عاداك.

وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾ [النجم: ٨] أي: تدلى فدنا؛ لأنه تدَلّى للدُّنُوّ، ودنا بالتَّدَلّي.

ومنه قوله سبحانه: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة: ١٤] أي: بل على الإنسان من نفْسِه بصيرةٌ. يريد شهادَةَ جوارِحه عليه؛ لأنها منه، فأقامه مُقامها.

قال الشاعر(٢):

تَرَى الثَّوْرَ فِيها مُدْخِلَ الظلِّ رَأْسَهُ ... وَسَائِرُهُ بادٍ إلى الشمس أَجْمَعُ

أراد (مُدخلَ رأسِهِ الظلَّ) فَقَلب؛ لأن الظلّ التبس برأسه فصار كل واحدٍ منهما داخلاً في صاحبه. والعرب تقول: (اعرض النّاقةَ على الحوض) تريد: اعرض الحوض على النّاقة؛ لأنك إذا أوْرَدْتَها الحَوْضَ: اعترضتَ بكل واحدٍ صاحبَه.

---

(١) البيت من الطويل، وهو لسحيم بن وثيل اليربوعي في لسان العرب (يسر)، (يأس)، (زهدم)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٣١٠، وتهذيب اللغة ١٣/ ٦٠، ١٤٢، وتاج العروس (يسر)، (يئس)، (زهدم)، (لزم)، وديوان الأدب ٤/ ٢١٦، وأساس البلاغة (يئس)، والبرهان ١/ ١٠٠، ومجاز القرآن ١/ ٣٣٢، وتفسير الطبري ١٣/ ١٠٣، والبيت بلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/ ١٥٤، وديوان الأدب ٣/ ٢٥٨، والمخصص ١٣/ ٢٠، والمعاني الكبير ٢/ ١١٤٨، والميسر والقداح ص ٣٣.

(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢١٦، وخزانة الأدب ٤/ ٣٣٥، والدرر ٦/ ٣٧، والكتاب ١/ ١٨١، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٢.

وقال الحطيئة(١):

فلما خَشيتُ الهُوْنَ والعَيرُ مُمَسِكٌ   على رَغمِه ما أمسكَ الحبلَ حافرُه

وكان الوجه أن يقول: (ما أمسك حافِرَه الحبلُ) فَقَلَبَ؛ لأنّ ما أمسكته فقد أمسكَكَ، والحافر مُمِسكٌ للحبل لا يفارقه ما دام به مَربُوطاً، والحبل مُمْسِكٌ للحافر.

وقال الأخطل(٢):

عَلَى العَيَاراتِ هدَّاجون قَدْ بَلَغَتْ   نجرانَ أَوْ بَلَغَتْ سوآتِهم هَجَرُ

وكان الوجهُ أن يقولَ: (سوآتُهم ـ بالرفع ـ نجرانَ وهَجَر) فقلب؛ لأن ما بلغْتَه فقد بلغَكَ.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠] أي بَلَغْتُه.

وقال آخر(٣):

قد سَالَمَ الحياتُ منه القَدَمَا   الأُفعوانَ والشجاعَ الشَّجْعَمَا

(فنصب) الأفعوانَ والشجاعَ، وكان الوجه أن يرفَعَهُما؛ لأن ما حالفْتَه فقد حالَفَكَ، فهما فاعلان ومفعولان.

وقال الشمّاخ يذكر أباه(٤):

منه وُلِدْتُ ولم يُؤْشَبْ به حَسَبِي   لَمَّا؛ كما عُصِبَ العِلباءُ بالعُودِ

وكان الوجه أن يقول: (كما عُصِب العُودُ بالعِلباء) فقلب؛ لأنك قد تقول: عَصَبْتُ العِلْباءَ على العُودِ، كما تقول: عَصَبْتُ العود بالعلباء.

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان الحطيئة ص ١٠، وتفسير الطبري ١٤/ ٨٤.

(٢) البيت من الطويل، وهو في ديوان الأخطل ص ١١٠، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٣٨، ولسان العرب (حفر)، وأمالي ابن الشجري ١/ ٣٣٠، والوساطة ص ٤٨٢، وشرح شواهد المغني ص ٣٢٨، والبيت بلا نسبة في أمالي المرتضى ٢/ ١١٦.

(٣) الرجز لمساور بن هند العبسي في لسان العرب (ضمز)، (ضرزم)، ولمساور بن هند العبسي أو لأبي حيان الفقعسي في التنبيه والإيضاح ٢/ ٢٤٤، وللدبيري أو لعبيد بن علس في تاج العروس (خرزم)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١/ ٣٣١، ٣/ ٣١١، وجمهرة اللغة ص ١١٣٩، والمخصص ١٦/ ١٠٦، وتاج العروس (شجعم).

(٤) البيت من البسيط وهو في ديوان الشماخ بن ضرار ص ١٢٠، والأزهية ص ١٩٨، والمعاني الكبير ١/ ٥٥٣، والوساطة ص ٤٨٢، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٦٧، والمنصف ٣/ ٨١.

وقال ذو الرُّمّة(١):

وتكسُو المِجنَّ الرِّخْوَ خَصراً كأنه ... إهانٌ ذَوَى عن صُفرةٍ فهو أَخْلَقُ

وكان الوجه أن يقول: (وتكسو الخَصر مجناً) فقلب؛ لأنَّ كسوتُ يقع على الثوب، وعلى الخصر، وعلى القميص ولابسِهِ، تقول: كسوتُ الثوبَ عبْدَ الله، وكسوتُ عبدَ الله الثوبَ.

وقال أبو النَّجم(٢):

قبل دُنوِّ الأُفقِ من جَوزائه

وكان الوجه أن يقول: (قبل دُنُوِّ الجوزاء من الأفق) فقلب؛ لأن كل شيء دنا منك فقد دنوت منه.

وقال الرَّاعي يصف ثوراً(٣):

فصَبَّحَتْهُ كِلابُ الغَوْثِ يُوسِدُها ... مُستوضِحونَ يَرَوْنَ العَينَ كالأثَرِ

وكان الوجه أن يقول: (يرون الأثر كالعين) لعلمهم بالصيد وآثاره فقلب؛ لأنهم إذا رَأَوْا الأثر كالعين، فقد رأوا العين كالأثر.

وقال النابغة(٤):

وقد خِفتُ حتى ما تَزيدُ مخافتي ... على وَعِلٍ في ذي المَطارةِ عاقِلِ

وكان الوجه أن يقول: (حتى ما تزيد مخافةُ وَعِلٍ على مخافتي) فقلب، لأن المخافتين استوتا.

---

(١) يروى صدر البيت بلفظ:

وتكسو الوشاحَ الرِّخوَ خصراً كأنه

والبيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ٤٦٣، وبلا نسبة في المخصص ٤/ ٩٨.

(٢) الرجز لأبي النجم في أمالي المرتضى ١/ ١٥٦، وسر الفصاحة ص ١٠٨، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ١١٥.

(٣) البيت من الطويل، وهو للراعي النميري في المعاني الكبير ٢/ ٧٤٢، وأمالي المرتضى ١/ ١٥٦.

(٤) البيت من الطويل، وهو في ديوان النابغة الذبياني ص ١٤٤، وأمالي المرتضى ١/ ٢٠٢، ومعجم ما استعجم ص ١٠٢٦، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٩١، ومجمع البيان ١/ ٢٦٢، ٢٥٥، ومجاز القرآن ١/ ٦٥، وما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٣٢، والبيت بلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢١٦، والإنصاف ١/ ٣٧٢، ولسان العرب (خوف)، ومجالس ثعلب ص ٦١٨، والمقتضب ٣/ ٢٣١، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٩٩، والأضداد ص ٣٢٨.

وقال رُؤْبَةُ بن العَجّاج[1]:

وَمَــهْـمَــهٍ مُــغْـبَــرَّةٍ أَرْجَــاؤُه   كَــأَنَّ لَــونَ أَرْضِــهِ ســمــاؤُه

وكان الوجه أن يقول: (كأن لون سمائه من غبرتها لونُ أرضه) فقلب؛ لأن اللونين استويا.

وقال الآخر[2]:

وصــار الــجــمــرُ مِــثْــلَ تــرابِــهــا

أي صار ترابُها مثل الجمر.

وقال عز وجل: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧] أي خُلِق العجل من الإنسان، يعني العجلة. كذلك قال أبو عبيدة.

ومن المقلوب ما قُلِب على الغَلَط:

كقول خِدَاش بن زُهَير[3]:

وَتُـرْكَـبُ خـيـلٌ لا هَـوَادَةَ بـيـنـهـا   وتَعْصى الرِّمَاحُ بالضَّيَاطِرَةِ الحُمْرِ

---

(١) يروى الشطر الأول من الرجز بلفظ:

وبَــلَــدٍ مــغــبــرةٍ أرجــاؤه

والرجز لرؤبة بن العجاج في ديوانه ص ٣، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٩٦، وخزانة الأدب ٦/ ٤٥٨، وشرح التصريح ٢/ ٣٣٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٧١، ولسان العرب (عمى)، ومعاهد التنصيص ١/ ١٧٨، ومغني اللبيب ٢/ ٦٩٥، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٥٧، وتاج العروس (كبر)، (عمى)، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢١٦، والإنصاف ١/ ٣٧٧، وأوضح المسالك ٤/ ٣٤٢، وجواهر الأدب ص ١٦٤، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٣٦، ٦٣٧، وشرح شذور الذهب ص ٤١٤، وشرح المفصل ٢/ ١١٨، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠٢.

(٢) يروى البيت بتمامه:

حــتــى إذا مــا أوقــدت   فــالــجــمــر مــثــل تــرابــهــا

والبيت من المتقارب، وهو في ديوان الأعشى ص ١٧٨.

(٣) يروى صدر البيت بلفظ:

ونــركــب خــيــلاً لا هــوادة بــيــنــهــا

والبيت من الطويل، وهو لخداش بن زهير في الأضداد ص ١٥٣، وأمالي المرتضى ١/ ٤٦٦، ولسان العرب (ضطر)، وجمهرة أشعار العرب ص ١٠٨، والكامل ١/ ٢٧٤، وسر الفصاحة ص ١٠٦، ومجاز القرآن ٢/ ١١٠، والأضداد للسجستاني ص ١٥٣، وبلا نسبة في تفسير الطبري ٢٠/ ٦٩، والأضداد لابن الأنباري ص ٨٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠٣، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٢٣.

أي: (تَعْصي الضياطرةُ بالرِّمَاحِ) وهذا ما لا يقع فيه التأويلُ؛ لأن الرماح لا تعصى بالضَّياطرة وإنما يعصى الرجالُ بها، أي يطعنون.

ومنه قول الآخر[1]:

أَسْلَمْتُهُ في دِمَشْقَ كما ... أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّةٌ وَهَقَا

أراد: (كما أسلم وحشيةً وهقٌ) فقلب على الغلط.

وقال آخر[2]:

كانت فريضةَ ما تَقُول كما ... كان الزِّناءُ فريضَةَ الرجْمِ

أراد(كما كان الرجم فريضة الزنى).

وكان بعض أصحاب اللغة يذهبُ في قول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١] **إلى مثل هذا في القلب**، ويقولُ: وقع التشبيه بالراعي في ظاهر الكلام، والمعنى للمنعوق به وهو الغنم. وكذلك قوله سبحانه: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] أي: تنهض بها وهي مُثْقَلَة.

وقال آخر في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨] أي: وإن حُبَّهُ للخير لشديدٌ.

وفي قوله سبحانه: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي: اجعل المُتّقين لنا إماماً في الخير.

وهذا ما لا يجوزُ لأحدٍ أن يحكم به على كتابِ الله عزّ وجلّ لو لم يجِدْ له مذهباً؛ لأنّ الشعراء تقلب اللفظ، وتزيل الكلام على الغَلَط، أو على طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة وزن البيت.

---

(١) يروى صدر البيت بلفظ:

أسلموها في دمشق كما

والبيت من المديد، وهو لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص ١٢٨، والأضداد لابن الأنباري ص ٨٦، والوساطة ص ٤٨٢، وبلا نسبة في المحتسب ٢/ ١١٨.

(٢) البيت من الكامل، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ص ٣٥، ولسان العرب (زنى)، وبلا نسبة في معاني القرآن للفراء ١/ ٩٩، ٣١١، وأمالي المرتضى ١/ ١٥٥، وسر الفصاحة ص ١٠٦، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٢، ومجاز القرآن ١/ ٣٧٨، وخزانة الأدب ٤/ ٣٢، والإنصاف ١/ ٣٧٣.

فمن ذلك قول لبيدٍ(١):

نحن بنو أمّ البنينَ الأربعه

قال ابن الكلبي: هم خمسة، فجعلهم للقافية أربعة.

وقال آخر يصف إبلاً(٢):

صَبَّحْنَ مِنْ كَاظِمَةَ الْخُصَّ الخَرِبْ ... يَحْمِلْنَ عَبَّاس بن عَبدِ المُطَّلِبْ

أراد: (عبد الله بن عباس) فذكر أباه مكانه.

وقال الصَّلَتَانُ(٣):

أَرَى الخَطَفِي بَذَّ الفَرَزْدَقَ شِعْرُهُ ... ولكنَّ خيراً مِنْ كُلَيْبٍ مُجَاشِعُ

أراد: «أرى جريراً بذ الفرزدق شعره» فلم يمكنه فذكر جَدَّه.

وقال ذو الرّمة(٤):

عَشِيَّةَ فَرَّ الحارِثيُّونَ بعدَما ... قضى نَحبَهُ في ملتقى القومِ هَوْبَرُ

قال ابن الكلبي: هو (يزيد بن هَوبَر) فاضطرّ.

وقال (أوسٌ)(٥):

---

(١) الشطر الثاني من الرجز:

ونحن خير عامر بن صعصعه

والرجز للبيد في ديوانه ص ٣٤١، والأغاني ١٥/ ٢٩٥، وأمالي المرتضى ١/ ١٩١، وخزانة الأدب ٩/ ٥٥١، وسمط اللآلي ص ١٩١، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٥١٤، وشرح شواهد المغني ١/ ١٦١، والكتاب ٢/ ٢٣٥، ولسان العرب (خضع)، والمقاصد النحوية ٢/ ٦٨، وتاج العروس (خضع)، وجمهرة اللغة ص ١١٢، ٣٥٣، والعمدة ١/ ٢٧، والخزانة ٤/ ١٧١، والحيوان ٥/ ١٧٣، وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٢/ ٤٤٢، ٤٤٩، وجمهرة اللغة ص ١٩٢.

(٢) يروى الشطر الأول من الرجز بلفظ:

صبّحن من كاظمة الحصن الخربْ

والرجز بلا نسبة في لسان العرب (نطس)، (وصى)، وجمهرة اللغة ص ١٣٢٨، والمزهر للسيوطي ٢/ ٥٠١.

(٣) البيت من الطويل، وهو للصلتان العبدي في الشعر والشعراء ١/ ٤٧٧، وأمالي القالي ٢/ ١٤١.

(٤) البيت من الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه ٢/ ٦٤٧، وخزانة الأدب ٤/ ٣٧١، والدرر ٥/ ٣٧، وشرح المفصل ٣/ ٢٣، ولسان العرب (هبر)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٣٢٧، والمقرب ١/ ٢١٤، ٢/ ٢٠٥، وهمع الهوامع ٢/ ٥١.

(٥) البيت من الطويل، وهو لأوس بن حجر في ديوانه ص ١١١، وخزانة الأدب ٤/ ٣٧٠، ٣٧٣، =

فَهل لكُمْ فيها إليَّ فإنَّني طَبِيبٌ بما أعْيَا النِّطاسِيَّ جِذْيَمَا

أراد: (ابن جِذْيَم) وهو طبيب كان في الجاهلية:

وقال ابن مَيَّادةَ وذكر بعيراً[(١)]:

كَأَنَّ حَيْثُ تَلْتَقِي منه المُحُلْ مِنْ جَانِبَيْهِ وَعِلَيْنِ وَوَعِلْ

أراد: وعلين من كل جانب؛ فلم يمكنه فقال: وَوَعِل.

وقال أبو النجم[(٢)]:

ظَلَّت وِورْدٌ صادقٌ مِنْ بَالِهَا وَظَلَّ يُوفي الأَكَمَ ابنُ خالِها

أراد: فحلَها: فجعله ابنَ خالِها.

وقال آخر[(٣)]:

مثل النصارى قتلوا المسيحَا

أراد: اليهودَ:

وقال آخر[(٤)]:

وَمِخْورٍ أُخْلِصَ مِنْ مَاءِ اليَلَبْ

واليَلَب: سُيورٌ تُجْعَلُ تحت البيض؛ فتوهّمه حديداً.

= ٣٧٦، وشرح شواهد الشافية ص ١١٦، ١١٧، ولسان العرب (نطس)، (حذم)، (إلى)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٨٣٨، ١٣٢٧، والخصائص ٢/ ٤٥٣، وشرح المفصل ٣/ ٢٥.

(١) يروى الرجز بتمامه:

ثلاثةٌ أشرفن في طود عتلْ كأنَّ حيث تلتقي منه المحلْ

من قُطْريه وعلانِ ووعلْ

والرجز لابن ميادة في ديوانه ص ٢١٨، ولسان العرب (رفل)، وبلا نسبة في لسان العرب (عتل)، (محل)، وكتاب الجيم ٢/ ٣١٠، وتاج العروس (محل).

(٢) يروى الرجز بلفظ:

وظل يوفي الأجمدُ ابن خالِها مستبطناً للشمس في إقبالِها

والرجز لأبي النجم في المخصص ١٣/ ٢٠١.

(٣) الرجز بلا نسبة في المعاني الكبير ٢/ ٨٧٩، ولسان العرب (مسح)، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤٧، وكتاب العين ٣/ ١٥٦.

(٤) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (يلب)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٨٦، وكتاب العين ٨/ ٣٤١، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٨، ومجمل اللغة ٤/ ٥٦٦.

وقال رؤبة[(١)]:

أو فـضـةٌ أو ذَهَـبٌ كِـبْـرِيـتُ

وقال أبو النجم[(٢)]:

كَـلَـمْـعَـةِ الـبَـرْقِ بِـبَـرْقٍ خُـلَّـبُـهْ

أراد: بخلَّبٍ برقه؛ فقلب.

وقال آخر[(٣)]:

إنَّ الـكَـرِيـمَ وَأَبِـيـكَ يَـعْـتَـمِـلْ إنْ لَـمْ يَـجِـدْ يَـوْماً عَلَى مَنْ يَتَّكِلْ

أراد: إن لم يجد يوماً من يتكل عليه.

في أشباهٍ لهذا كثيرة يطول باستقصائها الكتاب.

والله تعالى لا يغلط ولا يُضْطَرُّ، وإنما أراد: ومَثَلُ الذين كفروا ومَثَلُنا في وعظهم كمثل الناعق بما لا يسمع، فاقتصر على قوله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٧١]؛ وحذف ومثلُنا؛ لأنَّ الكلام يدل عليه. ومِثْلُ هذا كثير في الاختصار.

وقال الفراء[(٤)]:

أراد: ومثل واعظ الذين كفروا؛ فحذف، كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا

(١) قبله: هـل يـنـفـعـنـي كـذبٌ سـخـتـيـتُ
والرجز لرؤبة بن العجاج في ديوانه ص ٢٦، ولسان العرب (سخت)، (كبرت)، (كبر)، وتهذيب اللغة ٧/ ١٦١، ١٠/ ٤٣٥، وتاج العروس (سخت)، (كبرت)، وجمهرة اللغة ص ١١٩٠، وكتاب العين ٤/ ١٩٤، ٥/ ٤٣٠، وديوان الأدب ٢/ ٧٥، وللعجاج في ديوانه ٢/ ١٨٩-١٩٠، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١١١١، ومجمل اللغة ٤/ ٢٣٧، والمخصص ٣/ ٨٨.

(٢) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

(٣) يليهما: فـيـكـتـسـي مـن بـعـدهـا ويـكـتـحـلْ
والرجز بلا نسبة في لسان العرب (عمل)، والأشباه والنظائر ١/ ٢٩٢، والجنى الداني ص ٤٧٨، وخزانة الأدب ١٠/ ١٤٦، والخصائص ٢/ ٣٠٥، والدرر ٤/ ١٠٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٠٥، وشرح الأشموني ٢/ ٢٩٤، وشرح التصريح ٢/ ١٥، وشرح شواهد المغني ص ٤١٩، والكتاب ٣/ ٨١، والمحتسب ١/ ٢٨١، وهمع الهوامع ٢/ ٢٢، وكتاب العين ٢/ ١٥٣، ومقاييس اللغة ٤/ ١٤٥، وديوان الأدب ٢/ ٤١٦، وأساس البلاغة (عمل)، (وجد)، وتاج العروس (عمل)، (وجد).

(٤) الفراء: هو الحافظ أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، الكوفي اللغوي، المقري البغدادي، المعروف بالفراء، المتوفى بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ، تقدمت ترجمته الوافية مع ذكر مؤلفاته.

فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهلها.

وأراد بقوله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦]، أي: تُميلُها من ثِقْلها.

قال الفراء أنشدني بعض العرب[1]:

حتى إذا ما التأمَتْ مَفاصِلُهْ ... ونَاءَ في شِقِّ الشِّمالِ كاهِلُهْ

يُريد: أنه لما أخذ القوس ونزع، مال عليها.

قال: ونَرَى قولَهم: (ما ساءَك ونَاءَكَ)، من هذا. وكان الأصلُ (أناءَكَ) فأُلقِيَ الأَلِفُ لما اتبعَه (ساءك) كما قالوا: (هَنَأَنِي وَمَرَأَنِي)، فاتبع مَرَأَنِي هَنَأَنِي. ولو أفرد لقال: أَمْرَأَنِي.

وأراد بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨]، أي: وإنه لحبِّ المال لبخيل، والشدة: البخلُ هُهنا؛ يقال: رَجُلٌ شديدٌ ومتشدِّدٌ.

وقوله سبحانه: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، يريد: اجعلنا أئمةً في الخير يقتدي بنا المؤمنون، كما قال في موضع آخر: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [السجدة: ٢٤]، أي: قَادةً، كذلك قال المفسِّرون.

ورُوي عن بعض خيار السلف: أنه كان يدعو الله أن يُحتمل عنه الحديث؛ فَحُمِلَ عنه.

وقال بعض المفسرين في قوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أي: اجعلنا نَقْتَدِي بمن قبلنا حتى يَقْتدِيَ بنا من بعدَنا. فهم على هذا التأويل مُتَّبِعُونَ ومُتَّبَعُون.

ومن المُقدّم والمؤخّر قولُه تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢] أراد: أنزل الكتاب قَيِّماً ولم يجعل له عِوَجاً.

وقوله: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١]، أي: بشرناها بإسحاق فضحكت.

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤]، أي: فعقروها فكذّبوه بالعقر.

---

(١) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (توأ)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٥٤٠، ورواية الشطر الأول في اللسان والتهذيب:

حتى إذا ما التأمت مواصلُه

وقد يجوز أن يكون أراد: فكذَّبوا قوله: إنها ناقة الله؛ فعقروها.

قال الأعشى[١]:

لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيْتُهُ تَقَضِّي لُبَانَاتٍ وَيَسأَمُ سائِمُ

أراد: لقد كان في ثواء حَولٍ ثَوَيْتُهُ.

وقال ذو الرُّمَّة يصف الدّار[٢]:

فأضحت مَباديها قِفاراً رُسُومُها كأنْ لَمْ سِوَى أَهْلٍ مِنَ الوَحْشِ تُوهَلُ

أراد: كأن تُوهل سوى أهلٍ من الوحش.

وقد كان بعضُ القَرَأة يقرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، أي: قَتْلُ شُرَكائِهِمْ أَوْلادَهُمْ.

ومن المُقدّم والمؤخّر قولُه سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

وقال ابن عباس في رواية الكَلْبي: أراد: ولا تُعجِبْك أموالهم وأولادهم في الدنيا؛ إنما يريد الله أن يعذّبهم في الآخرة.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: ١٢٩]، أي: ولولا كلمة سبقت وأجلٌ مسمّى، لكان العذابُ لِزاماً.

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، أراد: لَعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً، ولولا فضل الله عليكم ورحمته،

---

(١) البيت من الطويل، وهو للأعشى في ديوانه ص ١٢٧، والأغاني ٢/ ٢٠٦، والرد على النحاة ص ١٢٩، وشرح شواهدالمغني ٢/ ٨٧٩، والكتاب ٣/ ٣٨، ومغني اللبيب ٢/ ٥٠٦، والمقتضب ١/ ٢٧، ٢/ ٢٦، ٤/ ٢٩٧، وبلا نسبة في أسرار العربية ص ٢٩٩، ورصف المباني ص ٤٢٣، وشرح عمدة الحافظ ص ٥٩٠، وشرح المفصل ٣/ ٦٥.

(٢) يروى البيت بلفظ:

فأضحت مغانيها قفاراً رسومها كأن لم سوى أهلٍ من الوحش تؤهلِ

والبيت من الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه ص ١٤٦٥، وخزانة الأدب ٩/ ٥، والخصائص ٢/ ٤١٠، والدرر ٥/ ٦٣، وشرح شواهد المغني ٢/ ٦٧٨، والمقاصد النحوية ٥/ ٤٤٥، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ٢٦٩، وشرح الأشموني ٣/ ٥٧٦، ومغني اللبيب ١/ ٢٧٨، وهمع الهوامع ٢/ ٥٦.

لاتبعتم الشيطان.

قال الشاعر[١]:

فَـاوْرَدْتُـهـا مَـاءً كَـأَنَّ جِـمَـامَـهُ مِـنَ الأَجْـنِ حِـنَّـاءٌ مَـعـاً وَصَـبِـيـبُ

أي: فَأَوْرَدْتُها ماء كأنّ جِمَامَه حِنّاءٌ وَصبيبٌ معاً.

(١) البيت من الطويل، وهو لعلقمة بن عبدة في ديوانه ص ٤٢، ولسان العرب (صبب)، (أجن)، وكتاب العين ٦/ ١٨٣، وديوان الأدب ٣/ ٧٣، وشرح اختيارات المفضل ص ١٥٨٥، وتاج العروس (صبب)، (أجن)، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٢٢، وبلا نسبة في كتاب العين ٧/ ٩٠، ومجمل اللغة ٣/ ٢٢١، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٠.

بابُ الحذف والاختصار

من ذلك: **أن تَحذفَ المضاف وتُقيمَ المضاف إليه مُقامه وتجعلَ الفعلَ له.**

كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] أي سل أهلها.

﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] أي حُبَّهُ.

و ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي وقتُ الحج.

وكقوله: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ - [الإسراء: ٧٥] أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات.

وقوله سبحانه: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ﴾ [الحج: ٤٠] فالصلوات لا تُهَدَّم، وإنما أراد بيوتَ الصلوات.

قال المفسرون: الصوامِعُ للصَّابئين، والبِيَعُ للنصارى، والصلوات: كنائس اليهود، والمساجد للمسلمين.

وقوله: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣] أي أخرجكَ أهلُها.

وقوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] أي مكركم في الليل والنهار.

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩]؟ أي: أجعَلتُم صاحب سِقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، كمن آمن؟! ويكون يريد: أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله وجهاده؟ كما قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال الهُذلي[1]:

---

(١) البيت من الوافر، وهو للمتنخل الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٢٦٨، ولسان العرب (حنت)، وتاج العروس (حنت)، (غطط)، (قطط)، وللهذلي في تهذيب اللغة ٧/ ١٣٣، ولسان العرب (خرص)، (قطط)، وبلا نسبة في لسان العرب (نجد)، وكتاب الصناعتين ص ١٣٦، والمخصص ١/ ٦٦، ١٠/ ٩٠.

يُمشّي بَيننا حانوتُ خَمرٍ ... من الخُرْسِ الصَّرَاصِرَةِ القِطَاطِ

أراد صاحبَ حانُوت خمر، فأقام الحانوت مُقامه.

وكذلك قول أبي ذُؤَيب في صفة الخمر[(١)]:

تَوَصَّلُ بالرُّكبانِ حِيناً وَتُولِفُ الـ ... ـجِوارَ وَيُغْشِيها الأَمَانَ رِبابُها

اللفظ للخمر والمعنى للخَمَّار، أي يتَوَصَّلُ الخمار بالركب ليسير معهم ويأمن بهم. وكذلك قوله[(٢)]:

أَتَوْها بِرِبْحٍ حَاوَلَتْهُ فَأَصْبَحَتْ ... تُكَفَّتُ قَدْ حَلَّتْ وَسَاغَ شَرَابُهَا

يريد: أتَوْا صاحبها بربح، فأقامها مُقامه.

وقال كُثَيِّر يذكر الأَظْعان[(٣)]:

حُزِيَتْ لي بِحَزْمِ فَيْدَةَ تُحْدَى ... كَاليَهُودِيِّ مِنْ نَطاةَ الرِّقَالِ

أراد كنخْل اليهوديّ من خَيْبر، فأقامه مُقامها.

ومثله قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [العلق: ١٧] أي: أهله.

وقال الشاعر[(٤)]:

لَهُم مَجْلِسٌ صُهْبُ السِّبَالِ أَذِلَّةٌ ... سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُها وَعَبِيدُها

ومن ذلك أن تُوقِعَ الفعل على شيئين وهو لأحدهما، وتضمَر للآخر فعله.

كقوله سبحانه: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: ١٨].

---

(١) البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٤٦، ولسان العرب (ربب)، (وصل)، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٨٣، والتنبيه والإيضاح ١/ ٨٠، وتاج العروس (ربب)، (ألف)، (وصل)، وتهذيب اللغة ١٥/ ١٨٠، وبلا نسبة في المخصص ٣/ ٧٨.

(٢) البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٤٨، ولسان العرب (كفت)، وتاج العروس (كفت).

(٣) البيت من الخفيف، وهو لكثير عزة في ديوانه ص ٣٩٦، وشرح المفصل ٣/ ٢٥، ولسان العرب (رضب)، (رقل)، (نطا)، وتاج العروس (رقل)، (نطا)، ومعجم البلدان (فيد)، وصفة جزيرة العرب للهمداني ١/ ٢٢٦.

(٤) البيت من الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه ص ١٢٣٥، ولسان العرب (سوا)، وأساس البلاغة (جلس)، وبلا نسبة في لسان العرب (جلس)، وتاج العروس (جلس)، (سوا).

ثم قال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١] والفاكهة واللحمُ والحورُ العين لا يُطاف بها، وإنما أراد: ويُؤْتَوْنَ بلحم طير.

ومثله قوله: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] أي: وادعوا شركاءكم، وكذلك هو في مصحف عبد الله.

قال الشاعر[١]:

تَـرَاهُ كـأَنَّ الله يَـجْـدَعُ أَنـفَـهُ ... وَعَـيْـنَـيْـهِ إنْ مَـوْلاهُ ثَـابَ لَـهُ وَفْـرُ

أي يجدع أنفه، ويفقأ عينيه.

وأنشد الفراء[٢]:

عَـلَـفْـتُـهـا تِـبْـنـاً ومـاءً بـارداً ... حـتـى شَـتَـتْ هـمَّـالـةً عَـيْـنـاهـا

أي علفتُها تبناً، وسقَيْتُها ماء باردا.

وقال آخر[٣]:

إذا مـا الـغَـانِـيَـاتُ بَـرَزْنَ يَـومـاً ... وَزَجَّـجْـنَ الـحَـوَاجِـبَ والـعُـيُـونَـا

---

(١) البيت من الطويل، وهو لخالد بن الطيفان في الحيوان ٦/ ٤٠، والمؤتلف والمختلف ص ١٤٩، وله أو للزبرقان بن بدر في الأشباه والنظائر ٢/ ١٠٨، والدرر ٦/ ٨١، والمقاصد النحوية ٤/ ١٧١، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ٢/ ٢٥٩، ٣٧٥، والإنصاف ٢/ ٥١٥، والخصائص ٢/ ٤٣١، وكتاب الصناعتين ص ١٨١، ولسان العرب (جدع)، ومجالس ثعلب ٢/ ٤٦٤، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٠.

(٢) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (زجج)، (قلد)، (علف)، والأشباه والنظائر ٢/ ١٠٨، ٧/ ٢٣٣، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٥٩، والإنصاف ٢/ ٦١٢، وأوضح المسالك ٢/ ٢٤٥، والخصائص ٢/ ٤٣١، والدرر ٦/ ٧٩، وشرح الأشموني ١/ ٢٢٦، وشرح التصريح ١/ ٣٤٦، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١١٤٧، وشرح شذور الذهب ص ٣١٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٥٨، ٢/ ٩٢٩، وشرح ابن عقيل ص ٣٠٥، ومغني اللبيب ٢/ ٦٣٢، والمقاصد النحوية ٣/ ١٠١، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٠، وتاج العروس (علف).

(٣) البيت من الوافر، وهو للراعي النميري في ديوانه ص ٢٦٩، والدرر ٣/ ١٥٨، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٧٥، ولسان العرب (زجج)، والمقاصد النحوية ٣/ ٩١، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣/ ٢١٢، ٧/ ٢٣٣، والإنصاف ٢/ ٦١٠، وأوضح المسالك ٢/ ٤٣٢، وتذكرة النحاة ص ٦١٧، وحاشية يس ١/ ٤٣٢، والخصائص ٢/ ٤٣٢، والدرر ٦/ ٨٠، وشرح الأشموني ١/ ٢٢٦، وشرح التصريح ١/ ٣٤٦، وشرح شذور الذهب ص ٣١٣، وشرح ابن عقيل ص ٥٠٤، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٣٥، وكتاب الصناعتين ص ١٨٢، ولسان العرب (رغب)، ومغني اللبيب ١/ ٣٥٧، وهمع الهوامع ١/ ٢٢٢، ٢/ ١٣٠.

والعُيون لا تُزَجَّجُ، وإنما أراد: وزَجَّجْنَ الحواجب، وكَحَّلْنَ العيون. وقال الآخر[(١)]:

وَرَأَيْتُ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحاً

أي متقلداً سيفاً، وحاملاً رمحاً.

ومن ذلك: **أن يأتي بالكلام مَبْنِيّاً على أنّ له جواباً، فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به.**

كقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] أراد: لكان هذا القرآن، فحذف.

وكذلك قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠] أراد: لعذّبكم فحذف.

قال الشاعر[(٢)]:

فَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أَتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ؛ ولكنْ لم نَجِدْ لك مَدْفَعا

أي لرددْناه.

وقال الله عز وجل: ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣]. فذكر أُمّةً واحدةً ولم يذكر بعدها أخرى. وسواءٌ تأتي للمُعَادَلة بين اثنين فما زاد.

وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩] ولم يذكر ضِدَّ هذا؛ لأن

---

(١) يروى صدر البيت بلفظ:

يا ليت زوجك قد غدا

والبيت من مجزوء الكامل، وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ١٠٨، ٦/ ٢٣٨، وأمالي المرتضى ١/ ٥٤، والإنصاف ٢/ ٦١٢، وخزانة الأدب ٢/ ٢٣١، ٣/ ١٤٢، ٩/ ١٤٢، والخصائص ٢/ ٤٣١، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٨٢، وشرح المفصل ٢/ ٥٠، ولسان العرب (رغب)، (زجج)، (مسح)، (قلد)، (جدع)، (جمع)، (هدى)، والمقتضب ٢/ ٥١، ومعاني القرآن للفراء ١/ ١٢١، ومجاز القرآن ٢/ ٦٨، ومجمع البيان ١/ ١١١، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٤٦٤، ٦/ ٤٨٥، وتفسير الطبري ١/ ٤٧، والكامل ١/ ٢١٨، ٢/ ٤٠٢.

(٢) البيت من الطويل، وهو لامرىء القيس في ديوانه ص ٤٢٤، وخزانة الأدب ١٠/ ٨٤، ٨٥، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٤/ ١٤٤، ١٠/ ١١٧، وشرح المفصل ٩/ ٧، ٩٤، وكتاب الصناعتين ص ١٨٢، ولسان العرب (وحد).

في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]دليلاً على ما أراد.

وقال الشاعر[١]:

أَرَاكَ فَـمـا أَدْرِي أَهَـمٌّ هَـمَـمْـتَـهُ وذُو الـهَـمِّ قِـدْماً خَاشِعٌ مُتَضَـائِلُ

ولم يأت بالأمر الآخر.

وقال أبو ذُؤَيب[٢]:

عَـصَيْتُ إليـهـا القَـلْبَ إنّي لأمْرِهِ سَمِيعٌ، فما أدري أَرُشْدٌ طِلابُها؟

أراد: أرشدٌ هو أم غيٌّ؟ فحذف.

ومن ذلك: حذف الكلمة والكلمتين.

كقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾. [آل عمران: ١٠٦] والمعنى فيقال لهم: أكفرتم؟ وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢] والمعنى يقولون: ربنا أبصرنا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٢٧]. والمعنى يقولان: ربنا تقبل منا.

وقال ذو الرُّمة يصف حميراً[٣]:

فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَّبَتْ لـه مـن خَـذَا آذانِـهـا وهـو جـانِـحُ

أراد أو حين أقبل الليل نَصَّبَتْ. وقال[٤]:

---

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في كتاب الصناعتين ص ١٣٧.

(٢) يروى صدر البيت بلفظ:

دعـانـي إلـيـهـا الـقـلـب لأنـي لأمـرِهِ

والبيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في تخليص الشواهد ص ١٤٠، وخزانة الأدب ١١/ ٢٥١، والدرر ٦/ ١٠٢، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٤٣، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٥٥، وشرح شواهد المغني ص ٢٦، ١٤٢، ٢/ ٦٧٢، ومغني اللبيب ص ١٣، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٢/ ٣٧١، وهمع الهوامع ٢/ ١٣٢.

(٣) البيت من الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه ص ٨٩٧، وأدب الكاتب ص ٢١٤، والخصائص ٢/ ٣٦٥، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٥٨٢.

(٤) البيت بتمامه:

لـعـرفـانـهـا والـعـهـد نـاء وقـد بـدا لـذي نـهـيـة أن لا إلـى أم سـالـمِ

والبيت من الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه ص ٧٦٧، وكتاب الصناعتين ص ١٣٧.

وقـد بـدا لِـذِي نُـهْـيَـةٍ أَن لا إِلَـى أُمِّ سَـالِـمِ

أراد: أن لا سبيل إلى أم سالم.

وقـال الله عـز وجـل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. أي ووصَّى بالوالدين.

وقال النَّمِرُ بن تَوْلَب(١):

فـإنَّ الـمَـنِـيَّـةَ مَـنْ يَـخْـشَـهـا فَـسَـوْفَ تُـصَـادِفُـه أَيْـنَـمـا

أراد أينما ذهب.

وقال الله عز وجل: ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] أراد: في يوم عاصفِ الرّيح، فحذف؛ لأنَّ ذكر الرّيح قد تقدَّمَ، فكانَ فيه دليل.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢]. أراد: ولا مَنْ في السماء بِمُعْجِز.

وقـال تـعـالـى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ١٢]. أراد في تسع آيات إلى هذه الآية، أي معها. ثم قال: ﴿إلى فرعون﴾ ولم يقل مُرْسَلاً ولا مبعوثاً، لأن ذلك معروف.

ومثله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣]. أي: أرسلنا.

قال الشاعر(٢):

رَأَتْنِي بِحَبْلَيْها فَصَدَّتْ مَخَافَةً وفي الحبلِ رَوْعاءُ الفُؤادِ فَرُوقُ

أراد مقْبلاً بحبليها.

وقـال عـز وجـل: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]. أراد:

---

(١) البيت من المتقارب، وهو للنمر بن تولب في ديوانه ص ٣٧٨، وأدب الكاتب ص ٢١٤، وشرح التصريح ٢/ ٢٥٢، والمعاني الكبير ص ١٢٦٤، والمقاصد النحوية ١/ ٥٧٥، ومختارات ابن الشجري ١/ ١٦، والاقتضاب ص ٣٦٣، وبلا نسبة في رصف المباني ص ٧٢، ١٢٥.

(٢) يروى البيت بلفظ:

رأتني بنسعيها فردت مخافتي إلى الصدر روعاءُ الفؤادِ فروقُ

والبيت من الطويل، وهو لحميد بن ثور في ديوانه ص ٣٥، ولسان العرب (نسع)، (فرق)، (با)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦١٤، وتاج العروس (نسع)، (فرق)، وبلا نسبة في لسان العرب (نطح)، (حبل)، وتهذيب اللغة ٥/ ٨٠، وأساس البلاغة (روع).

يعثناهم ليسوءوا وجوهكم، فحذفها؛ لأنه قال قبلُ: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادًا لَّنَآ﴾ [الإسراء: ٥]. فاكتفى بالأول من الثاني؛ إذ كان يدل عليه.

وكذلك قوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق: ١٧]. فاكتفى بذكر الثاني من الأول.

وقد يُشْكِلُ الكلامُ وَيَغْمُضُ بالاختصار والإضمار.

كقوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨﴾ [فاطر: ٨]. والمعنى: أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسناً، ذهبت نفسُك حسرةً عليه؟! فلا تذهبْ نفسك عليهم حسرات فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء.

وكقوله سبحانه: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١١﴾ [النمل: ١٠، ١١] لم يقع الاستثناء من المرسلين؛ وإنما وقع من معنىً مُضمرٍ في الكلام، كأنّه قال: لا يخاف لديَّ المرسلون، بل غيرُهم الخائف؛ إلا من ظلم ثم تاب فإنه لا يخاف.

وهذا قول الفراء، وهو يَبعدُ: لأن العرب إنما تحذف من الكلام ما يدل عليه ما يظهر؛ وليس في ظاهر هذا الكلام ـ على هذا التأويل ـ دليلٌ على باطنه.

قال أبو محمد: والذي عندي فيه، والله أعلم، أنّ موسى عليه السلام، لما خاف الثعبان وولّى ولم يُعقّب، قال الله عز وجل: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠] وعَلِم أن موسى مُسْتَشْعِرٌ خِيفةً أخرى من ذنبه في الرّجل الذي وَكَزَه فقضى عليه؛ فقال: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾ [النمل: ١١]أي توبةً وندماً؛ فإنه يخافُ، وإني غفور رحيم.

وبعض النحويين يحمل (إلاّ من ظلم) بمعنى: ولا من ظلم، كقوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٠]. على مذهب من تأول هذا في (إلاّ): كقوله في سورة الأنفال، بعد وصف المؤمنين: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنفال: ٥]. ولم يُشَبِّهْ قصة المؤمنين بإخراج الله إياه، ولكن الكلام مردودٌ إلى معنى في أول السورة ومحمولٌ عليه، وذلك: أن النبي ﷺ، رأى يوم بدر قِلّة المسلمين وكراهة كثير منهم للقتال، فَنَفَّل كلّ امرىءٍ منهم ما أصاب، وجعل لكل من قتل قتيلاً كذا، ولمن أتى بأسير كذا؛ فكره ذلك قومٌ فتنازعوا واختلفوا وحاجّوا النبي، ﷺ، وجادلوه، فأنزل الله سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾: يجعلها لمن

يشاء ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾. أي فرّقوها بينكم على السواء ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فيما بعد ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]؛ ووصف المؤمنين ثم قال: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الأنفال: ٥]يريد: أن كراهتهم لِما فعلْته في الغنائم ككراهتهم للخروج معك، كأنه قال: هذا من كراهيتهم كما أخرجَك وإيَّاهم ربُّك وهم كارهون.

ومن تتبع هذا من كلام العرب وأشعارِها وجده كثيراً.

قال الشاعر[(١)]:

فَـلا تَـدْفِـنُـونِـي إنَّ دَفْـنِـي مُـحَـرَّمٌ عـلـيـكـم، ولـكـنْ خـامِـري أُمَّ عـامِـرِ

يريد: لا تدفنوني ولكن دعوني للتي يقال لها إذا صِيدَت: خامِري أُمَّ عامر، يعني الضَّبُع، لتأكلني.

وقال عَنْتَرةُ[(٢)]:

هَـلْ تُـبْـلِـغَـنِّـي دَارَهـا شَـدَنِـيَّـةٌ لُـعِـنَـتْ بِـمَـحْـرُومِ الـشَّـرَابِ مُـصَـرَّمِ

يريد: دُعِيَ عليها بأن يحرم ضرعُها أن يَدِرَّ فيه لبن، فاستجيب للداعي، فلم تحمل ولم تُرضع.

ومثله قول الآخر[(٣)]:

---

(١) يروى البيت بلفظ:

لا تـقـبـرونـي إن قـبـري مـحـرمٌ عـلـيـكـم ولـكـن أبـشـري أم عـامـرِ

والبيت من الطويل، وهو للشنفرى في ديوانه ص ٤٨، ولسان العرب (عمر)، ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٧، وتاج العروس (عمر)، والأغاني ٢١/ ٢٠٥، وأمالي المرتضى ٢/ ٧٣، والبرصان والعرجان ص ١٦٦، ٣١١، وتمثال الأمثال ١/ ٣٤٠، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٠٥، والحماسة البصرية ١/ ٩٤، وخزانة الأدب ٣/ ٣٤٧، وديوان المفضليات ص ١٩٧، وذيل الأمالي ص ٣٦، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ٢٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٤٨٧، والشعر والشعراء ١/ ٨٦، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٣٤، وكتاب الصناعتين ص ١٨٣، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٣٧٧، ومجمع البيان ١/ ٧٤، والحيوان ٦/ ٤٥٠، والطرائف الأدبية ص ٣٦.

(٢) البيت من الكامل، وهو في ديوان عنترة ص ١٩٩، وخزانة الأدب ٥/ ٣٦٩، ولسان العرب (صرم)، (لعن)، وكتاب الجيم ٣/ ٢١٦، وأساس البلاغة (صرم)، وشرح القصائد العشر ص ١٨٣، وأمالي المرتضى ٣/ ١٥٨.

(٣) قبله:

تـخـدي بـهـا كـل خـنـوفٍ فـاسـجِ

والرجز بلا نسبة في لسان العرب (فسج)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٥٩٦.

مَـلْـغُـونَـةٌ بِـغُـقْـرٍ أَوْ خَـادِجِ

أي: دُعيَ عليها أن لا تحملَ، وإن حملت: أن تُلْقِيَ ولَدَها لغير تمام؛ فإذا لم تحمل الناقة ولم تُرضِع كان أقوى لها.

ومن أمثال العرب: (عسى الغُوَيْرُ أَبؤساً)[1] أي: أنْ يأتينا من قِبَلَ الغويرِ بأسٌ ومكروه. والغُوير: ماء، ويقال: هو تصغير غار.

ومثله قوله سبحانه: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

أي هي للذين آمنوا ـ يعني في الدنيا ـ مشتركة، وفي الآخرة خالصة.

ومنه قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. أي يخوّفكم بأوليائه؛ كما قال سبحانه: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢] أي لينذركم ببأس شديد.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ [طه: ١٠٨] أي لا عوج لهم عنه.

وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. أي يعلم أنّ العزّة لمن هي.

وقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٧] أي ما أريد أن يرزقُوا أنفسهم. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٧] أي ما أريد أن يطعموا أحداً من خلقي.

وأصل هذا: أن البشر عباد الله وعياله فمن أطعم عيال رَجُلٍ ورزقَهم، فقد رزقَه وأطعمه، إذ كان رزقهم عليه.

ومنه قوله سبحانه: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل: ٢٥] أراد: ألا يا هؤلاء اسجدوا لله.

وقال الشاعر[2]:

يا دارَ سَلْمَى يا اسْلمي ثم اسْلمِي

---

(١) انظر المثل في جمهرة أمثال العرب ص ١٤٣، ومجمع الأمثال ١/٤٧٧، ولسان العرب (غور).

(٢) يليه:

بِسَمْسَمٍ وعَنْ يَمِينِ سَمْسَمِ

والرجز للعجاج في ديوانه ١/٤٤٢، والأشباه والنظائر ٢/١٤٥، والإنصاف ١/١٠٢، وجمهرة اللغة ص ٢٠٤، ٦٤٩، والخصائص ٢/١٩٦، ولسان العرب (سمسم)، وتاج العروس (سمم)، ولرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٨٣، وبلا نسبة في الخصائص ٢/٢٧٩، ولسان العرب (علم).

ومن الاختصار: القَسَمُ بلا جواب إذا كان في الكلام بعده ما يدلُّ على الجواب.

كقوله: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا﴾ [ق: ١، ٣]نبعث. ثم قالوا: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣] أي: لا يكون.

وكذا قوله عز وجل: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ۝ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ۝ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝﴾ [النازعات: ١، ٥]. ثم قال: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝﴾ [النازعات: ٦]. ولم يأت الجواب لعلم السامع به؛ إذ كان فيما تأخر من قوله دليلٌ عليه؛ كأنّه قال: والنَّازعاتِ وكذا وكذا، لتبعثُنَّ؛ فقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝﴾ [النازعات: ١١] نُبعثُ؟!.

ومن الاختصار قوله: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [الرعد: ١٤] أراد: كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فيبلِّغَه فاه.

قال ضابىء[(١)]:

فَـإِنِّـي وإيـاكُـم وشـوقـاً إلـيـكـمُ ... كـقـابِـضِ مـاءٍ لـم تَـسِـقْـهُ أنـامِـلُـهْ

و (العرب) تقول لمن تعاطى ما لا يجد منه شيئاً: هو كالقابِض على الماء.

ومنه: أن تُحذف (لا) من الكلام والمعنى إثباتها.

كقوله سبحانه: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] أي لا تزال تذكر يوسف.

وهي تحذف مع اليمين كثيراً.

قال الشاعر[(٢)]:

(١) البيت من الطويل، وهو لضابىء بن الحارث البرجمي في لسان العرب (وسق)، ومقاييس اللغة ٦/ ١٠٩، وتاج العروس (وسق)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٩/ ٢٣٦، وأساس البلاغة (وسق).

(٢) البيت من الطويل، وهو لامرىء القيس في ديوانه ص ٣٢، وخزانة الأدب ٩/ ٢٣٨، ٢٣٩، ١٠/ ٤٣، ٤٤، ٤٥، والخصائص ٢/ ٢٨٤، والدرر ٤/ ٢١٢، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٢٠، وشرح التصريح ١/ ١٨٥، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٤١، وشرح المفصل ٧/ ١١٠، ٨/ ٣٧، ٩/ ١٠٤ والكتاب ٣/ ٥٠٤، ولسان العرب (يمن)، واللمع ص ٢٥٩، والمقاصد النحوية ٢/ ١٣، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ٢٣٢، وخزانة الأدب ١٠/ ٩٣، ٩٤، وشرح الأشموني ١/ ١١٠، ومغني اللبيب ٢/ ٦٣٧، والمقتضب ٢/ ٣٦٢، وهمع الهوامع ٢/ ٣٨.

فَقُلْتُ يَمِينَ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً ... وَلَوْ ضَرَبُوا رَأسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

وقال آخر(١):

فَلا وَأَبِي دَهْمَاءَ زَالَتْ عَزِيزَةً ... على قومِهَا ما فَتَلَ الزَّنْدَ قَادِحُ

ومنه قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦]، أي: لئلا تضلوا. و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا۟﴾ [فاطر: ٤١]، أي: لئلا تزولا.

وقوله: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]، أي: لا تحبط أعمالكم.

ومن الاختصار أن تضمر لغير مذكور.

كقوله جل وعز: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] يعني: الشمس، ولم يذكرها قبل ذلك.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، يريد: على الأرض.

وقال: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ [العاديات: ٤]، يعني: بالوادي.

وقال: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ [القصص: ١٠]، أي بموسى: أنه ابنها.

وقال: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ [الشمس: ٣]، يعني: الدنيا أو الأرض.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾ [الشمس: ١٥]، أي: عُقْبَى هذه الفَعْلَه.

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١]، يعني: القرآن. فكنى في أوّل السّورة.

قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ في أوّل قصيدة(٢):

---

(١) روى البيت بلفظ:

لعمر أبي الدهماء زالت عزيزةً ... على أهلها ما فتل الزندَ قادحُ

والبيت من الطويل، وهو لتميم بن مقبل في ملحق ديوانه ص ٣٥٨، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٢٨٧، وخزانة الأدب ٩/ ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٣، ١٠/ ١٠٠، ١٠١، والدرر ٦/ ٢١٧، وشرح شواهد المغني ص ٨٢٠، ومغني اللبيب ص ٣٩٣، والمقرب ١/ ٩٤، وهمع الهوامع ٢/ ١٥٦.

(٢) البيت من الطويل، وهو لحميد بن ثور في ديوانه ص ٧٣، ولسان العرب (نضح)، ومجمل اللغة (نضح)، وديوان الأدب ٢/ ٣٤٤، وللحطيئة في ملحق ديوانه ص ٢٥٢، ولسان العرب (نضح)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٤٣٠، ومجمل اللغة ٣/ ٢٣٤.

وَصَهْبَاءَ مِنْها كالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ ... بِهِ الحَمْلَ حَتَّى زَادَ شَهْراً عَدِيدُها

أراد: وصهباء من الإبل.

وقال حاتم(١):

أَمَاوِيَّ ما يُغْنِي الثَّراءُ عَنِ الفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِهَا الصَّدرُ

يعني النفس.

وقال لبيد(٢):

حتى إذا أَلْقَتْ يَداً فِي كافِرٍ ... وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلامُها

يعني الشمس بدأت في المغيب.

وقال طَرفة(٣):

ألا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْها وَأَفْتَدِي

يعني: من الفلاة.

وأنشد الفرّاء(٤):

إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إليهِ ... وخالَفَ، والسَّفِيهُ إلى خِلافِ

---

(١) البيت من الطويل، وهو لحاتم الطائي في ديوانه ص ١٩٩، والأغاني ١٧/ ٢٩٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٣٤، ١١٣٣، وخزانة الأدب ٤/ ٢١٢، والدرر ١/ ٢١٥، والشعر والشعراء ١/ ٢٥٢، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٦١، ولسان العرب (قرن)، وأساس البلاغة (حشر)، وبلا نسبة في لسان العرب (حشرج)، وهمع الهوامع ١/ ٦٥.

(٢) البيت من الكامل، وهو للبيد في ديوانه ص ٣١٦، ولسان العرب (كفر)، (يدي)، وتاج العروس (كفر)، وكتاب الجيم ٣/ ١٦٨، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ١٩١، ومجمل اللغة ٤/ ٢٣٦.

(٣) صدر البيت:

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي

والبيت من الطويل، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٢٩، والدرر ٢/ ٢٦٩، وبلا نسبة في الإنصاف ١/ ٩٦.

(٤) البيت من الوافر، وهو لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري في إعراب القرآن ص ٩٠٢، والأشباه والنظائر ٥/ ١٧٩، وأمالي المرتضى ١/ ٢٠٣، والإنصاف ١/ ١٤٠، وخزانة الأدب ٣/ ٣٦٤، ٤/ ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، والخصائص ٣/ ٤٩، والدرر ١/ ٢١٦، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٢٤٤، ومجالس ثعلب ص ٧٥، والمحتسب ١/ ١٧٠، ٢/ ٣٧٠، وهمع الهوامع ١/ ٦٥، ومعاني القرآن للفراء ١/ ١٠٤، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٧٣، والعمدة ٢/ ٢٦٣، ومجمع البيان ١/ ١٠٠، وتفسير الطبري ٢/ ٣٢٣، ٣/ ١٢٨، ٤/ ١٥٢.

أراد: جرى إلى السَّفَه.

وقال الله عز وجل في أول سورة الرحمٰن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمٰن: ١٣]، ولم يذكر قبل ذلك إلا الإنسان، ثم خاطب الجانّ معه لأنّه ذكرهم بعد، وقال: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمٰن: ١٥].

قال الفراء: ومثله قول المثقّب العَبْدِي(١):

فَما أَدْرِي إذا يَمَّمْتُ أَرْضاً … أُريد الخيرَ: أَيُّهُمَا يَليني؟
أَأَلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ؟ … أَم الشَّرُّ الَّذي هُوَ يَبْتَغِيني؟

فكنى عن الشر وقَرَنه في الكتابة بالخير قبل أن يذكره، ثم أتى به بعدَ ذلك.

ومن ذلك حذف الصفات.

كقول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ٣] أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم.

وقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥]. أي اختار منهم.

وقال العَجَّاج(٢):

تحتَ الذي اخْتارَ له اللهُ الشَّجَرْ

أي اختار له من الشجر:

وكقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١] أي: مكنّا لهم. والعرب تقول: عَدَدْتُكَ مائةً، أي عددت لك، وأستغفِرُ الله ذنبي.

قال الشاعر(٣):

---

(١) البيتان من الوافر، وهما للمثقب العبدي في ديوانه ص ٢١٢، ٢١٣، وخزانة الأدب ٦/ ٣٧، ١١/ ٨٠، وشرح اختيارات المفضل ص ١٢٦٧، وشرح شواهد الشافية ص ١٨٨ (البيت الثاني فقط)، وشرح شواهد المغني ١/ ١٩١، ١٩٢، والشعر والشعراء ١/ ٤٠٣، ولسان العرب (أنم)، والبيت الثاني للمثقب العبدي أو لسحيم بن وثيل أو لأبي زبيد الطائي في المقاصد النحوية ١/ ١٩٢، والبيت الأول بلا نسبة في تخليص الشواهد ١٤٥، وخزانة الأدب ٦/ ٣٧.

(٢) الرجز للعجاج في ديوانه ١/ ٨ ـ ١٠، ولسان العرب (ثبت) (شبر)، وكتاب العين ٨/ ٤٠٢، وبلا نسبة في لسان العرب (خير)، وتاج العروس (خير)، وتهذيب اللغة ٧/ ٥٤٧.

(٣) البيت من البسيط، وهو بلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥٢٤، والأشباه والنظائر ٤/ ١٦، وأوضح المسالك ٢/ ٢٨٣، وتخليص الشواهد ص ٤٠٥، وخزانة الأدب ٣/ ١١١، ٩/ ١٢٤، والدرر ٥/ =

أسْتَغْفِرُ الله ذَنْباً لستُ مُحْصِيَهُ رَبُّ العبادِ إليه الوجهُ والعملُ

وشبعت خُبْزاً ولَحماً، وشربتُ ورَويتُ ماءً ولبناً وتَعَرَّضتُ معروفك، وَنَزَلْتُكَ ونأَيْتُكَ، وبتُّ القوم، وغَالَيْتُ السلعة، وثَوَيت البَصْرَةَ وسرقْتُكَ مالاً، وسعيت القوم، واسْتَجَبْتُكَ.

قال الشاعر(١):

ودَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

وقوله جل وعز: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. أي: مسؤولاً عنه.

قال أبو عبيدة: يقال: (لَتُسْأَلَنَّ عهدي) أي عن عهدي.

ومن الاختصار قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ [النساء: ٤٤]. أراد: يشترون الضلالة بالهدى، فحذف (الهدى) أي يستبدلون هذا بهذا.

ومثله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦].

ومن الاختصار قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الصافات: ١٠٨]. أي: أبقينا له ذكراً حسناً في الآخرين، كأنه قال: تركنا عليه ثناء حسناً، فحذف الثناء الحسن لعلم المخاطب بما أراد.

ومن الاختصار قوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]. لأنه لما أنزل عليه: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣] قال المشركون: ما نشهد لك بهذا، فمن يشهد لك به؟ فترك ذكر قولهم

= ١٨٦، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٢٠، وشرح التصريح ١/ ٣٩٤، وشرح شذور الذهب ص ٤٧٩، وشرح المفصل ٧/ ٦٣، ٨/ ٥١، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٨١، والكتاب ١/ ٣٧، ولسان العرب (غفر)، والمقاصد النحوية ٣/ ٢٢٦، والمقتضب ٢/ ٣٢١، وهمع الهوامع ٢/ ٨٢، وأمالي المرتضى ٣/ ٤٧، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٢٣٣، وتفسير الطبري ١/ ٥٦، ٢/ ٨٢، وتفسير البحر المحيط ١/ ٣٦١.

(١) البيت من الطويل، وهو لكعب بن سعد الغنوي في الأصمعيات ص ٩٦، ولسان العرب (جوب)، والتنبيه والإيضاح ١/ ٥٥، وجمهرة أشعار العرب ص ٧٠٥، وتاج العروس (جوب)، وأمالي القالي ٢/ ١٥١، ومجاز القرآن ١/ ٢٧، ٢/ ١٠٧، والاقتضاب ص ٤٥٩، وشرح شواهد المغني ص ٢٣٩، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ١١/ ٢١٩، وأمالي المرتضى ٣/ ٦٠، وتفسير الطبري ١/ ١٠٩، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٤٧، ومجمع البيان ١/ ٢٧٨.

وأنزل: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٦]. يدلك على هذا أن (لَكِن) إنما تجيءُ بعد نفي لشيء فَيُوجَبَ ذلك الشيء بها.

ومن الاختصار قوله: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١]. أراد: فبعث الله غراباً يبحث التراب على غرابٍ مَيِّتٍ لِيُوارِيَه، ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١].

ومنه قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢] أي في مرضاتهم.

باب تكرار الكلام والزّيادة فيه

وأما تكرار الأنباءِ والقصص، فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة، بفرضٍ بعد فرض: تَيسيراً منه على العباد، وتدريجاً لهم إلى كمال دينه، ووَعْظٍ بعد وعظ: تنبيهاً لهم من سِنَة الغَفْلَة، وَشَحْذاً لقلوبهم بِمُتَجَدِّدِ الموعظة، وناسخ بعد مَنْسوخ: استِعْبَاداً له واختباراً لبصائرهم. يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

الخطاب للنبي، ﷺ، والمراد بالتثبيت هو والمؤمنون.

وكان رسول الله، ﷺ، يتخَوّل أصحابَهُ بالموعظة مخافة السآمة عليهم[(١)]، أي يَتَعَهّدُهم بها عند الغفلة ودُثُور القلوب.

ولو أتاهم القرآن نَجْماً واحداً لسبَقَ حدوث الأسباب التي أنزله الله بها، ولَثَقُلَت جُمْلَةُ الفرائض على المسلمين، وعلى من أراد الدخول في الدين، ولبطل معنى التنبيه، وفسد معنى النسخ؛ لأن المنسوخ يُعْمَلُ به مدة ثم يُعمل بناسخه بعده.

وكيف يجوز أن يَنزل القرآن في وقت واحد: افعلوا كذا ولا تفعلوه؟.

ولم يفرض الله على عباده أن يحفظوا القرآن كلّه، ولا أن يختموه في التعلم، وإنما أنزله ليعملوا بمُحْكَمِه، ويؤمنوا بمتشابِهِه، ويأْتَمِروا بأمره. وينتهوا بزجره: ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة، ويقرؤوا فيها الميسور.

قال الحسن: نزل القرآن ليُعْمَلَ به، فاتخذ الناس تِلاوتَه عَمَلاً.

وكان أصحاب رسول الله، ﷺ، ورضي عنهم - وهم مصابيح الأرض وقادةُ الأنام ومُنْتَهى العلم - إنما يقرأ الرّجلُ منهم السورتين، والثلاث، والأربع، والبعضَ والشّطر

(١) لفظ الحديث: عن عبد الله بن مسعود، قال: كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا بالموعظة مخافة السآمة علينا. أخرجه البخاري في العلم باب ١١، ١٢، ومسلم في المنافقين حديث ٨٢، ٨٣، والترمذي في الأدب باب ٧٢، وأحمد في المسند ١/٣٧٧، ٣٧٨، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦.

من القرآن، إلا نفراً منهم وفقهم الله لجمعه، وسهّل عليهم حفظه.

قال أنس بن مالك: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدّ فينا. أي جلّ في عيوننا، وعظُم في صدورنا.

قال الشَّعبي: توفي أبو بكر، وعمر، وعلي، رحمهم الله، ولم يجمعوا القرآن.

وقال: لم يختمه أحد من الخلفاء غير عثمان.

وروي عن شَريك، عن اسماعيل بن أبي خالد أنه قال:

سمعت الشَّعْبي يحلف بالله، عز وجل؛ لقد دخل عَليٌّ حُفرَتَهُ وما حفظ القرآن.

وكانت وفودُ العرب تَرِدُ على رسول الله، ﷺ للإسلام، فيُقرِئُهُم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم.

وكان يبعث إلى القبائل المتفرّقة بالسُّور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مُثنَّاةً ومكرّرة لَوَقَعَتْ قصّة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم.

فأراد الله، بلطفه ورحمته، أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويُلْقِيَها في كل سمعٍ، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير.

وليست القصص كالفروض؛ لأنَّ كُتبَ رسول الله، ﷺ كانت تُنْفَذُ إلى كل قوم بما فرضه الله عليهم من الصلاة، وعددها وأوقاتها، والزّكاة وسنتها، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت. وهذا ما لا تُعرف كيفيته من الكتاب، ولم تكن تنفذ بقصة موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الأنبياء. وكان هذا في صدر الإسلام قبل إكمال الله الدين، فلما نشره الله عز وجل في كل قطر، وبثّه في آفاق الأرض، وعلم الأكابر الأصاغر، وجُمِع القرآن بين الدَّفَّتَيْن ـ: زال هذا المعنى، واجتمعت الأنباء في كل مصر وعند كل قوم.

وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضُه يجزىء عن بعض، كتكراره في: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]وفي سورة الرحمٰن بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرحمن: ١٣] فقد أعْلَمْتُك أنَّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم. ومن مذاهبهم التكرار: إرادةَ التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء ـ أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد.

وقد يقول القائل في كلامه: والله لا أفعله، ثم والله لا أفعله. إذا أراد التوكيد وحَسْمَ الأطماع مِنْ أَنْ يفعله. كما يقول: والله أفعله، بإضمار (لا) إذا أراد الاختصار.

قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: ٣، ٤].

وقال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: ٥، ٦].

وقال: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾ [القيامة: ٣٤، ٣٥].

وقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ۝١٨﴾ [الانفطار: ١٧، ١٨] كلُّ هذا يراد به التأكيد للمعنى الذي كُرِّر به اللفظ.

وقد يقول القائل للرجل: اعْجَل اعجل، وللرامي: ارمِ ارمِ.

وقال الشاعر(١):

كَمْ نِعْمَةٍ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وقال الآخر(٢):

هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ ـدَةَ يَوْمَ وَلَّوا أَيْنَ أَيْنَا

وقال عَوْفُ بن الخَرِع(٣):

وَكَادَتْ فَزَارَةُ تَصْلِي بِنَا فَأَوْلَى فَزَارَةُ أَوْلَى فَزَارَا

وربما جاءت الصفة فأرادوا توكيدها، واستوحشوا من إعادتها ثانية لأنها كلمةٌ واحدٌ، فَغَيَّرُوا منها حرفاً، ثم أتبعوها الأولى.

كقولهم: (عَطْشَانُ نُطْشَان) كرهُوا أن يقولوا: عَطْشان عطشان، فأبدلو من العين نوناً.

وكذلك قولهم: (حَسَنٌ بَسَنٌ) كرهوا أن يقولوا: حسنٌ حسنٌ، فأبدلوا من الحاء باء. و (شيطن لَيطان) في أشباه له كثيرة.

---

(١) الرجز بلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٨٤، وكتاب الصناعتين ص ١٩٣، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٧.

(٢) تقدم البيت مع تخريجه، وهو لعبيد بن الأبرص.

(٣) البيت من المتقارب، وهو في المفضليات ص ٤١٦، ومعجم البلدان ٣/ ٣٠٥، والكتاب ١/ ٣٣١، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٩٤، وإعجاز القرآن ص ٩٤.

ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذي أنزلت فيه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ①﴾ [الكافرون: ١]لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون، ليعبدوا ما يعبد، وأبدؤوا في ذلك وأعادوا، فأراد الله، عزّ وجلّ، حَسْمَ أطماعهم وإكْذَابَ ظُنُونِهِمْ، فأَبْدَأَ وَأَعَادَ في الجواب. وهو معنى قوله: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ⑨﴾ [القلم: ٩] أي تلين لهم في دينك فيلينون في أديانهم.

وفيه وجه آخر، وهو: أن القرآن كان ينزل شيئاً بَعْدَ شيء وآيةً بعد آية، حتى لربما نزل الحرفان والثلاثة.

قال زيد بن ثابت: كنت أكتب لرسول، الله ﷺ: ﴿لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾. فجاء عبد الله ابن أُمِّ مَكْتُوم فقال: يا رسول الله إني أحب الجهاد في سبيل الله، ولكن بي من الضرر ما ترى. قال زيد: فَثَقُلَتْ فَخِذُ رسول الله، ﷺ، على فخذي حتى خشيت أن تَرُضَّها، ثم قال: اكتُبْ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥].

وروى عبد الرَّزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة، عن الحسن أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] قال: كان ينزل آيةً وآيتين وآياتٍ، جواباً لهم عما يسألون ورداً على النبي ﷺ. وكذلك معنى قوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] شيئاً بعد شيء.

فكأن المشركين قالوا له: أَسْلِمْ ببعض آلهتنا حتى نؤمن بإلٰهك، فأنزل الله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③﴾ [الكافرون: ٢، ٣]. يريد إن لم تؤمنوا حتى أفعل ذلك. ثم غَبَرُوا مُدَّة من المدد وقالوا: تعبد آلهتنا يوماً أو شهراً أو حولاً، ونعبد إلٰهك يوماً أو شهراً أو حولاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤﴾ [الكافرون: ٤، ٥]. على شريطة أن تؤمنوا به في وقت وتشركوا به في وقت.

قال أبو محمد: وهذا تمثيل أردت أن أُرِيَك به موضع الإمكان.

وأما تكرار ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ⑬﴾ [الرحمن: ١٣] فإنه عدَّد في هذه السورة نَعْماءَه، وأَذْكَرَ عبادهُ آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه، ثم أتبع ذكر كل خَلَّة وَصَفَها بهذه الآية، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين؛ ليُفَهِّمَهم النِّعَمَ ويُقَرِّرَهم بها،

وهذا كقولك للرجل أجل أحسنتَ إليه دهرك وتابعت عنده الأيادي، وهو في ذلك

يُنكرك ويكفرك: ألم أبوِّئْكَ مَنزلاً وأنت طريد؟ أفتُنْكِرُ هذا؟ و: ألم أحملك وأنت راجل؟ ألم أحج بك وأنت صَرُورَةٌ؟ أفتُنْكِرُ هذا؟.

ومثل ذلك تكرارُ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥، ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠، ٥١] في سورة (اقتربت الساعة) أي: هل من مُعْتَبِرٍ ومتّعظ؟.

وأما تكرار المعنى بلفظين مختلفين؛ فلإشْبَاع المعنى والاتساع في الألفاظ.

وذلك كقول القائل: آمُرُكَ بالوفاء، وأنهاكَ عَن الغدر. والأمْرُ بالوفاء هو النّهيُ عن الغدر. و: آمركم بالتّوَاصُل، وأنهاكم عن التّقاطع. والأمر بالتواصل هو النهي عن التقاطع.

وكقوله سبحانه: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٨]. والنخل والرُّمّان من الفاكهة، فأفردهما عن الجملة التي أدخلهما فيها؛ لفضلهما وحسن موقعهما.

وقوله سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وهي منها، فأفردَها بالذّكر ترغيباً فيها، وتشديداً لأمرها، كما تقول: إيتني كل يوم، ويومَ الجمعة خاصّة.

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف: ٨٠] والنَّجوى هو السر. وقد يجوز أن يكون أراد بالسرّ: ما أسرُّوه في أنفسهم، وبالنَّجوى: ما تسارُّوا به.

وقال ذو الرُّمة[1]:

لَمْيَاءُ في شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسٌ ... وفي اللِّثَاتِ وَفي أنْيَابِها شَنَبُ

واللَّعَسُ هو: حُوَّةٌ، فكرّر لما اختلف اللفظان.

ويمكن أن يكون لما ذكر الحُوَّة، خشي أن يتوهَّم السامع سَواداً قبيحاً، فَبَيَّن أنه لَعَسٌ، واللعسُ يُستحسن في الشِّفاه.

وأما الزيادة في التوكيد فكقوله سبحانه: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] لأن الرجل قد يقول بالمجاز: كلمت فلاناً، وإنما كان ذلك كتاباً أو إشارة على لسان غيره، فأعْلَمنا أنهم يقولون بألسنتهم.

---

(١) البيت من البسيط، وهو لذي الرمة في ديوانه ص ٣٢، والخصائص ٣/ ٢٩١، والدرر ٦/ ٥٦، ولسان العرب (شنب)، (لعس)، (حوا)، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٠٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٢٦، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٢/ ٤٣٨.

وكذلك قوله: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] لأن الرجل قد يكتب بالمجاز، وغيرُه الكاتب عنه.

ويقولُ الأمّي: كتبتُ إليك، وهذا كتابي إليك. وكلُّ فعلٍ أَمَرْتَ به فأنتَ الفاعلُ له، وإنْ وَلِيَهُ غيرُك. قال الله عز وجل: في التابوتِ: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية أبي صالح عنه: هذا كما تقول: حَمَلْتُ إلى بلد كذا وكذا بُرّاً وقمْحاً، وإنما تريد أَمَرْتُ بحمله.

فأعلمنا أنهم يكتبونه بأيديهم ويقولون: هو من عند الله. وقد علموا يقيناً - إذ كتبوه بأيديهم - أنه ليس من عندالله.

وقال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [الصافات: ٩٣] لأن في اليمين القُوةَ وشدَّة البطش، فأخبرنا عن شدة ضَرْبه بها.

وقال الشَّمّاخ[1]:

إذَا مَا رَايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاها عَرَابَةُ بِاليَمِينِ

أي أخذها بقوة ونشاط.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]. كما تقول رأيُ عيني وسمْع أذني نفسي التي بين جنْبيّ.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. كما تقول: نفسي التي بين جَنْبيّ.

وقال: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

أراد توكيد ما أوجبه عليه من الصيام بجمع العددين وذِكرِه مُجْمَلاً، كما قال الشاعر[2]:

---

(١) البيت من الوافر، وهو للشماخ في ديوانه ص ٣٣٦، ولسان العرب (عرب)، (يمن)، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٢١، ١٥/ ٥٢٣، وجمهرة اللغة ص ٣١٩، ٩٩٤، وتاج العروس (عرب)، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٨، والإصابة ٤/ ٢٣٤، والشعر والشعراء ١/ ٢٧٨، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٣، ٢/ ٢٢٣، وتفسير البحر المحيط ١/ ١٦٠، والعمدة ٢/ ١٣١، وأمالي القالي ١/ ٢٧٤، ونقد الشعر ص ٢٥، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري ٢٣/ ٣٢.

(٢) البيت من الوافر، وهو للفرزدق في ديوانه ص ٨٣٥، والموشح ص ١١٤، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٧٩، ومجمع البيان ١/ ٢٩١، ولسان العرب (سهم)، وطبقات الشعراء ص ٣٨.

ثَـلاثٌ وَاثْـنَـتَـانِ فَـهُـنَّ خَـمْـسٌ وسَـادِسَـةٌ تَـمِـيـلُ إلَـى شَـمَـامِ

وقد تزاد (لا) في الكلام والمعنى: طَرْحُها لإباءٍ في الكلام أو جَحْدٍ.

كقول الله عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]. أي ما منعك أن تسجد. فزاد في الكلام (لا) لأنه لم يسجد.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩] يريد وما يشعركم أنها إذا جَاءَتْ يؤمنون، فزاد (لا) لأنهم لا يؤمنون إذا جاءت.

ومن قرأها بكسر إنَّ، فإنه يجعل الكلام تاماً عند قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ ثم يبتدىء فيقول: ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥]. يريد أنهم يَرْجِعُونَ، فزاد (لا): لأنهم لا يرجعون.

وقوله سبحانه: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٩]. يريد ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون، فزاد (لا) في أول الكلام؛ لأن في آخر الكلام جَحْداً.

وكذلك قوله أبي النجم[(١)]:

فـمـا أَلُـومُ الـبِـيـضَ ألا تَـسْـخَـرَا

أي أن تسخرا، فزاد (لا) في آخر الكلام؛ للجحد في أوله.

وقول العَجّاج[(٢)]:

---

(١) يليه: لـمـا رأيـن الـشـمـط الـقـفـنـدرا

والرجز لأبي النجم في تاج العروس (قفدر)، والخصائص ٢/ ٢٨٣، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٨، ومجاز القرآن ١/ ٢٦، وتفسير الطبري ١/ ٦٢، وبلا نسبة في لسان العرب (قفندر)، وجمهرة اللغة ص ١١٤٧، ١١٨٥، والمخصص ٢/ ١٧٥، والأزهية ص ١٥٤، والجنى الداني ص ٣٠٣، والمحتسب ١/ ١٨١، والمقتضب ١/ ٤٧.

(٢) يليه: بـإفـكـه حـتـى رأى الـصـبـح جـشـره

والرجز للعجاج في ديوانه ص ٢٠، ٢٢، والأزهية ص ١٥٤، والأشباه والنظائر ٢/ ١٦٤، وخزانة الأدب ٤/ ٥١، ٥٢، ٥٣، وشرح المفصل ٨/ ١٣٦، وتاج العروس (حور)، (لا)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٢٨، ١٥/ ٤١٨، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٨، والجمهرة ٢/ ١٤٦، ٣/ ٣٧٠، ومجاز القرآن ١/ ٢٥. والأضداد لابن الأنباري ص ١٨٦، وبلا نسبة في لسان العرب (حلر)، (غير)، (لا)، وخزانة الأدب ١١/ ٢٢٤، والخصائص ٢/ ٤٧٧، وجمهرة اللغة ص ٥٢٥، ومجمل اللغة ٢/ ١٢٠.

فــي بِــئْــرِ لا حُــورٍ سَــرَى وَمَــا شَــعَــرْ

فزاده (لا) في أول الكلام؛ لأن في آخره جَحْداً.

وأما زيادة (لا) في قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: ١، ٢].

وقوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ [الانشقاق: ١٦]. و: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾﴾ [البلد: ١] ـ: **فإنها زيدت في الكلام على نية الرَّدِّ على المكذبين، كما تقول في الكلام:** لا والله ما ذاك كما تقول. لو قلتَ: والله ما ذاك كما تقول، لكان جائزاً، غير أن إدخَالَكَ (لا) في الكلام أوَّلاً، أبْلَغُ في الرَّدِّ.

وكان بعض النحويين يجعلها صلة. ولو جاز هذا لم يكن بين خبرٍ فيه الجَحْد، وخبرٍ فيه الإقرار ـ فَرْقٌ.

و(ألا) تُزَادُ في الكلام للتنبيه.

كقوله: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود: ٥] و: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨].

وقال الشاعر[1]:

أَلا أَيُّهٰذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ: هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

أراد أيُها الزاجري أن أحضر الوغى فزاد (ألا) وحذف (أنْ).

والباء تُزاد في الكلام، والمعنى إلقاؤها.

كقوله سبحانه: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] أي اسم ربك.

---

(١) البيت من الطويل، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٣٢، والإنصاف ٢/ ٥٦٠، وخزانة الأدب ١/ ١١٩، ٨/ ٥٧٩، والدرر ١/ ٧٤، وسرّ صناعة الإعراب ١/ ٢٨٥، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٠٠، والكتاب ٣/ ٩٩، ١٠٠، ولسان العرب (أنن)، (دنا)، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٠٢، والمقتضب ٢/ ٨٥، ومجمع البيان ١/ ١٤٩، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١/ ٤٦٣، ٨/ ٥٠٧، ٥٨٠، ٥٨٥، والدرر ٣/ ٣٣، ٩/ ٩٤، ورصف المباني ص ١١٣، وشرح شذور الذهب ص ١٩٨، وشرح ابن عقيل ص ٥٩٧، وشرح المفصل ٢/ ٧، ٤/ ٢٨، ٧/ ٥٢، ومجالس ثعلب ص ٣٨٣، ومغني اللبيب ٢/ ٣٨٣، ٦٤١، وهمع الهوامع ٢/ ١٧، وصدر البيت بلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة ص ١٠٤، ١٩٧.

و ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] أي يشرَبها.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] أي هزِّي جذعَ.

وقال ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ [القلم: ٥، ٦] أي أيكم المفتون.

وقال الأعشى(١):

ضَمِنَتْ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا

وقال الآخر(٢):

نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالفَرَجْ

وقال امرؤ القيس(٣):

هَصَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخَ مَيَّالِ

أي: غُصْنا.

---

(١) يروى البيت بتمامه:

ضمنت لنا أعجازه أرماحنا ... ملء المراجل والصريح الأجردا

والبيت من الكامل، وهو للأعشى في ديوانه ص ٣٤، ولسان العرب (جرد)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٦٤٠، وتاج العروس (جرد).

(٢) قبله:

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج

والرجز للنابغة الجعدي في ملحق ديوانه ص ٢١٦، والخزانة ٤/ ٥٩، ومعجم البلدان ٦/ ٣٩٢، وبلا نسبة في لسان العرب (الباء)، والمخصص ١٤/ ٧٠، وأدب الكاتب ص ٥٢٢، والإنصاف ١/ ٢٨٤، وخزانة الأدب ٩/ ٥٢٠، ٥٢١، ورصف المباني ص ١٤٣، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٣٢، ومعجم ما استعجم ص ١٠٢٩، ومغني اللبيب ١/ ١٠٨، وتاج العروس (فلج)، (الباء)، والاقتضاب ص ٤٥٨، والجواليقي ص ٣٨١، ومجاز القرآن ١/ ١٩٤، ٢/ ٥٦، ٢٦٤، وتفسير الطبري ١٨/ ١٢.

(٣) صدر البيت:

ولما تنازعنا الحديث وأسمحت

والبيت من الطويل، وهو لامرىء القيس في ديوانه ص ٣٢، ولسان العرب (هصر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٨، وتاج العروس (هصر)، وكتاب العين ٣/ ٤١١، والاقتضاب ص ٤٥٧ـ ٤٥٨، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/ ٥٤، والمخصص ١٤/ ٧٠، ١٧٩، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٤٦، ٦/ ١٠٧.

وقال أمية بن أبي الصَّلت[١]:

إذ يسفُّونَ بالدقيق وكانُوا قبلُ لا يأكُلُونَ شيئاً فَطِيرا

وقال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

و(مِنْ) **قد تزاد في الكلام أيضاً**، كقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٧] أي: ما أريد منهم رزقاً.

وتقول: ما أتاني من أحد، أي أحد.

و(اللام) قد تزاد، كقوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

و (الكاف) قد تزاد، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

و (على) قد تُزاد. قال حُمَيد بن ثَوْر[٢]:

أَبَى الله إلا أَنَّ سَرْحَةَ مالِكٍ على كلِّ أَفْنانِ العِضَاهِ تَرُوقُ

أراد: تروق كلَّ أفنان.

و (عن) تُزَادُ قال تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣].

و (إنَّ الثقيلة) تزاد كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠].

وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال الشاعر[٣]:

إنَّ الخليفةَ إنَّ الله سَرْبَلَهُ سِرْبَالَ مُلكٍ به تُرجَى الخَواتِيمُ

و(إن الخفيفة) تُزاد، كقول الشاعر[٤]:

---

(١) البيت من الخفيف، وهو في الاقتضاب ص ٤٥٦.

(٢) البيت من الطويل، وهو لحميد بن ثور في ديوانه ص ٤١، وأدب الكاتب ص ٥٢٣، وأساس البلاغة (روق)، والجنى الداني ص ٤٧٩، والدرر ٤/ ١٣٧، وشرح التصريح ٢/ ١٥، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٢٠، ولسان العرب (سرح)، ومغني اللبيب ١/ ١٤٤، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٣٧٧، وخزانة الأدب ٢/ ١٩٤، ١٠/ ١٤٤، ١٤٥، وشرح الأشموني ٢/ ٢٩٤.

(٣) البيت من البسيط، وهو لجرير في ديوانه ص ٦٧٢، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٦٤-٣٦٨، وبلا نسبة في أمالي الزجاجي ص ٦٢، وتذكرة النحاة ص ١٣٠، ولسان العرب (ختم).

(٤) البيت من الكامل، وهو لدريد بن الصمة في ديوانه ص ٣٤، والأغاني ١٠/ ٢٢، وإصلاح المنطق =

مــا إنْ رَأَيْــتُ ولا ســمــعــتُ بــه كــالــيــومِ هــانِــيءَ أَيْــنُــقٍ جُــرْبِ

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وقال بعضهم: أراد فيما مكَّنَّاكُمْ فيه، و(إن) زائدة.

وقال بعضهم: هي بمعنى مكَّنَّاهم فيما لم نُمكنكم فيه.

و(إذ) قد تزاد، كقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ٣٠].

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ﴾ [لقمان: ١٣]. أي: وقال.

وقال ابن مَيَّادَةَ[(١)]:

إذْ لا يَــــزَال قـــائــــل: أبِــــنْ أبِــــنْ

و(ما) قد تزاد، كقوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [المؤمنون: ٤٠] و ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

و (واو النَّسَق) قد تزاد حتى يكون الكلام كأنه لا جواب له، كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزمر: ٧٣]. والمعنى: قال لهم خزنتها.

وقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٥].

وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣، ١٠٤].

وكقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

وقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] أي: لنحمل خطاياكم عنكم.

قال امرؤ القيس[(٢)]:

= ص ١٢٧، وشرح شواهد الإيضاح ص ٥٧٨، وشرح شواهد المغني ص ٩٥٥، وشرح المفصل ٨/ ١٢٨، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ١٨٨، وجمهرة اللغة ص ٣٧٤، ومغني اللبيب ص ٦٧٩.

(١) يروى الرجز بتمامه:

إمّــا يــزال قــائــلٌ أبِــنْ أبِــنْ هَوْذَلَة المشآة عن ضرس اللّبِنْ

والرجز لابن هرمة في ديوانه ص ٢١٦، ولسان العرب (هذل)، وتاج العروس (هذل)، ولسالم بن دارة أو لابن ميادة في لسان العرب (لبن)، ولابن ميادة في ملحق ديوانه ص٢٦٠، ولسان العرب (ضرس)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٨٥، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٧٩، ٧٠٢، ١١٧٤، وكتاب الجيم ١/ ٨٤.

(٢) يروى عجز البيت بلفظ: =

فَلمّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا ... بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفَافٍ عَقَنْقَلِ

أراد انتحى.

وقال آخر[١]:

حَتَّى إِذَا قَمِلَتْ بُطُونُكُمُ ... وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا

وَقَلبْتُم ظَهْرَ المِجَنِّ لَنَا ... إِن اللَّئِيمَ العَاجِزُ الخَبُّ

أراد: قلبتم.

ومما يُزاد في الكلام: (الوَجْهُ)، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، أي: يريدونه بالدعاء.

و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] أي: إلا هو.

و ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] أي: فَثَمَّ الله.

و ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، أي: لله.

و(الاسم) يَزاد، قال: أبو عبيدة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ إنما هو بالله، وأنشد للبيد[٢]:

إِلَى الحَوْلِ ثُمَّ السلام عليكما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدْ اعْتَذَرْ

أي: السلام عليكما.

و ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٧٨]، أي: تبارك ربُّكَ.

= بنا بطن حقف ذي حقاف عقنقل

والبيت من الطويل، وهو لامرىء القيس في ديوانه ص ١٥، وأدب الكاتب ص ٣٥٣، والأزهية ص ٢٣٤، وخزانة الأدب ١١/ ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ولسان العرب (جوز)، وتاج العروس (عقل)، والمنصف ٣/ ٤١، وبلا نسبة في رصف المباني ص ٤٢٥.

(١) البيتان من الكامل، وهما للأسود بن يعفر في ديوانه ص ١٩، وبلا نسبة في الأزهية ص ٢٣٦، والإنصاف ص ٤٥٨، وتذكرة النحاة ص ٤٥، والجنى الداني ص ١٦٥، وخزانة الأدب ١١/ ٤٤، ٤٥، ورصف المباني ص ٤٢٥، وسر صناعة الإعراب ص ٦٤٦، ٦٤٧، وشرح عمدة الحافظ ص ٦٤٩، وشرح المفصل ٨/ ٩٤، ولسان العرب (قمل)، (وا)، ومجالس ثعلب ص ٤٧، والمعاني الكبير ص ٥٣٣، والمقتضب ٢/ ٨١.

(٢) البيت من الطويل، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ٢١٤، والأشباه والنظائر ٧/ ٩٦، والأغاني ١٣/ ٤٠، وبغية الوعاة ١/ ٤٢٩، وخزانة الأدب ٤/ ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٢، والخصائص ٣/ ٢٩، والدرر ٥/ ١٥، وشرح المفصل ٣/ ١٤، والعقد الفريد ٢/ ٧٨، ٣/ ٥٧، ولسان العرب (عذر)، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٧٥، والمنصف ٣/ ١٣٥، وبلا نسبة في أمالي الزجاجي ص ٦٣، وشرح الأشموني ٢/ ٣٠٧، وشرح عمدة الحافظ ص ٥٠٧، والمقرب ١/ ٢١٣، وهمع الهوامع ٢/ ٤٩، ١٥٨.

باب الكِنَاية والتّعريض

الكناية أنواع، ولها مواضع:

فمنها أن تَكْنَى عن اسم الرجل بالأُبُوّة؛ لتزيد في الدِّلالة عليه إذا أنت رَاسَلته أو كتبت إليه؛ إذْ كانت الأسماء قد تتّفق.

أو لتعظّمه في المخاطبة بالكُنية؛ لأنها تدلّ على الحُنْكة وتُخبِر عن الاكْتِهَال.

وقد ذهب هؤلاء إلى أنّ الكنية كَذِب ما لم يكن الولَدُ مُسَمَّى بالاسم الذي كُنِيَ بِهِ عن الأبِ، وتقع للرجل بعد الولادة.

وقالوا: إن كانت الكناية للتعظيم فما بَاله كنى أبا لهب وهو عدوّه، وسمّي محمداً، ﷺ، وهو وَليُّه ونَبيُّه.

والجواب عن هذا: أن العرب كانت ربّما جعلت اسم الرجل كُنْيَتَه، فكانت الكُنية هي الاسم.

قال أبو محمد: خبّرني غير واحد عن الأصمعي: أن أبا عمرو بن العلاء، وأبا سفيان بن العلاء أسماؤها كناهما.

وربما كان للرجل الاسم والكنية، فغلبت الكنية على الاسم؛ فلم يعرف إلا بها، كأبي سفيان، وأبي طالب، وأبي ذَرّ، وأبي هريرة.

ولذلك كانوا يكتبون: علي بن أبو طالب و معاوية بن أبو سفيان؛ لأن الكنية بكمالها صارت اسماً، وحظُّ كلّ حرف الرفعُ ما لم ينصبه أو يجرّه حرف من الأدوات أو الأفعال. فكأنه حين كُنّي قيل: أبو طالب، ثم تُرك ذلك كهيئته، وجُعل الاسمان واحداً.

وقد رُوي في الحديث أن اسم أبي لهب عبد العزّى، فإن كان هذا صحيحاً فكيف يذكره رسول الله بهذا الاسم، وفيه معنى الشرك والكذب؛ لأن الناس جميعاً عَبيدُ الله؟.

وقال المفسرون في قول الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩] ـ: إن حوّاء لما أثقلَتْ أتاها إبليس في صورة رجل فقال لها: ما هذا الذي في بطنك؟ وذلك أول حملها، فقالت: ما أدري، فقال لها: أرأيتِ إن دعوت ربي فولدته إنساناً أَتُسَمِّينَه بي؟ فقالت: نعم. وقالت هي و آدم: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: لئن خلقتَه بشراً مثلَنا ولم تجعله بهيمةً. فلما ولدته أتاها إبليس ليسألها الوفاء؛ فقالت: ما اسمك؟ قال: الحارث، فتسمى بغير اسمه، ولو تسمى باسمه لعرفته، فسمته عبد الحارث، فعاش أياماً ثم مات، فقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]، وإنما جعلا له الشرك بالتسمية لا بالنية والعَقْدِ، وانتهى الكلام في قصة آدم وحواء، ثم ذكر مَنْ أشرك به بالعَقْدِ والنّية من ذرّيتهما، فقال: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] ولو كان أراد آدم وحواء لقال: عما يشركان. فهذا يدلُّك على العموم.

وإن كان اسم أبي لهب كنيتَه فإنما ذكَره بما لا يُعرَف إلا به، والاسم والكنية عَلَمان يُميِّزان بين الأعيان والأشخاص، ولا يقعان لعلة في المسمى كما تقع الأوصاف، فبأيِّ شيءٍ عُرِفَ الرجل، جاز أن تَذْكُره به غير أن تكذِب في ذلك.

ولو كان من دعا أبا القاسم بأبي القاسم ولا قاسم له، كان كاذباً ـ لكان من دعا المُسمى بكلب وقردٍ وغُرابٍ وذُباب ـ كاذباً؛ لأنه ليس كما ذكر.

وقد طعنت الشُّعُوبية على العرب بأمثال هذه الأسماء، ونسبوهم إلى سوء الاختيار، وجهلوا معانِيَهم فيها.

وكان القوم يتفاءلون ويتطيّرون، فمن تسمى منهم بالأسماء الحُسْنى أراد أن يَكثر له الفأل بالحسن، ومن تسمَّى بقبيح الأسماء أراد صرفَ الشرّ عن نفسه.

وذلك أن العرب كانت إذا خرجت لِلمُغَارِ قالوا: إلى من تقصد؟ فتطيروا من كلب وجُعَل وقرد ونمِر وأسد، وقالوا: ميلوا بنا إلى بني سعد وإلى غَنْم وما أشبه ذلك.

ومن الكناية قول الله عز وجل: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفرقان: ٢٨].

ذهب هؤلاء وفريق من المُتَسَمّين بالمسلمين إلى أنه رجل بعينه.

وقالوا: لم كنى عنه؟ وإنما يَكتني هذه الكناية من يخافُ المُبَاداة، ويحتاج إلى المُدَاجاة.

وقال آخرون: بل كان هذا الرجل مُسَمًّى في هذا الموضع؛ فغُيِّرَ وكُنِّي عنه. وذهبوا إلى أنه عمر، وتأوّلوا الآية فقالوا: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] **يعني أبا بكر** رضي الله عنه.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧] **يعني محمداً** ﷺ.

﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ **يعني عمر** رضي الله عنه.

﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٩] **يعني علياً**.

قال أبو محمد: ونقول في الرد على (أولئك) إذ كان غلطهم من وجهة قد يَغلُظ في مثلها من رَقّ علمه. **فأما هؤلاء ففي قولهم ما أَنْبأ عن نفسه، ودلَّ على جهل مُتأوِّله**

كيف يكون عليٌّ رحمة الله عليه، ذِكْراً؟.

وهل قال أحد: إن أبا بكر لم يسلم، ولم يتخذ بإسلامه مع الرسول سبيلاً؟.

وليس هذا التفسير بنكر من تفسيرهم وما يَدَّعُونه من علم الباطن كادّعائهم في الجبْتِ و الطّاغوت أنهما رجلان.

وأن الخمر والميسر رجلان آخران.

وأن العنكبوت غير العنكبوت والنحل غير النحل. في أشباه كثيرة من سخفهم وجهالاتهم.

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية: إنّ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط صنع طعاماً ودعا أشراف أهل مكة، فكان رسول الله، ﷺ فيهم، فامتنع من أن يطعم أو يَشْهَدَ عُقْبَةُ بشهادَة الحَقّ، ففعل ذلك، فأتاه أُبَيُّ بن خَلَف، وكان خليله، فقال: صَبَأْتَ؟ فقال: لا ولكن دخل عليّ رجل من قريش فاستحييت من أن يخرج من منزلي ولم يَطْعَم.

فقال: ما كنت لأَرضىَ حتى تبصق في وجهه وتفعل به وتفعل، ففعل ذلك، فأنزل الله هذه الآية عامة، وهذان الرجلان سبب نزولها.

كما أنه قد كانت الآية، والآي، تنزل في القصة تقع: وهي لجماعة الناس. والمفسرون على أن هذه الآية نزلت في هذين الرجلين، وإنما يختلفون في ألفاظ القصة.

فأراد الله سبحانه بـ الظالم كل ظالم في العالم، وأراد بفلان كل من أُطِيعَ بمعصية

الله وَأُرْضِيَ بإسخاطِ الله.

ولو نزلت هذه الآية على تقديرهم فقال: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم ـ قارون وهامان، وعقْبَةُ بن أبي مُعَيْط، وأُبَيُّ بن خَلَف، وَعُتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَة بن ربيعة، والمغيرة، وفلان وفلان، بالأسماء ـ على أيديهم يقولون: يا ليتنا لم نتخذ فرعون، ونُمْرُود، وعقبة بن أبي مُعَيْط، وأبا جهل، والأسود، وفلاناً، وفلاناً بالأسماء ـ لطال هذا وكثر وثقل، ولم يدخل فيه من تأخّر بعد نزول القرآن من هذا الصِّنف، وخرج عن مذاهب العرب، بل عن مذاهب الناس جميعاً في كلامهم.

فكان (فلان) كناية عن جماعة هذه الأسماء.

وقد يقول القائل: ما جاءك إلا فلان بن فلان، يريد أشراف الناس المعروفين، والشاعر يقول[(١)]:

فــي لُــجَّــةٍ أَمْــسِــكْ فُــلانــاً عــنْ فُــلِ

يريد: أمسك فلاناً عن فلان، ولم يرد رجلين بأعيانهما، وإنما أراد أنهم في غمرة الشّرّ وضجّته، فالحَجَزَةُ تقول لهذا: أمسك، ولهذا: كُفّ.

والظالم دليل على جماعة الظالمين كقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠] يريد جماعة الكافرين.

ومن هذا الباب (التعريض).

والعرب تستعمله في كلامها كثيراً، فتبلغُ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يُكاشف في كل شيءٍ ويقولون[(٢)]:

---

(١) قبله:

إذا عَصَبْتَ بالعَطَنِ المغربلِ تدافع الشيبُ ولم تقتلِ

والرجز لأبي النجم في جمهرة اللغة ص ٤٠٧، ولسان العرب (عصب)، (لجج)، (خلل)، (قلن)، والطرائف الأدبية ص ٦٦، والمنصف ٢/ ٢٥، والممتع في التصريف ٢/ ٦٤٠، وخزانة الأدب ٢/ ٣٨٩، والدرر ٣/ ٣٧، وسمط اللآلي ص ٢٥٧، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٣٩، وشرح التصريح ٢/ ١٨٠، وشرح المفصل ٥/ ١١٩، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٥٠، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٢٨، والكتاب ٢/ ٢٤٨، ٣/ ٤٥٢، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٢٨، وتهذيب اللغة ٢/ ٤٨، وتاج العروس (عصب)، (خلف)، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٤٧، ٥/ ٢٠٢، ومجمل اللغة ٤/ ٦١، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٤٣، وشرح الأشموني ٢/ ٤٦٠، وشرح ابن عقيل ص ٥٢٧، وشرح المفصل ١/ ٤٨، والمقتضب ٤/ ٢٣٨، والمقرب ١/ ١٨٢، وهمع الهوامع ١/ ١٧٧.

(٢) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (ثلب)، وتاج العروس (ثلب).

لا يُـحْـسِـنُ الـتَّـعـرِيـضَ إلاَّ ثَـلْـبـا

وقد جعله الله في خِطبةِ النساء في عِدّتهنّ جائزاً فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ولم يجز التصريح.

والتعريض في الخِطْبة: أن يقول الرجل للمرأة: والله إنك لجميلة، ولعل الله أن يرزقك بَعْلاً صالحاً، وإن النساء لَمِنْ حاجتني، هذا وأشباهه من الكلام.

وَروى بعض أصحاب اللغة أن قوماً من الأعراب خرجوا يَمْتَارُونَ فلما صدرُوا خالف رجل في بعض الليل إلى عِكْم[1] صاحبه فأخذ منه بُرّاً وجعله في عِكْمِهِ، فلما أراد الرحلة قاما يَتَعَاكمان فرأى عكْمه يَشُولُ وعكمَ صاحبه يثقل، فأنشأ يقول[2]:

عِكْمٌ تَغَشَّى بَعْضَ أَعْكَامِ القَوْمْ لَمْ أَرَ عِكْماً سَارِقاً قبلِ اليَومْ

فخوّن صاحبه بوجه هو ألطف من التصريح.

ورُوي في بعض الحديث: أن رجلاً كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من مَغْزًى كان فيه[3]:

ألا أبـلـغ أبـا حَـفـصٍ رَسُـولاً فِدىً لـك ـ مـن أخـي ثـقـةٍ ـ إزَارِي
قَـلائـصـنَـا هَـدَاكَ الله إنـا شُـغِـلْـنـا عـنـكُـم زَمَـنَ الـحِـصـارِ
فـمـا قُـلُـصٌ وُجِـدْنَ مُـعَـقَّـلاتٍ قـفَـا سَـلْـعٍ بِـمُـخْـتَـلَـفِ الـنِّـجَـارِ
يُـعَـقِّـلُـهُـنّ جَـعْـدٌ شَـيْـظَـمِـيٌّ وبـئـس مُـعَـقِّـلُ الـذَّوْدِ الـظُّـؤَارِ

(١) العكم: المتاع ما دام فيه المتاع، والعكمان: عدلان يشدان على جانبي الهودج.
(٢) الرجز لم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٣) الأبيات من الوافر، والبيت الأول لبقيلة الأكبر الأشجعي، وكنيته أبو المنهال، في لسان العرب (أزر)، والمؤتلف والمختلف ص ٦٣، وعجزه في لسان العرب (أزر)، منسوباً إلى جعدة بن عبد الله السلمي، وبلا نسبة في شرح اختيارات المفضل ص ٢٥٠، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٦٢، ولسان العرب (قلص).
والبيت الثاني لأبي المنهال الأشجعي في لسان العرب (أزر)، وتاج العروس (قلص)، وبلا نسبة في لسان العرب (قلص).
والبيت الثالث بلا نسبة في تهذيب اللغة ٨/ ٣٦٩، والبيت الرابع لبقيلة الأكبر (أبي المنهال) في لسان العرب (أزر)، (وفيه «الخيار» بدل: «الظؤار»، وكذلك في مادة (شنظم))، (ظأر)، (عقل)، (شظم)، وتاج العروس (عقل)، وبلا نسبة في لسان العرب (قلص)، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٦٩، ١٤/ ٣٩٣، وكتاب العين ٨/ ١٦٨، وتاج العروس (شظم)، وفيه أنه ورد في حديث عمر بن الخطاب.

قال أبو محمد:

وقد ذكرتُ الحديث والتفسير وطريقَه في كتاب (غريب الحديث).

وإنما كَنَى بالقُلُص ـ وهي: النُّوق الشَّوابُّ ـ عن النساء وعرَّضَ برجل يقال له: جَعْدَة كان يخالِفُ إلى المُغَيَّبات من النساء، ففهم عمر، رضي الله عنه ما أراد، وجلد جَعْدَة ونفاه.

وقال عنترة[١]:

يا شَاةَ ما قَنصٍ لمن حَلَّتْ لَهُ ... حَرُمَتْ عَليَّ وَلَيْتَها لم تَحْرُمِ

يُعَرِّض بجارية، يقول: أيُّ صَيْدٍ أنت لمن حَلَّ له أن يَصِيدَكِ، فأمَّا أنا فإنَّ حُرْمَةَ الْجِوَارِ قد حَرَّمَتْك عليّ.

وقد جاء في القرآن التعريض:

فمن ذلك ما خبّر الله سبحانه من نبإ الخصم ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: ٢٢]. ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [ص: ٢٣].

إنما هو مثل ضربه الله سبحانه له، ونبهه على خطيئته به.

ووَرَّى عن النساء بذكر النِّعاج، كما كنى الشاعر عن جارية بشاةٍ، وكنى الآخر عن النساء بالقُلُص.

وروَى المِنهال، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس في قول الله سبحانه، حكاية عن موسى ﷺ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]: لم ينس ولكنها من مَعاريض الكلام.

أراد ابن عباس أنه لم يقل: إني نسيت فيكون كاذباً، ولكنه قال: لا تؤاخذني بما نسيت، فأوهمه النسيان، ولم ينس ولم يكذب.

ولهذا قيل: إن في المعاريض عن الكذب لَمَنْدُوحة[٢].

---

(١) البيت من الكامل، وهو لعنترة في ديوانه ص ٢١٣، والأزهية ص ٧٩، ١٠٣، والأشباه والنظائر ٤/ ٣٠٠، وخزانة الأدب ٦/ ١٣٠، ١٣٢، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٨١، وشرح المفصل ٤/ ١٢، ولسان العرب (شوه)، وبلا نسبة في خزانة الأدب ١/ ٣٢٩.

(٢) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٥/ ٣٥ بلفظ: «إن في المعاريض لمندوحة عن =

ومنه قول إبراهيم ﷺ: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] أي سأسقم؛ لأن من كتِب عليه الموتُ، فلا بد من أن يَسْقم.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] أي: ستموت ويموتون.

فأوْهَمهم إبراهيم بمعاريض الكلام أنه سقيم عليل، ولم يكن عليلاً سقيماً، ولا كاذباً.

وكذلك ما رُوِي في الحديث من قوله حين خاف على نفسه وامرأته: (إنها أختي) لأن بني آدم يرجعون إلى أبوين؛ فهم إخوة، ولأن المؤمنين إخوة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وكذلك قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: ٦٣]. أراد: بل فعله الكبير، إن كانوا ينطقون فسلوهم؛ فجعل النطق شرطاً للفعل، أي إن كانوا ينطقون فقد فعله، وهو لا يعقل ولا ينطق.

وقد رُوِي عن النبي، ﷺ: (إنَّ ابراهيم كَذَبَ ثلاث كَذَبَات ما منها واحدة إلا وهو يُمَاحِل بها عن الإسلام)(١).

فسمَّاها كَذَبَات؛ لأنها شَاكَهَتْ(٢) الكذب وضَارَعَتْه.

ولذلك قال بعض أهل السلف لابنه: (يا بني لا تكذبن ولا تشبّهن بالكذب). فنهاه عن المعاريض؛ لئلا يجري على اعتيادها، فيتجاوزَها إلى الكذب، وأَحَبَّ أن يكون حاجزاً من الحلال بينه وبين الحرام.

ومن هذا الباب قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. والمعنى: إنَّا لضالّون أو مهتدون، وإنكم أيضاً لضالون، أو

= الكذب» أي سعة وفسحة، يقال: ندحت الشيء، إذا وسّعته، وإنك لفي ندح ومندوحة من كذا: أي سعة، يعني أن في التعريض بالقول من الاتساع ما يغني الرجل عن تعمّد الكذب. وانظر أيضاً البخاري في الأدب باب ١١٦ (باب المعاريض المندوحة عن الكذب).

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٠٣، بلفظ: في حديث الشفاعة: إن إبراهيم يقول: لست هناكم، أنا الذي كذبت ثلاث كذبات، قال رسول الله ﷺ: «والله ما كذب إلا وهو يماحل بها عن الإسلام» أي يدافع ويجادل، من المحال، بالكسر، وهو الكيد، وقيل: المكر، وقيل: القوة والشدة. وميمه أصلية، ورجل مَحِلٌ: أي ذو كيد.

(٢) شاكهت: يقال: شاكه الشيء مشاكهة وشكاهاً: شابهه وشاكله ووافقه وقاربه.

مهتدون، وهو جل وعز يعلم أن رسولَهُ المَهْتَدِي وأن مُخَالِفَهُ الضالّ، وهذا كما تقول للرّجُلِ يُكذبك ويخالفك: إنَّ أحدنا لكاذب. وأنت تَعنيه، فكذَّبْته من وجهٍ هو أحسن من التصريح، كذلك قال الفرّاء.

وأما قوله سبحانه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] **فقيه تأويلان:**

أحدهما: أن تكون المخاطبة لرسول الله، ﷺ، والمُراد غيره من الشُّكَّاك؛ لأنَّ القرآن نزل عليه بمذاهب العرب كلهم، وهم قد يُخَاطبون الرَّجل بالشيء ويريدون غيره، ولذلك يقول مُتَمَثِّلُهُمْ: «إيَّاكِ أعني واسمعي يا جارة»(١).

ومثله قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ①﴾ [الأحزاب: ١].

الخطاب للنبي، ﷺ، والمراد بالوصية والعِظة المؤمنون، يدلك على ذلك أنه قال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ②﴾ [الأحزاب: ٢]. ولم يقل بما تعمل خبيراً.

ومثل هذه الآية قوله: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ④⑤﴾ [الزخرف: ٤٥]، أي سل من أرسلنا إليه من قبلك رُسلاً من رسلنا، يعني أهل الكتاب، فالخطاب للنبي ﷺ والمراد المشركون.

ومثل هذا قول الكُمَيْت في مدح رسول الله، ﷺ(٢):

إلى السّراج المُنيرِ أحمدَ لا ... يَعْدِلُني رِغْبَةٌ ولا رَهَبُ
عنه إلى غيرِهِ ولو رفعَ النّـ ... ـاسُ إليَّ العيونَ وارْتَقَبُوا
وَقِيل: أفرطتَ، بل قصدتُ ولو ... عَنّفني القائلون أوْ ثَلَبُوا
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللّسانُ ولو ... أُكْثِرَ فِيك اللّجاجُ واللَّجَبُ
أنت المُصفّى المَحْضُ المُهذَّبُ في النّسـ ... ـبَةِ إن نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ

---

(١) انظر مجمع الأمثال ١/ ٥٠ـ ٥١، وجمهرة الأمثال ص ٧.

(٢) الأبيات من المنسرح. وهي في الهاشميات ص ٥٨ـ ٥٩، وأمالي المرتضى ٣/ ١٦٦، وشرح شواهد الشافية ص ٣١١، وتفسير الطبري ١/ ٣٨٣ـ ٣٨٤، والعمدة ٢/ ١٣٥ـ ١٣٦، ومجمع البيان ١/ ١٨٢، والموازنة ص ٤٠.

فالخطاب للنبي ﷺ، والمراد أهل بيته؛ فَوَرّى عن ذكرهم به؛ وأراد بالعائبين واللائمين بني أمية.

وليس يجوز أن يكون هذا للنبي، ﷺ؛ لأنه ليس أحد من المسلمين يَسوءه مدح رسول الله ﷺ، ولا يُعَنِّفُ قائلاً عليه، ومن ذا يُساوَى به، ويُفَضَّل عليه؛ حتى يكثر في مدحه الضّجاج واللُّجب؟.

وإن الشعراء ليمدحون الرجل من أوساط الناس فيُفْرِطون ويفرُطون فيغلون وما يرفع الناسُ إليهم العيُون ولا يرتقبون، فكيف يُلامُ هذا على الاقتصاد في مدح مَنِ الإفراطُ في مدحه غير تفريط، ولكنه أراد أهل بيته.

والتأويل الآخر: أن الناس كانوا في عصر النبي ﷺ أصنافاً:

منهم كافرٌ به مُكذِّب، لا يرى إلا أن ما جاء به الباطل.

وآخر: مؤمن به مُصَدِّقٌ يعلم أن ما جاء به الحق.

و شاكٌ في الأمر لا يدري كيف هو، فهو يقدِّم رجلاً ويؤخِّر أخرى.

فخَاطَبَ الله سبحانه هذا الصِّنف من الناس فقال: فإن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد ﷺ فسل الأكابر من أهل الكتاب والعلماء الذين يقرؤون الكتاب من قَبْلِك، مثل: عبد الله بن سلاَم، وسَلْمانَ الفارسي، وتَميم الدَّارِي وأشباههم، ولم يرد المعاندين منهم فيشهدون على صدقه، ويُخبرونَكَ بنبوَّته، وما قدّمه الله في الكتب من ذكره فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الزمر: ٢]، وهو يريد غير النبي، ﷺ.

كما قال في موضع آخر: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠].

وَحّد وهو يريد الجمع، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦].

و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق: ٦].

وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ﴾ [الزمر: ٨].

ولم يُرد في جميع هذا إنساناً بعينه، إنما هو لجماعة الناس.

ومثله قول الشاعر[1]:

(١) البيت من المتقارب، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.

إذَا كـنـتَ مُـتَّـخِـذاً صَـاحِـبـاً فَـلا تَـصْـحَـبـنْ فـتـىً دَارِمِـيّـا

لم يرد بالخطاب رجلاً بعينه؛ إنما أراد: من كان مُتَّخِذاً صاحباً فلا يجعله من دارم.

وهذا، وإن كان جائزاً حسناً، فإنَّ المذهب الأول أعجب إليّ؛ لأنَّ الكلام اتصل حتى قال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وهذا لا يجوز أن يكون إلا لرسول الله، ﷺ.

باب مخالفة ظاهِر اللفظ مَعناه

من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع:

كقول الله عز وجل: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الذاريات: ١٠]، و ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧]، و﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] وأشباه ذلك.

ومنه قول رسول الله ﷺ، للمرأة: «عَقْرَى حَلْقَى»[1]، أي عقرها الله، وأصابها بوجع في حلقها.

وقد يراد بهذا أيضاً التعجب من إصابة الرجل في منطقه، أو في شعره، أو رميه، فيقال: قاتله الله ما أحسن ما قال، وأخزاه الله ما أشعره، ولله دَرّه ما أحسن ما احتج به.

ومن هذا قول امرىء القيس في وصف رامٍ أصاب[2]:

فَهْوَ لا تَنْمِي رَمِيَّتُهُ ... مَا لَهُ لا عُدَّ مِنْ نَفَرِهْ

يقول: إذا عُدَّ نفرُه ـ أي قومه ـ لم يُعدّ معهم، كأنه قال: قاتله الله، أماته الله.

وكذلك قولهم: هَوَتْ أمّه، وَهَبِلَتْهُ، وَثِكلَتْهُ.

قال كعب بن سعد الغَنَوِي[3]:

هَوَتْ أُمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِياً ... وماذا يُؤَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يَؤُوبُ

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ٣٤، ١٤٥، ١٥١، والطلاق باب ٤٣، والأدب باب ٩٣، ومسلم في الحج حديث ٣٨٧، والبر حديث ٨، وابن ماجه في المناسك باب ٨٣، والدارمي في المناسك باب ٧٣، وأحمد في المسند ٦/١٢٣، ١٧٥، ٢٤، ٢٥٣، ٢٦٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٦٣، وأبو حنيفة في جامع المسانيد ١/٥٠٢، والبغوي في شرح السنة ٥/١٥، وابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٥٥٠.

(٢) البيت من المديد، وهو لامرىء القيس في ديوانه ص ١٢٥، ولسان العرب (نفر)، (نمي)، وتهذيب اللغة ١٥/٥١٨، وتاج العروس (نمي)، وكتاب العين ٨/ ٢٩٣، وأساس البلاغة (نمي)، والمعاني الكبير ٢/ ٧٨٦، ٨٣٦، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/ ٤٨٠.

(٣) البيت من الطويل، وهو لكعب بن سعد الغنوي في الأصمعيات ص ٩٥، ولسان العرب (أمم)، (هوا)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٠٢، ٦٤١، وجمهرة اللغة ص ٢٢٩، وسمط اللآلي ص ٧٧٣، =

ومن ذلك الجزاء عن الفعل بمثل لفظه والمعنيان مختلفان:

نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤، ١٥]، أي يجازيهم جزاء الاستهزاء.

وكذلك: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، هي من المبتدىء سيئة، ومن الله، جل وعز، جزاء.

وقوله: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]: فالعدوان الأول: ظلم، والثاني: جزاء، والجزاء لا يكون ظلماً، وإن كان لفظه كلفظ الأول.

ومنه (قول النبي) ﷺ: «**اللهم إنَّ فلاناً هَجَانِي، وهو يعلم أني لست بشاعر، اللهم والْعَنْهُ عدَدَ ما هجاني، أو مكان ما هجاني**»(١)؛ أي جازه جزاء الهجاء.

وكذلك قوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

ومنه أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير:

كقوله سبحانه: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ۝﴾ [طه: ١٧]، و ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

ومنه أن يأتي على مذهب الاستفهام وهو تعجب:

كقوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝﴾ [النبأ: ١، ٢]، كأنه قال: عمَّ يتساءلون يا محمد؟ ثم قال: عن النبإ العظيم يتساءلون.

وقوله: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝﴾ [المرسلات: ١٢] على التعجب، ثم قال: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝﴾ [المرسلات: ١٣] أُجِّلَتْ.

= وجمهرة أشعار العرب ص ٧٠٣، وتاج العروس (أم)، (هوى)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٦/ ٤٩٢، ١٤/ ٢٧٤، والمخصص ١٢/ ١٨٢، ولسان العرب (هبل).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث ٢٢٨٣، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/ ٣٠٠، ٣٢٤، والجرح والتعديل ٢٣/ ٢، ٣٩١، والبخاري في التاريخ الكبير ٤/ ١، ٤٤، ٣/ ٢/ ٣٩١، والعقيلي في الضعفاء ٣٥٥، والذهبي في تاريخ الإسلام ٤/ ٢٧٧، والمزي في تهذيب الكمال ٤٤٦، وميزان الاعتدال ٣/ ٦١/ ٣١٧، وتهذيب التهذيب ٧/ ١٦٥، ٨/ ٢١٨.

وأن يأتي على مذهب الاستفهام وهو توبيخ:

كقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥)﴾ [الشعراء: ١٦٥].

ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد:

كقوله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

وأن يأتي على لفظ الأمر وهو تأديب:

كقوله: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

وعلى لفظ الأمر وهو إباحة:

كقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وعلى لفظ الأمر وهو فرض:

كقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، و ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، و ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

ومنه عامٌّ يُرادُ به خاص:

كقوله سبحانه حكاية عن النبي، ﷺ: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، وحكاية عن موسى: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولم يرد كل المسلمين والمؤمنين؛ لأن الأنبياء قبلهما كانوا مؤمنين ومسلمين؛ وإنما أراد مؤمني زمانه ومسلميه.

وكقوله سبحانه: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)﴾ [آل عمران: ٣٣]، ولم يصطفهم على، محمد ﷺ، ولا أُمَمُهُمْ على أُمّته، ألا تراه يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وإنما أراد عالمي أَزْمِنَتِهِمْ.

وكقوله سبحانه: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤]؛ وإنما قاله فريق من الأعراب.

وقوله: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤)﴾ [الشعراء: ٢٢٤] ولم يرد كل الشعراء.

ومنه قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وإنما قاله نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ لأصحاب محمد، ﷺ ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾، يعني: أبا سفيان؛ وعُيَيْنَة بن حِصْن، ومالك بن عوف.

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، يريد المؤمنين منهم. يدلك على ذلك قوله في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، أي خلقنا.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، يريد النبي، ﷺ، وحدَه.

ومنه جمع يُرَادُ به واحدٌ واثنان:

كقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]: واحد واثنان فما فوق.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ﴾ [التوبة: ٦٦] ـ: كان رجل من القوم لا يمالئهم على أقاويلهم في النبي ﷺ، ويسير مُجَانِباً لهم، فسماه الله طائفة وهو واحد.

وكان «قتادة» يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤]: هو رجل واحد ناداه: يا محمد، إنّ مَدْحِي زَيْنٌ، وإنّ شتمي شَيْنٌ. فخرج إليه النبي، ﷺ فقال: «ويلك، ذاك الله جل وعز» ونزلت الآية[1].

وقوله سبحانه ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]، أي أخَوَان فصاعداً.

قوله سبحانه: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، جاء في التفسير: أنهما لوحان.

وقوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، وهما قلبان.

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦]، يعني عائشة وصَفْوان بن المُعَطَّل.

وقال: ﴿بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، وهو واحد، يدلك على ذلك قوله: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ [النمل: ٣٧].

ومنه واحد يراد به جميع:

كقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر: ٦٨]، وقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. وقوله: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير سورة ٤٩، باب ٢، وأحمد في المسند ٣/٤٨٨، ٦/٣٩٤.

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] والتفريق لا يكون إلا بين اثنين فصاعداً.

وقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٧].

والعرب تقول: فلان كثير الدرهم والدينار، يريدون الدراهم والدنانير.

وقال الشاعر(١):

هُمُ المَوْلَى وإن جَنَفُوا عَلَينا ... وَإنّا مِنْ لِقَائِهِمُ لَزُورُ

وقال الله عز وجل: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون: ٤]، أي الأعداء، ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، أي رفقاء.

وقال الشاعر(٢):

فقلنا: أَسْلِمُوا إنّا أَخُوكُم ... وقد بَرِئَت من الإحَنِ الصُّدُورُ

ومنه أن تصف الجميع صفة الواحد:

نحو قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة: ٦]. وقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

وتقول: قومٌ عَدْل. قال زهير(٣):

مَنْ يَشْتَجِرْ قَومٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهم: ... هُمُ بَيْنَنا فَهُمْ رِضاً وَهُمُ عَدْلُ

وقال الشاعر(٤):

---

(١) البيت من الوافر، وهو لعامر الخصفي في لسان العرب (جنف)، (ولي)، وتاج العروس (ولي)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٦٦، ٦٧.

(٢) البيت من الوافر، وهو لعباس بن مرداس في ديوانه ص ٥٢، ولسان العرب (أخا)، والمقتضب ٢/١٧٤، ومجاز القرآن ١/٧٩، ١٣١، ٢/٤٤، ١٩٥، ومجمع البيان ١/٣٦٥، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤/٢٨٥، وتذكرة النحاة ص ١٤٤، وجمهرة اللغة ص ١٣٠٧، وخزانة الأدب ٤/٤٧٨، والخصائص ٢/٤٢٢.

(٣) البيت من الطويل، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ١٠٧، والأشباه والنظائر ٢/٣٨٥، والأضداد ص ٧٥، والخصائص ٢/٢٠٢، وشرح شواهد الإيضاح ص ٥٠٧، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٣، ولسان العرب (رضي)، وبلا نسبة في المحتسب ٢/١٠٧.

(٤) صدر البيت: يا عاذلاتي لا تردن ملامتي

والبيت من الكامل، وهو بلا نسبة في الخصائص ٣/١٧٤، وشرح شواهد المغني ٢/٥٦١، ومغني اللبيب ١/٢٣٢، ولسان العرب (عذل)، وتفسير الطبري ١٩/٣٤، ومجاز القرآن ٢/٢٤٥.

إنَّ العواذِلَ لَيْسَ لي بأميرِ

وقال آخر(١):

المالُ هَدْيٌ والنِّسَاءُ طَوَالِقُ

ومنه أن يوصف الواحد بالجمع:

نحو قولهم: بُرْمَةٌ أعْشَارٌ وثوبٌ أهْدَامٌ وأسْمالٌ، ونَعْلٌ أسْماطٌ، أي غير مُطْبَقَة.

قال الشاعر(٢):

جاءَ الشِّتاءُ وَقَمِيصِي أخْلاقْ

ومنه أن يجتمع شيئان ولأحدهما فِعْلٌ فيجعل الفعل لهما:

كقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١].

رُوي في التفسير: أنَّ النَّاسِي كان يُوشَعَ بن نُون ويدلّك قوله لموسى، ﷺ: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣].

وقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسل من الإنس دون الجن.

وقوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠] ثم قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢]. واللؤلؤ والمرجان إنما يخرجان من الماء الملح لا من العذب.

وكذلك قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [فاطر: ١٢].

وقد غلط في هذا المعنى أبو ذُؤَيب الهُذَلِيّ ولا أدري أمن جهة هذه الآيات غَلِط

---

(١) الشطر من الكامل، وهو بلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة ص ١٨١، ٣٥١.

(٢) يليه:

شَرَاذِمٌ يَعْجَبُ منه التَّوَّاقْ

والرجز بلا نسبة في الأزهية ص ٣٠، وجمهرة اللغة ص ٦١٩، وخزانة الأدب ١/ ٢٣٤، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٣، ولسان العرب (توق)، (خلق)، (شرذم)، وتهذيب اللغة ٧/ ٣٠، ٩/ ٢٥٦، وتاج العروس (خلق)، (شرذم)، وجمهرة اللغة ص ٦١٩، وكتاب العين ٦/ ٣٠٢، والاقتضاب ص ١٢، وتفسير الطبري ١٤/ ١٤، ١٩/ ٤٧، والجمهرة ٢/ ٢٤٠، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٧.

أم من غيرها؟ قال يذكر الدّرّة[١]:

فجاء بها ما شِئْتَ مِنْ لَطَمِيَّةٍ ... يَدُومُ الفُرَاتُ فوقَها ويَمُوجُ

والفُرات لا يدوم فوقها وإنما يدوم الأُجاجُ.

ومنه أن يجتمع شيئان فيجعل الفعل لأحدهما، أو تنسبه إلى أحدهما وهو لهما:

كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧] أراد: عن اليمين قعيد وعن الشمال قَعيد.

وقال الشاعر[٢]:

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ ... الأسْوَدَ ما لَمْ يُعَاصَ كان جُنُونا

وقال آخر[٣]:

---

(١) البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٣٤، والمعاني الكبير ص ٨٨٣، وتاج العروس (فرت)، (لطم)، وللهذلي في مقاييس اللغة ٢/ ٢٥٦، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٣٢٨، والمزهر ٢/ ٥٠٢، ويروى عجز البيت بلفظ:

تدور البحار فوقها وتموجُ

وهو بهذا اللفظ في شرح أشعار الهذليين ص ١٣٤، ولسان العرب (دوم)، (لطم)، وتاج العروس (دوم).

(٢) البيت من الخفيف، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٨٢، ولسان العرب (شرخ)، وتهذيب اللغة ٧/ ٨١، وجمهرة اللغة ص ٩٢، ٥٨٥، وتاج العروس (شرخ)، وديوان الأدب ١/ ١٠١، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٧٧، والكامل ٢/ ٧٩، ولحسان بن ثابت أو لابنه عبد الرحمٰن في كتاب الحيوان ٣/ ١٠٨، وكتاب الصناعتين ص ١٥٢، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٢٦٩، والمخصص ١/ ٣٨، وكتاب الحيوان ٦/ ٢٤٤، وكتاب الصناعتين ص ١٤٥، ومجاز القرآن ١/ ٢٥٨، ٢/ ١٦١، ٣/ ٢، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٨٦، ومجمع البيان ١/ ١٠٠، وتفسير البحر المحيط ١/ ١٨٥، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٦٨.

(٣) البيت من المنسرح، وهو لقيس بن الخطيم في ملحق ديوانه ص ٢٣٩، وتخليص الشواهد ص ٢٠٥، والدرر ٥/ ٣١٤، والكتاب ١/ ٧٥، والمقاصد النحوية ١/ ٥٥٧، ولعمرو بن امرىء القيس الخزرجي في الدرر ١/ ١٤٧، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٧٩، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٢٨، ولدرهم بن زيد الأنصاري في الإنصاف ١/ ٩٥، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣/ ١٠٠، ٦/ ٦٥، ٧/ ١١٦، وأمالي ابن الحاجب ٢/ ٧٢٦، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٩٥، ٤٧٦، وشرح =

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وأنتَ بِمَا   عِنْدَكَ راضٍ والرأيُ مختلِفُ

ومنه أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب:

كقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢].

وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩].

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧] ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

قال الشاعر(١):

يَا دَارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ   أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ

وكذلك أيضاً تجعل خطاب الغائب للشاهد:

كقول الهُذَلِيّ(٢):

يَا وَيْحَ نَفْسِي كان جِدَّةُ خَالِدٍ   وبياضُ وَجْهِكَ للتُّرابِ الأَعْفَرِ

ومنه أن يخاطب الرجل بشيء ثم يجعل الخطاب لغيره:

كقوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ [هود: ١٤]، الخطاب للنبي، ﷺ، ثم قال للكفار: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: ١٤] يدلك على ذلك قوله: ﴿فَهَلْ

= الأشموني ١/ ٤٥٣، وشرح ابن عقيل ص ١٢٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٨، ولسان العرب (قعد)، ومغني اللبيب ٢/ ٦٢٢، والمقتضب ٣/ ١١٢، ٤/ ٧٣، وهمع الهوامع ٢/ ١٠٩، وأمالي ابن الشجري ١/ ٢٦٥، ٢٧٨، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٣٢٣، ٣/ ١٢٨، ومجمع البيان ١/ ٨٩، ١٠٠، ومعاني القرآن للفراء ١/ ٤٣٤، ٤٤٥.

(١) البيت من البسيط، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٤، والأغاني ١١/ ٢٧، والدرر ١/ ٢٧٤، ٦/ ٣٢٦، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٥٤، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢١٥، والكتاب ٢/ ٣٢١، والمحتسب ١/ ٢٥١، والمقاصد النحوية ٤/ ٣١٥، ولسان العرب (قصد)، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٩٢، ورصف المباني ص ٤٥٢، وشرح الأشموني ٢/ ٤٩٣، وشرح التصريح ١/ ١٤٠، ولسان العرب (سند)، (جرا)، (يا).

(٢) البيت من الكامل، وهو لأبي كبير الهذلي في ديوان الهذليين ص ١٠١، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٠٢، وتفسير البحر المحيط ١/ ٢٤، ومجمع البيان ١/ ٢٧، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٨٣، وأمالي المرتضى ٤/ ١٣٩، وتفسير الطبري ١/ ٥٢.

أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٤].

وقال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؟ [طه: ٤٩].

وقال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧].

وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الفتح: ٨]، ثم قال: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩].

وقال: ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣٢]، يريد أباكم آدم، ﷺ.

ومنه أن تأمر الواحد والاثنين والثلاثة فما فوقُ أَمْرَكَ الاثنين: فتقول: افعلا.

قال الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾ [ق: ٢٤]، والخطاب لخزنة جهنم، أو زَبانِيَتِها.

قال الفراء: والعرب تقول: ويلَك ارْحَلاها وازْجرَاها، وأنشد لبعضهم(١):

فقلتُ لصاحبي لا تحبسانا بنزعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحا

قال الشاعر(٢):

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وَإِنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا

قال الفراء: ونرى أصل ذلك أنَّ الرُّفقة أدنى ما تكون: ثلاثة نَفَرٍ، فجرى كلام الواحد على صاحبيه؛ ألا ترى أنّ الشعراء أكثرُ شيءٍ قِيلاً: يا صاحِبيّ، ويا خليليّ.

وقال غير الفراء: قال النبي، ﷺ: **«الواحد شيطان والاثنان شيطانان، والثلاثة رَكْبٌ»**(٣).

---

(١) البيت من الوافر، وهو لمضرس بن ربعي في شرح شواهد الشافية ص ٤٨١، وله أو ليزيد بن الطثرية في لسان العرب (جزز)، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٩١، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/ ٨٥، وخزانة الأدب ١١/ ١٧، وسر صناعة الإعراب ص ١٨٧، وشرح الأشموني ٣/ ٨٧٤، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٢٨، وشرح المفصل ١٠/ ٤٩، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٠٩، ٢١٨، ولسان العرب (جرر)، والمقرب ٢/ ١٦٦، والممتع في التصريف ١/ ٣٥٧.

(٢) البيت من الطويل، وهو لسويد بن كراع في لسان العرب (جزز)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٣٩، وتاج العروس (جزز)، وشرح شواهد الشافية ص ٤٨٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٨٣٩، والمخصص ٢/ ٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٨٦، وتفسير الطبري ٢٦/ ١٠٣.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن خزيمة في صحيحه ٢٥٧٠، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٥٢٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٧١، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٧٥٧١، وأخرجه بلفظ: «الراكب شيطان والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب». مالك في الاستئذان حديث ٣٥، وأبو داود في الجهاد باب ٧٩، وأحمد في المسند ٢/ ١٨٦، ٢١٤.

وتوعّد معاوية رَوْحَ بن زِنْباع فاعتذر رَوْحٌ فقال معاوية خَلّيا عنه[١]:

إذا الله سَنّى عَقْدَ شَيْءٍ تَيَسَّرا

وقوله: سَنّى: أي فتح.

قالوا: وأدنى ما يكون الآمر والناهي بين الأعوان اثنان، فجرى كلامُهم على ذلك، ووكّل الله، عز وجل، بكل عبد مَلَكين، وأمر في الشهادة بشاهدين.

ومنه أن يخاطب الواحد بلفظ الجميع:

كقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، وأكثر من يخاطب بهذا الملوك؛ لأنّ من مذاهبهم أن يقولوا: نحن فعلنا. بقوله الواحد منهم يعني نفسه، فَخُوطِبُوا بمثل ألفاظهم. يقول الله عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، و ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

ومن هذا قوله عز وجل: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣]، وقوله: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ [هود: ١٤]، وقوله: ﴿فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ [الدخان: ٣٦].

ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون كأنه قول واحد وهو قولان:

نحو قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، وليس هذا من قولها، وانقطع الكلام عند قوله: ﴿أَذِلَّةً﴾، ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١]، هذا قول المرأة، ثم قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢]، أي ليعلم الملك أني لم أخُن العزيز بالغيب.

وقوله: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾، وانقطع الكلام؛ ثم قالت الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

---

(١) صدر البيت:

فلا تيأسا واستغورا الله إنّه

والبيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (غور)، (سنا)، وتهذيب اللغة ١٣/ ٧٨، وأساس البلاغة (سنو)، (غور)، وتاج العروس (غور)، (سنا)، والمعاني الكبير ١/ ٧٤، وأمالي القالي ١/ ٢٣٥، وتهذيب الألفاظ ص ٧٧.

قوله حكايةً عن ملأ فرعون: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾، هذا قول الملأ؛ ثم قال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠].

ومنه أن يأتي الفعل على بِنْيةِ الماضي وهو دائم، أو مستقبل:

كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أي أنتم خير أمّة.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، أي وإذ يقول الله يوم القيامة. يدلك على ذلك قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

وقوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، يريد يوم القيامة. أي سيأتي قريباً فلا تستعجلوه.

وقوله: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩]، أي من هو صبيٌّ في المهد.

وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، وكذلك قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

إنما هو: الله سميع بصير، والله على كل شيء قدير.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩]، أي فنسوقه.

في أشباهٍ لهذا كثيرة في القرآن.

ومنه أن يجيء المفعول به على لفظ الفاعل:

كقوله سبحانه: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]، أي لا معصوم من أمره.

وقوله: ﴿خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق: ٦]، أي مَدْفُوق.

وقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١]، أي مَرْضِيّ بها.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧]، أي مأموناً فيه.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، أي مُبْصِراً بها.

والعرب تقول: ليل نائم، وسِرٌّ كاتم، قال وَعْلَةُ الْجَرْمِيّ[1]:

(١) البيت من الطويل، وهو للحارث بن وعلة في شرح اختيارات المفضل ٢/ ٧٨٠، والمفضليات

ولما رأيتُ الخَيْلَ تَتْرَى أثايجاً ‏ ‏ عَلِمتُ بأنَّ اليومَ أَحْمَسُ فَاجِرُ

أي يوم صعب مَفْجُورٌ فيه.

وأن يأتي فَعيلٌ بمعنى مُفْعِل:

نحو قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ١١٧]، أي مبدعها.

وكذلك: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ [البقرة: ١٠]، أي مؤلم.

وقال عمرو بن مَعْدِ يكَرِب[(١)]:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ ‏ ‏ يُؤَرِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعُ؟

يريد الداعي المُسْمِع.

وفَعِيلٌ، يراد به فاعل:

نحو: حفيظ، وقدير، وسميع، وبصير، وعليم، ومَجيد، وبَدِيءُ الخلق، أي بادِئُه، من قولك: بَدأ الله الخلق.

وبصير في هذا المعنى من بَصُرَ، وإن لم يُستعمل منه فاعل إلا في موضع واحدٍ، وهو قولهم: أَرَيْتُهُ لَمْحاً بَاصِراً. أي نظراً شديداً باستقصاء وتَحْدِيق.

ومنه أن يأتي الفاعل على لفظ المفعول به، وهو قليل:

كقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم: ٦١]، أي آتياً.

= ص ١٦٦، والأزمنة والأمكنة ٢/ ٣٠٨، ٣/ ٣١٢، ولوغلة الجرمي في المعاني الكبير ص ٩٤٦، والأصمعيات ص ١٩٨، والمعاني الكبير ٢/ ٩٤٦، والعقد الفريد ٥/ ٢٣١، والأغاني ١٥/ ٧٧، والنقائض ١/ ١٥٥، والخزانة ١/ ١٩٩، وبلا نسبة في الإنصاف ١/ ٢٤٤.

(١) البيت من الوافر، وهو لعمرو بن معديكرب في ديوانه ص ١٤٠، والأصمعيات ص ١٧٢، والأغاني ١٠/ ٤، وخزانة الأدب ٨/ ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ١١/ ١١٩، وسمط اللآلي ص ٤٠، والشعر والشعراء ١/ ٣٧٩، ولسان العرب (سمع)، والأضداد للسجستاني ص ١٣٣، وبلا نسبة في لسان العرب (أنق)، وتفسير الطبري ١/ ٩٥، وتفسير البحر المحيط ١/ ٣٦٤، وصدره في الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠١، ومجاز القرآن ١/ ٢٨٢.

باب تأويل الحروف
التي ادّعى على القرآن بها الاستِحالة وفساد النظم

من ذلك (الحروف المُقَطَّعة) .

قد اختلف المفسرون في الحروف المُقَطْعة:

فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور، تُعْرَف كل سورة بما افتتحت به منها.

وكان بعضهم يجعلها أقساماً.

وكان (بعضهم) يجعلها حروفاً مأخوذة من صفات الله تعالى، يجتمع بها في المُفْتَتَح الواحد صفاتٌ كثيرة، كقول ابن عباس: في ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]: إنّ (الكاف) من كافٍ، و (الهاء) من هادٍ، و(الياء) من حكيم، و (العين) من عليم، و (الصاد) من صادق.

وقال الكلْبيّ[1] هو: كتابٌ كافٍ، هادٍ، حكيمٌ، عالمٌ، صادقٌ.

ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن، ونرجو ألا يكون ما أُريد بالحروف خارجاً منها، إن شاء الله.

فإن كانت أسماء للسور، فهي أعلام تدل على ما تدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء وتفرق بينها. فإذا قال القائل: قرأت ﴿المص﴾ أو قرأت ﴿ص﴾ أو ﴿ن﴾ - دَلَّ بذاك على ما قرأ، كما تقول: لقيت محمداً وكلمت عبد الله، فهي تدل بالاسمين على

(١) هناك اثنان يلقبان بالكلبي (أو ابن الكلبي) وهما: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث، أبو النصر الكوفي النسابة المعروف بابن الكلبي، منسوب إلى كلب بن وبرة، وهي قبيلة كبيرة من قضاعة، المتوفى بالكوفة سنة ١٤٦، له «تفسير القرآن»، (كشف الظنون ٦/ ٧).
وابنه أبو المنذر هشام بن أبي النصر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو النسابة الكوفي، المعروف بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ، له العشرات من المصنفات، منها: «آباء النبي ﷺ»، «أسواق العرب»، «الديباج في أخبار الشعراء»، «لغات العرب»، «النسب الكبير» يحتوي كتاب الأنساب، «كتاب التاريخ»، «كتاب المنافرات» وغيرها الكثير (كشف الظنون ٦/ ٥٠٨ـ ٥٠٩).

العيْنين، وإن كان قد يقع بعضها مثل «حم» و «الم» لعدة سُوَر ـ فإنّ الفصل قد يقع بأن تقول: حم السّجْدة، والم البقرة، كما يقع الوفاق في الأسماء، فتدل بالإضافات وأسماء الآباء والكنى.

وإن كانت أقساماً، فيجوز أن يكون الله، عز وجل، أقسم بالحروف المقطّعة كلّها، واقتصر على ذكر بعضها مِنْ ذِكْرِ جَميعها، فقال: «الم» وهو يريد جميع الحروف المقطعة، كما يقول القائل: تعلمت «ا ب ت ث» وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنه لما طال أن يذكرها كلّها، اجتزأ بذكر بعضها. ولو قال: تعلمت «حاء طاء صاد» لَدَلّ أيضاً على حروف المعجم، كما دلّ بالقول الأول، إلا أن الناس يدلون بأوائل الأشياء عليها فيقولون: قرأت «الحمد لله» يريدون فاتحة الكتاب فيسمونها بأول حرف منها. هذا الأكثر، وربما دَلُّو بغير الأول أيضاً، أنشدَ الفرّاء[(١)]:

لـمـا رَأَيْـتُ أَنّـهـا فـي حُـطّـي ... أَخَـذْتُ مِـنْـهـا بِـقُـرُونٍ شُـمْـطِ

يريد (في أبي جادٍ) فَدَلّ بِحُطّي كما دَلّ غيره بأبي جادٍ.

وإنما أقسم الله بحروف المعجم، لشرفها وفضلها، ولأنها مباني كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة، ومباني أسمائه الْحُسْنَى وصفاته العُلى، وأصولُ كلام الأمم، بها يتعارفون، ويذكرون الله ويوحّدون.

وقد أقسم الله في كتابه بالفَجْر، والطُّور، وبالعَصْر، وبالتّين، والزَيْتُونِ ـ وهما جبلان ينبتان التين والزيتون، يقال لأحدهما: طُورُ زِيْتا وللآخر: طور تِيْنا، بالسّريانية، من الأرض المقدسة؛ فسماها بما يُنْبِتان ـ وأقسم بالقلم؛ إعظاماً لما يسطرون.

ووقع القسم بها في أكثر السور على القرآن فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢]؛ كأنه قال: وحروف المعجم، لهو الكتاب لا ريب فيه.

و ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١، ٢]، أي وحروف المعجم لهو الله لا إله إلا هو ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٢، ٣].

و ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١، ٢]، أي وحروف المعجم، لهو

(١) الرجز لأبي القمقام الأسدي في معاني القرآن للفراء ١/ ٣٦٩، وتهذيب الألفاظ ص ٤٤٧، وبلا نسبة في لسان العرب (فنك)، وتهذيب اللغة ١٠/ ٢٨١، وأساس البلاغة (فنك)، وتاج العروس (فنك)، وأمالي القالي ٢/ ٢٠٠، ومجمع البيان ١/ ٣٣، وتفسير الطبري ١/ ٦٨.

كتاب أنزل إليك ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]، و ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس: ١، ٢].

و ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: ١]، و ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١]، كله أقسام.

وإن كان حروفاً مأخوذة من صفات الله؛ فهذا فَنٌّ من اختصار العرب؛ وقلّما تفعل العربُ شيئاً في الكلام المتصل الكثير إلا فعلت مثله في الحرف الواحد المنقطع.

فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب ما بينهما؛ أوْ لأنَّ إحداهما سبب للأخرى؛ فيقولون للمطر: سماء؛ لأنه من السماء ينزل ويقولون للنبات: نَدىً؛ لأنه بالندى يَنبت؛ ويقولون: ما بِهِ طِرْقٌ؛ أي ما به قوّة؛ وأصل الطِّرق: الشحم؛ فيستعيرونه مكان القوّة؛ لأنّ القوّة تكون عنه.

كذلك يستعيرون الحرف في الكلمة مكان الحرف فيقولون: «مَدَهْتُه» بمعنى: (مدحته)، لأن (الحاء) و (الهاء) يخرجان جميعاً من مخرج واحد.

ويقولون للقبر: جَدَثٌ وجَدَفٌ، ويقولون: ثُومٌ وفُومٌ ومغَاثِير ومغَافِير لقرب مخرج (الفاء) من (الثاء).

ويقولون: هَرَقْتُ الماء وأرقته، ولصِق ولسِق، وسَحَقْتُ الزعفران وسَهَكْتُهُ؛ وغُمار الناس وخُمارهم.

في أشباهٍ لهذا كثيرة يبدلون فيها الحرفَ من الحرف؛ لتقارب ما بينهما.

وكما يقلبون الكلام ويُقدِّمون ما سبيله أن يؤخَّر، ويؤخرون ما سبيله أن يُقدَّم؛ فيقولون[1]:

كان الزناءُ فريضةَ الرجم

أي كان الرجم فريضة الزِّنى.

---

(١) يروى البيت بتمامه:

كانت فريضة ما تقول كما ... أنّ الزناءَ فريضةُ الرجم

والبيت من الكامل، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ص ٣٥، ولسان العرب (زنى)، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢١٦، والإنصاف ١/ ٣٧٣، والأضداد للسجستاني ص ١٥٢، وتفسير البحر المحيط ٦/ ٣٣، ومجمع البيان ١/ ١٥٥.

ويقولون[١]:

كَـــأَنَّ لَــــوْنَ أَرْضِــــهِ سَــــمَــــاؤُهُ

يريدون: كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه.

ويقولون: اعرض الناقة على الحوض؛ يريدون اعرض الحوض على الناقة.

وكذلك يقدمون الحرف في الكلمة وسبيله التأخير؛ ويؤخرون الحرف وسبيله التقديم، فيقولون: جَذَبَ وجَبَذَ، وبئر عميقة ومَعِيقة، وأَحْجَمْتُ عن الأمر وأَجْحَمْتُ، ونَتَلْتُ الشيء، أي قطعته وبلَتُّه، وما أطيبَهُ وما أَيْطَبَهُ. ورجل أَغْرَل وأرغل؛ واعتقاه الأمر واعتقاء، واعتام واعتَمى، في أشباه لهذا كثيرة.

وكما يزيدون في الكلام الكلمة والمعنى طرحُها، كقول الشاعر[٢]:

فَــمَــا أَلُــومُ الــبِــيــضَ أَلاّ تَــسْــخَــرَا

يريد: أن تسخر.

ويزيدون إذْ؛ واللام، والكاف، والباء، وأشباه لهذا مما ذكرناه في باب المجاز - **كذلك يزيدون في الكلمة الحرف**، كما قال المُفَضَّلُ العَبْدِي[٣]:

وبــعــضُــهــمُ عــلــى بَــعْــضٍ حــنــيــقُ

أي حَنِق.

(١) قبله: وبـــلـــدٍ مـــغـــبـــرّةٍ أرجـــاؤه
والرجز لرؤبة في ديوانه ص ٣، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٩٦، وخزانة الأدب ٦/ ٤٥٨، وشرح التصريح ٢/ ٣٣٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٧١، ولسان العرب (عمى)، ومعاهد التنصيص ١/ ١٧٨، ومغني اللبيب ٢/ ٦٩٥، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٥٧، وتاج العروس (كبد)، (عمى)، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢١٦، والإنصاف ١/ ٣٧٧، وأوضح المسالك ٤/ ٣٤٢، وجواهر الأدب ص ١٦٤، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٣٦، ٦٣٧، وشرح شذور الذهب ص ٤١٤، وشرح المفصل ٢/ ١١٨، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠٢.

(٢) يليه: لـــمـــا رأيـــن الـــشـــمـــط الـــقـــفـــنـــدرا
والرجز لأبي النجم في تاج العروس (قفدر)، والخصائص ٢/ ٢٨٣، وبلا نسبة في لسان العرب (قفندر)، وجمهرة اللغة ص ١١٤٧، ١١٨٥، والمخصص ٢/ ١٧٥، والأزهية ص ١٥٤، والجنى الداني ص ٣٠٣، والمحتسب ١/ ١٨١؛ والمقتضب ١/ ٤٧.

(٣) صدر البيت: تـــلاقـــيـــنـــا بـــغـــيـــنـــة ذي طُـــريـــف
والبيت من الوافر، وهو للمفضل النكري في لسان العرب (حنق)، والأصمعيات ص ٢٠٠، وبلا نسبة في لسان العرب (حنق)، (سخن)، وجمهرة اللغة ص ٥٦١، ١٠٨١، والمخصص ١٣/ ١٢٦.

وقال الآخر(١):

أقــولُ إذ خَــرَّتْ عَــلَــى الــكَــلْــكــالِ

أراد: الكَلْكَل.

وأنشد الفرّاء(٢):

إنَّ شَـكْـلِـي وَإِنَّ شَـكْـلَـكِ شَـتَّـى فَالْزَمِي الخُصَّ وَاخْفِضِي تَبْيَضِضّي

فزاد ضاداً، في أشباهٍ لهذا كثيرة.

وكما يحذفون من الكلام البعض إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقَوا فيقولون: والله أفعلُ ذاكَ، يريدون: لا أفعل. ويقولون: أتانا فلانٌ عند مغيب الشمس، أو حين. أي حين كادت تغيب.

وقال ذو الرُّمة يذكر حميراً(٣):

فلَمَّا لَبِسْنَ الليلَ أو حِينَ نَصَّبَتْ لـه مـن خـذَا آذانِـهـا وهـو جـانِـحُ

أراد: وحين أقبل الليل.

وقـال الله تـعـالـى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١]، أراد لكان هذا القرآن، فحذف.

وكذلك يحذفون من الكلمة الحرف والشّطر والأكثرَ، ويبقون البعض والشطر والحرف، يُوحُون به ويُومِئون. يقولون: «لم يكُ»، فيحذفون النون مع حذفهم الواو لاجتماع الساكنين. ويقولون: «لم أُبلِ» يريدون: لم أُبَالِ. ويقولون: ولاكِ افعل كذا، يريدون: ولكن، قال الشاعر(٤):

---

(١) يليه: يـا نـاقـتـا مـا جُـلْـتِ مـن مـجـالِ
والرجز بلا نسبة في الإنصاف ص ٢٥، والجنى الداني ص ١٧٨، ورصف المباني ص ١٢، وشرح الأشموني ٢/ ٤٨٥، ولسان العرب (كلل)، والمحتسب ١/ ١٦٦، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٦٥، وجمهرة اللغة ص ٢٢٢، وتاج العروس (كلل)، (باب الألف اللينة) وتفسير الطبري ١/ ٧٠، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٩٣، والموشح ص ٩٤، وتفسير البحر المحيط ٣/ ١٥٠.

(٢) البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في لسان العرب (جدب)، (بيض)، (خفض)، (حوا)، وديوان الأدب ٢/ ١٦٦، وتاج العروس (بيض)، وتفسير الطبري ١/ ٧٠، وأمالي ابن الشجري ١٧/ ١٩٠.

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ٨٩٧، وأدب الكاتب ص ٢١٤، والخصائص ٢/ ٣٦٥، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٥٨٢.

(٤) صدر البيت: فـلـسـتُ بـآتـيـه ولا أسـتـطـيـعـه

وَلاكِ اسْقِنِي إنْ كان مَاؤُكَ ذا فَضْلِ

ويحذفون في الترخيم، فيقولون: يا صَاحِ، يريدون: يا صاحب، ويا جارِ، يريدون: يا حارث.

وقرأ بعض المتقدمين: ﴿وَنَادَوْا يا مال لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، أي يا مالك.

وقال الله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٥]، أي ألا يا هؤلاء اسجدوا لله.

ويقولون: عِمْ صَباحاً، أي أنْعِمْ.

وقال الفَرّاء في قولهم: سَتَرى: إنما أرادوا: سوف ترى، فحذفوا الواو والفاء. وكذلك أمثالها.

كقولك: سيكون كذا، وسيفعل كذا، تأويلُها عنده: سوف يكون، وسوف يفعل. وفي قوله: بينا، إنما هو بينما.

وقال في الآن: إنما هو أصله الأوانُ، كما قالوا: الراحُ والرِّياح للخمر، قال لَبيد[1]:

دَرَسَ المَنا بِمُتالِعٍ فَأَبانِ

أراد: المنازل، فقطع.

= والبيت من الطويل، وهو للنجاشي الحارثي في ديوانه ص ١١١، والأزهية ص ٢٩٦، وخزانة الأدب ١٠/٤١٨، ٤١٩، وشرح أبيات سيبويه ١/١٩٥، وشرح التصريح ١/١٩٦، وشرح شواهد المغني ٢/٧٠١، والكتاب ١/٢٧، والمنصف ٢/٢٢٩، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/١٣٣، ٣٦١، والإنصاف ٢/٦٨٤، وأوضح المسالك ١/٦٧١، وتخليص الشواهد ص ٢٦٩، والجنى الداني ص ٥٩٢، وخزانة الأدب ٥/٢٦٥، ورصف المباني ص ٢٧٧، ٣٦٠، وسر صناعة الإعراب ٢/٤٤٠، وشرح الأشموني ١/١٣٦، وشرح المفصل ٩/١٤٢، واللامات ص ١٥٩، ولسان العرب (لكن)، ومغني اللبيب ١/٢٩١، وهمع الهوامع ٢/١٥٦، وتاج العروس (لكن).

(١) عجز البيت:

فتقادمت بالحبس فالسوبانِ

والبيت من الكامل، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ١٣٨، والدرر ٦/٢٠٨، وسمط اللآلي ص ١٣، وشرح التصريح ٢/١٨٠، وشرح شواهد الشافية ص ٣٩٧، ولسان العرب (تلع)، (أبن)، والمقاصد النحوية ٤/٢٤٦، وتاج العروس (تلع)، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/٤٤، وشرح الأشموني ٢/٤٦٠، وهمع الهوامع ٢/١٥٦، وكتاب العين ١/١٧٣.

وقال الطِّرِمَّاح يذكر بقراً[1]:

تَتَّقِي الشَّمْسَ بِمَدْرِيَّةٍ ... كَالحَمَالِيجِ بِأَيْدِي التَّلامْ

المَدْرِيَة: القرون هٰهنا.

والحماليج: مَنَافِيخُ الصَّاغة شبّه قرونها بها إذا نُفخ فيها.

والتَّلامُ: أراد التّلاميذ، يعني غلمان الصاغة فقطع.

وقال أبو دؤاد[2]:

فكأنّما تُذْكِي سَنَابِكُها الحُبَا

أراد الحُباحِب.

وقال الآخر[3]:

أناسٌ يَنَالُ الماءَ قَبْلَ شِفاهِهِمْ ... لهمْ وَارِداتُ الغُرْضِ شُمُّ الأَرَانِبِ

أراد: الغرضُوف.

وقال الآخر[4]:

---

(١) البيت من المديد، وهو للطرماح في ديوانه ص ٣٩٩، وتهذيب اللغة ١٤/ ٢٩٥، ولسان العرب (تلم)، والمعاني الكبير ص ٧٦٤، ٧٩١، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٣٥٣، وجمهرة اللغة ص ٤١٠، وتاج العروس (تلم).

(٢) صدر البيت:

يُذْرِينَ جَنْدَلَ حائرٍ لجنوبها

والبيت من الكامل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (حبحب)، وتاج العروس (حبب)، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٩٤.

(٣) يروى صدر البيت بلفظ:

كرام يُنال الماءُ قبل شفاههم

والبيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (غرض)، وأساس البلاغة (ورد)، وتهذيب اللغة ٨/ ٧، وتاج العروس (غرض).

ويروى البيت بلفظ:

كرام ينال الماء قبل شفاههم ... لهم عارضات الورد شم المناخر

والبيت بلا نسبة في لسان العرب (عرض)، والمخصص ٧/ ٩٨.

(٤) الرجز لأبي النجم في جمهرة اللغة ص ٤٠٧، ولسان العرب (عصب:)، (الجج)، (خلل)، (فلن)، والطرائف الأدبية ص ٦٦، والمنصف ٢/ ٢٥، والممتع في التصريف ٢/ ٦٤٠، وخزانة الأدب ٢/ ٣٨٩، والدرر ٣/ ٣٧، وسمط اللآلي ص ٢٥٧، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٣٩، وشرح التصريح =

فـي لَـجَّـةٍ أَمْسِـكْ فـلانـاً عَـنْ فُـلِ

أراد: عن فلان.

وقال الآخر[(١)]:

قَـواطِـنـاً مـكّـةَ مِـنْ وُرْقِ الـحَـمـي

أراد: الحَمَام.

وأنشد الفراء[(٢)]:

قـلـت لـهـا: قِـفِـي، فـقـالـت لـي: قَـافْ

أراد فقالت: قد وقَفْتُ، فأومأت بالقاف إلى معنى الوقوف.

ولم نزل نسمع على ألسنة الناس: الألف: آلاء. الله، والباءُ: بهاء الله، والجيم: جمال الله، والميم: مجد الله. فكأنّا إذا قلنا: (حم) دللنا بالحاء على حليم، ودللنا بالميم على مجيد.

وهذا تمثيل أردت أن أريَكَ به مكان الإمكان.

= ٢/ ١٨٠، وشرح المفصل ٥/ ١١٩، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٥٠، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٢٨، والكتاب ٢/ ٢٤٨، ٣/ ٤٥٢، والمقاصد النحوية ٤/ ٢٢٨، وتهذيب اللغة ٢/ ٤٨، وتاج العروس (عصب)، (فلن)، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٤٧، ٥/ ٢٠٢، ومجمل اللغة ٤/ ٦١، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٤/ ٤٣، وشرح الأشموني ٢/ ٤٦٠، وشرح ابن عقيل ص ٥٢٧، وشرح المفصل ١/ ٤٨، والمقتضب ٤/ ٢٣٨، والمقرب ١/ ١٨٢، وهمع الهوامع ١/ ١٧٧.

(١) قبله:

وربِّ هـذا الـبـلـد الـمـحـرّم والـقـاطـنـات الـبـيـت غـيـر الـرُّيَّـم

والرجز للعجاج في ديوانه ١/ ٤٥٣، ولسان العرب (حمم)، (قطن)، (منى)، وشرح ابن عقيل ص ٤٢٥، والكتاب ١/ ٢٦، ١١٠، وما ينصرف وما لا ينصرف ص ٥١، والمحتسب ١/ ٧٨، والمقاصد النحوية ٣/ ٥٥٤، ٤/ ٢٨٥، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٨١، وتاج العروس (ألف)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/ ٢٩٤، والإنصاف ٢/ ٥١٩، والخصائص ٣/ ١٣٥، والدرر ٦/ ٢٤٤، ورصف المباني ص ١٧٨، وسر صناعة الإعراب ١/ ٧٢١، وشرح التصريح ٢/ ١٨٩، وشرح الأشموني ٢/ ٣٤٣، ٤٧٦، وشرح المفصل ٦/ ٧٥، وهمع الهوامع ١/ ١٨١، ٢/ ١٥٧، وتهذيب اللغة ٤/ ١٦، ومقاييس اللغة ١/ ١٣١، والمخصص ١٧/ ١٠٧، وكتاب العين ٨/ ٣٣٦.

(٢) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (وقف)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٧٩، وتاج العروس (سين)، والأغاني ٥/ ١٨١، وشرح شواهد الشافية ص ٢٧١، والصاحبي في فقه اللغة ص ٩٤، ومجمع البيان ١/ ٣٤، وتفسير البحر المحيط ١/ ٣٥، والعمدة ١/ ٢٨٠.

وعلى هذا سائر الحروف.

ومن ذهب إلى هذا المذهب فلا أُراه أراد أيضاً إلا القسم بصفات الله، فجمع بالحروف المقطعة معاني كثيرة من صفاته، لا إله إلا هو.

ورُوي أن بعض السلف وأحسبه علياً رحمة الله عليه، قال: الرَّحِمُ هو من الرَّحْمن.

وقد كان (قوم من المفسرين) يفسرون بعض هذه الحروف فيقولون: (طه) يا رجل، و (يس) يا إنسان، و(نون) الدَّواة.

وقال (آخر): (الحوت) و (حم): قُضِي والله ما هو كائن، و(قاف): جبل محيط بالأرض.

و(صَادِ) ـ بكسر الدال ـ من المُصَادَاةِ وهي المعارضة.

وهذا ما لا نَعرِض فيه؛ لأنا لا ندري كيف هو ولا من أي شيء أُخِذَ خلا (صادِ) وما ذُهِبَ إليه فيها.

في سورة سبأ

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ: ٢٠، ٢١].

تأويله: أن إبليس لما سأل الله تبارك وتعالى النَّظِرَةَ فَأَنْظَره قال: لأُغْوِيَنَّهُمْ وَلأُضِلَّنَّهُمْ ولأُمَنِّيَنَّهُمْ ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله وَلأَتَّخِذَنَّ مِنْهُمْ نَصِيباً مَفْرُوضاً وليس هو في وقت هذه المقالة مستيقناً أنّ ما قدّره الله فيهم يتمّ، وإنما قاله ظاناً، فلما اتبعوه وأطاعوه، صدق ما ظنّه عليهم أي فيهم، ثم قال الله: وما كان تسليطنا إيّاه إلا لنعلم من يؤمن، أي المؤمنين من الشاكين.

وعِلْم الله تعالى نوعان:

أحدهما علم ما يكون من إيمان المؤمنين، وكفر الكافرين، وذنوب العاصين، وطاعات المطيعين قبل أن تكون.

وهذا علم لا تجب به حجة ولا تقع عليه مَثُوبةٌ ولا عقوبة.

والآخر: علم هذه الأمور ظاهرة موجودة فَيَحِق القَوْلُ ويقع بوقوعها الجزاء.

فأراد جل وعز: ما سلطناه عليهم إلا لنعلم إيمان المؤمنين ظاهراً موجوداً، وكفر الكافرين ظاهراً موجوداً.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: ١٤٢]، أي يعلم جهاده وصَبْرَه موجوداً يجب له به الثواب.

وقوله سبحانه: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦].

تأويله أنّ المشركين قالوا: إن محمداً مجنون وساحر، وأشباه هذا من خَرْصِهِم[1]، فقال الله جل وعز لنبيه ﷺ: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة، وهي أن تنصحوا لأنفسكم، ولا يميل بكم هوىً عن حق، فتقوموا لله وفي ذاته، مقاماً يخلو فيه الرجل منكم بصاحبه فيقول له: هلُمَّ فَلْنَتصادَق، هل رأينا بهذا الرجل جنّة قط أو جربنا عليه كذباً؟ فهذا موضع قيامهم مثنى.

ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيُفكِّر وينظر ويعتبر. فهذا موضع قيامهم فُرادى. فإنَّ في ذلك ما دلهم على أنه نذير.

وكل من تحير في أمر قد اشتبه عليه واستَبْهم، أخرجه من الحيرة فيه: أن يسأل ويناظر، ثم يُفكِّر ويعتبر.

في سورة الفرقان

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: ٤٥، ٤٦].

امتداد الظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. كذلك قال المفسرون، ويدلك عليه أيضاً قوله في وصف الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٠] أي لا شمس فيه، كأنه ما بين هذين الوقتين.

﴿وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾ أي: مُستقراً دائماً حتى يكون كظل الجنة الذي لا تَنْسَخُه الشمس.

(١) خرص يخرص، بالضم، خرصاً وتخرص: أي كذب، ورجل خرّاص: كذّاب. ومنه قوله تعالى: ﴿قتل الخراصون﴾ أي الكذابون الذين قالوا: محمد شاعر.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾ يقول: لما طلعت الشمس دلت عليه وعلى معناه. وكلّ الأشياء تعرف بأضدادها، فلولا الشمس ما عُرِفَ الظل، ولولا النور ما عرفت الظلمة، ولولا الحق ما عرف الباطل. وهكذا سائرالألوان والطُعُوم، قال الله عز وجل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩] يريد به ضدين: ذكراً وأنثى، وأسود وأبيض، وحلواً وحامضاً، وأشباه ذلك.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾ يعني الظّل الممدود بعد غروب الشمس، وذلك أنّ الشمس إذا غربت عاد الظل الممدود، وذلك وقت قبْضه.

وقوله: ﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾ أي: خفياً؛ لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كلُّه دفعةً واحدةً، ولا يُقبل الظلام كلّه جُملة، وإنما يَقْبِضُ الله جلّ وعز ذلك الظل قبضاً خفيّاً شيئاً بعد شيء، ويُعقب كلّ جزء منه يَقْبِضُه بجزء من سواد الليل حتى يذهب كلُّه.

فدَلّ الله عز وجل بهذا الوصف على قدرته ولطفه في مُعَاقَبَتِهِ بين الشمس والظل والليل؛ لمصالح عباده وبلاده.

وبعضهم يجعل قبض الظل عند نسخ الشمس إياه، ويجعل قوله ﴿قَبْضاً يَسِيراً﴾ أي: سهلاً خفيفاً عليه.

وهو وجه، غير أن التفسير الأول أجمع للمعاني وأشبه بما أراد.

في سورة يسٓ

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يسٓ: ٣٨].

قوله: ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي: إلى مستقر لها، كما تقول: هو يجري لغايته وإلى غايته.

ومُسْتَقَرُّها: أقصى منازلها في الغروب، وذلك لأنها لا تزال تتقدم في كل ليلة حتى تنتهي إلى أبعد مَغَاربها ثم ترجع، فذلك مستقرها لأنها لا تُجاوزه.

وقرأ بعض السلف: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾ والمعنى أنها لا تقف، ولا تستقر، ولكنها جارية أبداً.

وقوله: ﴿وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ يريد: أنه ينزل كل ليلة منزلاً، ومنازله ثمانية

وعشرون منزلاً عندهم، من أول الشهر إلى ثمان وعشرين ليلة منه ثم يَسْتَتِرُ.

وهذه المنازل هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء.

وأسْمَاؤها عندهم الشَّرَطَان والبَطِين، والثُّرَيَّا، والدَّبَرَانِ، والهَقْعةُ، والهَنْعَةُ، والذِّرَاعِ، والنَّثْرَة، والطَّرْف، والجَبْهة، والزُّبْرَةُ، والصَّرْفَة، والعَوَّاء، والسِّمَاكُ، والغَفْرَ، والزُّبَانَى، والإكْلِيل، والقَلْبُ، والشَّوْلة، والنَّعَائِم، والبَلْدَة، وسَعْدُ الذَّابِح، وسَعْدُ بُلَع، وسَعْدُ السُّعُودِ، وسَعْدُ الأَخْبِيَة، وفرغ الدّلو المقدّم، وفَرْغُ الدّلْو المُؤَخّر، والرِّشا وهو الحوت.

وإذا صار القمر في آخر منازله دَقَّ حتى يعود كالعُرْجُون القديم وهو العِذْقُ اليابس. والعرجون إذا يبس دَقَّ وامْتَقْوَس حتى صار كالقوس انحناء؛ فُشبّه القمر به ليلة ثمانية وعشرين.

ثم قال سبحانه: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ﴾ يريد: أنهما يسيران الدّهرَ دَائِبَين ولا يجتمعان، فَسُلْطان القمر بالليل، وسلطان الشمس بالنهار، ولو أدركت الشمسُ القمرَ لذهب ضوءه، وبطل سلطانه، ودخل النهار على الليل

يقول الله جل وعز حين ذكر يوم القيامة: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩] وذلك عند إبطال هذا التدبير، ونقض هذا التأليف.

﴿وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يقول: هما يتعاقبان، ولا يَسْبِق أحدُهما الآخر: فيفُوته ويذهب قبل مجيء صاحبه.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: يَجرُون، يعني الشمس والقمر والنجوم.

في سورة المرسلات

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣﴾ [المرسلات: ٢٩، ٣٣].

هذا يقال في يوم القيامة للمكذبين، وذلك أن الشمس تدنو من رؤوس الخلائق، وليس عليهم يومئذ لباس، ولا لهم كِنَانٌ، فتلْفَحُهم الشمس وَتَسْفَعُهُمْ وتأخذ بأنفاسهم، ومَدّ ذلك اليوم عليهم وكربه، ثم ينجّي الله برحمته من يشاء إلى ظل من ظِلّه، فهناك يقولون: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ [الطور: ٢٧] ويقال للمكذبين

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المرسلات: ٢٩] من عذاب الله سبحانه وعقابه، انطلقوا من ذلك إلى ظل من دخان نار جهنم قد سطع ثم افترق ثلاث فِرَق، وكذلك شأن الدخان العظيم إذا ارتفع أن يتشعب. فيكونون فيه إلى أن يفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه أو حيث شاء من الظل إلى أن يفرغ من الحساب، ثم يؤمَر بكل فريق إلى مُسْتَقَرِّهِ من الجنة أو النار.

ثم وصف الظل فقال: ﴿لا ظَلِيلٍ﴾ أي: لا يُظِلُّكُمْ من حَرّ هذا اليوم بل يدنيكم من لهب النار إلى ما هو أشد عليكم من حر الشمس، ولا يغني عنكم من اللهب.

وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤٣، ٤٤] واليَحْمُوم: الدّخان وهو سُرَادِقُ أهل النار فيما ذكر المفسرون.

ثم وصف النار فقال: ﴿إنّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالقَصْرِ﴾ فمن قرأه بتسكين الصاد، أراد القَصْر من قُصُور مياه الأعراب.

ومن قرأه القَصَر شَبّهه بأعناق النخل، ويقال: بأصوله إذا قُطع.

ووقع تشبيه الشَّرر بالقصر في مقاديره، ثم شَبَّهَهُ في لونه بالجمالات الصُّفْر وهي السود، والعرب تسمى السُّود من الإبل صُفراً؛ قال الشاعر(١):

تِلْكَ خَيْلِي مِنها وَتِلْكَ رِكابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كالزَّبِيبِ

أي: هنّ سود.

وإنما سُمِّيَت السُّود من الإبل: صُفراً؛ لأنه يَشُوبُ سودَها شيء من صفرة، كما قيل لبيض الظباء: أُدْم؛ لأن بياضها تعلوه كُدْرَة.

والشَّرَرُ إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار، أشْبَه شيء بالإبل السّود؛ لما يَشوبُها من الصفرة.

في سورة الأنعام

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

---

(١) البيت من الخفيف، وهو للأعشى في ديوانه ص ٣٨٥، ولسان العرب (خشب)، (صفر)، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٧٠، وجمهرة اللغة ص ٧٤٠، وتاج العروس (خشب)، والخزانة ٢/ ٤٦٤، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٢٩٤، ومجمل اللغة ٣/ ٢٣١، والمخصص ٢/ ١٠٥.

يريد: أنهم كانوا لا يَنْسِبُونَك إلى الكذب ولا يعرفونك به، فلما جِئْتَهُمْ بآيات الله، جَحَدُوها، وهم يعلمون أنك صادق.

والجَحْدُ يكون ممن علم الشي فأنكره، بقول الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

في سورة النساء

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: ٨، ٩].

فيه قولان:

أحدهما أن تكون القسمة: الوصية. يقول: إذا حضرها أقرباؤكم الذين لا يرثونكم، والمساكين، واليتامى - فاجعلوا لهم فيها حظاً، وألينوا لهم القول. وليخش من حضر الوصية، وهو لو كان له ولد صِغار خاف عليهم بعده الضَيْعَة - أن يأمر الموصي بالإسراف فيما يعطيه اليتامى والمساكين وأقاربه الذين لا يرثون فيكون قد أمرَه بما لم يكن يفعله لو كان هو الميت. وهو معنى قول سعيد بن جُبَيْر و قَتَادَة.

قال «قتادة»: إذا حضرتَ وصية ميت فَمُرْه بما كنت آمراً به نفسك، وخَفْ على ورثته ما كنت خائفاً على ضَعَفَةِ أولادك لو تركتهم بعدك.

والقول الآخر: أن تكون القسمة: قسمة الورثة الميراث بعد وفاة الرجل. يقول: فإذا حضرها الأقارب واليتامى والمساكين، فارْضَخُوا[1] لهم وعِدُوهم. ثم استأنف معنى آخر فقال: وليخش من لو ترك ولداً صغاراً خاف عليهم الضَيْعَة، فليُحْسن إلى من كَفَله من اليتامى، وليفعل بهم ما يجب أن يفعل بولده من بعده. وهو معنى قول ابن عباس في رواية أبي صالح عنه.

في سورة البقرة

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

(١) فارضخوا لهم: أي أعطوهم عطية قليلة. والرضخ: العطية القليلة.

هذا مثل ضربه الله، تبارك وتعالى، للمنافقين والمُرائين بأعمالهم لا يريدونه بشيء منها.

يقول: يَرِدُون يوم القيامة على أعمال قد مَحَقَهَا الله وأبطلها، وَوَكَلَهم في ثوابها إلى من عَمِلوا له، أحوجَ ما كانوا إلى أعمالهم، فمثلهم كمثل رجل كانت له جنّة فيها من كل الثمرات، وأصابه الكِبَرُ فضعُفَ عن الكسب، وله أطفال لا يُجدُون عليه ولا ينفعونه، فأصابها إعْصَارٌ فيه نار فاحترقت، ففقَدَها أحْوَجَ ما كان إليها، عند كبر السن، وضعف الحِيلة، وكثرة العيال، وطُفُولَة الوَلد. وهو معنى قول ابن عباس وغيره.

وقد ضرب الله لهم قبل هذا مثلاً فيه هذا المعنى بعينه، فقال: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤].

يريد سبحانه: أنه مَحَقَ كَسْبَهُم، فلم يقدروا عليه حين حاجتهم إليه، كما أذهب المطر التراب عن الصَّفا، ولم يوافق في الصَّفا مَنْبِتاً.

ثم ضرب مثلاً للمخلصين، فقال: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي: تحقيقاً من أنفسهم؛ فقال: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ وأحسن ما تكون الجنان والرِّياض: على الرُّبا؛ ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وهو: أشدّ المطر، فأَضْعَفَتْ في الحمل، ثم قال: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي: أصابها طَلّ، وهو: أضعف المطر. فتلك حالها في النُّزْل وتضاعف الثمر، لا ينقص بالطَّل عن مقدارها بالوابل.

في سورة الرعد

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: ١٧].

هذا مثل ضرَبه الله للحق والباطل. يقول: الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه، فإن الله سيَمْحَقه ويُبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، ومثلُ ذلك مَطَرٍ جَوْدٍ، أسال الأودية بِقَدَرِها: الكبير على قدره، والصغير على قدره.

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً﴾ أي: عالياً على الماء كما يعلو الباطل تارةً على الحق، ومن جواهر الأرض التي تُدْخَلُ الكِيْرَ وَيُوقَدُ عليها. يعني الذهب والفضة

للحلية، والشَّبَه والحديد للآلة، حيث يعلوها مِثل زبد الماء.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً﴾ أي: يلقيه الماءُ عنه فيتعلّق بأصول الشّجر وَبِجَنَبَاتِ الوادي، وكذلك خَبث الفِلِزّ يَقْذِفُه الكِير. فهذا مثل الباطل.

﴿وَأَمَّا مَا﴾ الماء الذي ﴿يَنفَعُ النَّاسَ﴾ ويُنبِتُ المرعى ﴿فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ وكذلك الصَّفْوُ من الفِلِزّ يبقى خالصاً لا شَوْبَ فيه. فهو مَثلُ الحق.

في سورة النور

قول الله عز وجل: ﴿۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٣٥، ٤٠].

هذا مثل ضربه الله لقلب المؤمن، وما أودعه بالإيمان والقرآن من نوره فيه. فبدأ فقال: ﴿الله نُورُ السّمواتِ والأَرْضِ﴾، أي بنوره يهتدي مَنْ في السموات والأرض.

ثم قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾، يعني في قلب المؤمن. كذلك قال المُفَسرون. وكان أُبَيٌّ يقرأ: ﴿الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِ المُؤْمِنِ﴾، رَوَى ذلك عُبَيْدُ الله بن موسى، عن أبي جعفر الرّازي، عن الربيع بن أَنَس، عن أبي العَالية.

﴿كَمِشْكَاةٍ﴾، وهي: الكُوَّة غير النافذة.

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، أي سراج ﴿المِصْبَاحُ﴾ في قنديل، القنديل كأنه من شدة بياضه وَتَلألُئِهِ، كوكب دُرّي، يَتَوَقَّدُ ذلك المصباح بزيت من شجرة ﴿لا شَرْقِيَّةٍ﴾، أي لا بارزة للشمس كلّ النهار ﴿وَلا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا مُسْتَتِرة في الظلّ كلّ النهار. ولكنها شرقية غربية تُصيبُها الشمس في بعض النهار، والظلُّ في بعض النهار. وإذا كان كذلك فهو أَنْضَرُ لها، وأجود لحملها، وأكثر لِتُزلِهَا، وأصفى لدُهنها.

﴿يَكَادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ﴾ يُسْرَج به من شدة صفائه. وتم الكلام ثم ابتدأ فقال:

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾؛ يعني نُورَ المصباح على نور الزّجاجة والدُّهن، ﴿يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ ثم قال:

هذا المصباح ﴿في بُيوتٍ﴾، يعني المساجد. وذكر أهلها فقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾، يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمْرَهُ يقيناً فَتَتَقَلَّبُ عما كانت عليه من الشك والكفر، وأن الأبصار يومئذ ترى ما كانت مُغطّاة عنه فتتقلب عمّا كانت عليه. ونحوه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢].

ثم ضرب مثلاً للكافرين، فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظمآنُ مَاءً﴾، أي كالسراب يحسبه العطشان من البُعْد ماءً يرويه ﴿حَتَّى إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾.

كذلك الكافر يحسب ما قدّم من عمله نَافِعَهُ، حتى إذا جاءَهُ، أي مات، لم يجد عمله شيئاً؛ لأنّ الله، عزّ وجلّ، قد أبطله بالكفر وَمَحَقَه، ﴿وَوَجَدَ الله عِنْدَهُ﴾، أي عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾.

ثم ضرب مثلاً آخر، فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجّيٍّ يَغْشَاه مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ﴾، يريد: أنه في حيرة من كُفْرِه كهذه الظلمات.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً﴾ في قلبه، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.

في سورة سبأ

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ: ٥١، ٥٤].

كان الحسن ـ رضي الله عنه ـ يجعل الفزع يوم القيامة إذا بعثوا من القبور. يقول: ولو ترى يا محمد فزعهم حين لا فَوْتَ، أي لا مهربَ ولا ملجأ يفُوتُون به ويلجأون إليه. وهذا نحو قوله: ﴿فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]؛ أي نادَوْا حين لا مهرب.

﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾، يعني القبور.

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾، أي بمحمد، صلى الله عليه.

﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾ والتناوش: التناول، أي كيف لهم بنيل ما يطلبون من الإيمان في هذا الوقت الذي لا يُقَالُ فيه كافرٌ ولا تقبل توبته؟.

وقوله: ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يريد بعْدَ ما بين مكانهم يوم القيامة، وبين المكان الذي تُتقبّل فيه الأعمال.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾، أي بمحمد، ﷺ. يقول: كيف ينفعهم الإيمان به في الآخرة وقد كفروا به في الدنيا؟.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾؛ أي بالظنّ أن التوبة تنفعهم.

﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾؛ أي بعيد من موضع تَقَبُّلِ التوبة.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان. ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾، أي بأشباههم من الأمم الخالية.

وكان غير الحسن يجعل الفزع عند نُزُول بَأس الله من الموت أو غيره؛ ويعتبره بقوله في موضع آخر: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

في سورة النور

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١].

كان المسلمون في صدر الإسلام حين أُمروا بالنصيحة ونُهوا عن الخيانة وأنزل عليهم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]. أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق - أَدَقُّوا النظر وأفرطوا في التوقِّي، وترَكَ بعضهمُ مُؤاكَلَةَ بعض:

فكان الأعمى لا يؤاكل الناس؛ لأنه لا يبصر الطعام فيخاف أن يستأثِر، ولا يؤاكله

الناس يخافون لضرره أن يقصر.

وكان الأعرج يَتَوَقَّى ذلك؛ لأنه يحتاج لِزَمَانَتِهِ إلى أن يتفسّح في مجلسه، ويأخذ أكثر من موضعه، ويخاف الناس أن يسبقوه لضعفه.

وكان المريض يخاف أن يفسد على الناس طعامهم بأمور قد تَعْتَرِي مع المرض: من رائحة تتغير، أو جرح يَبِضّ، أو أنف يَذِنّ، أو بول يَسْلَسَ؛ وأشباه ذلك. فأنزل الله تبارك وتعالى: ليس على هؤلاء جناح في مؤاكلة الناس، وهو معنى قول ابن عباس في رواية أبي صالح.

وأما عائشة رضي الله عنها، فإنها قالت: كان المسلمون يُوعِبُونَ[١] مع رسول الله، ﷺ، في المَغازي[٢]؛ ويدفعون مفاتيحهم إلى الضُّمْنَى، وهم الزَّمْنى، ويقولون لهم: قد أحلَلْنا لكم أن تأكلوا مما في منازلنا. فكانوا يتوقَّوْن أن يأكلوا من منازلهم حتى نزلت هذه الآية.

وإلى هذا يذهب قوم، منهم الزُّهْرِي[٣].

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أراد: ولا عليكم أنفسكم أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزْوَاجِكم.

وقال بعضهم: أراد: أن تأكلوا من بيوت أولادكم، فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الأولاد كَسْبُهم، وأموالهم كأموالهم. يدلك على هذا: أن الناس لا يَتَوَقَّوْن أن يأكلوا من بيوتهم، وأن الله سبحانه عدَّد القرابات وهم أبعد نسباً من الولد، ولم يذكر الولد.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١، ٢]. أراد: ما أغنى عنه ماله وولده، فجعل الولد كَسْباً.

ثم قال: ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ، أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾ يريد إخوتكم ﴿أَوْ بُيُوتِ

(١) يقال: أوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

(٢) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٠٦، بلفظ: وفي حديث عائشة: كان المسلمون يوعبون في النفير مع رسول الله ﷺ. أي يخرجون بأجمعهم في الغزو.

(٣) الزهري: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني، أحد الأئمة الكبار، وعالم الحجاز والأمصار، تابعي، وردت عنه الرواية في حروف القرآن. قرأ على أنس بن مالك، وعرض عليه نافع، توفي سنة ١٢٤هـ صنف «كتاب المغازي». (كشف الظنون ٦/ ٧، غاية النهاية ٢/ ٢٦٢، ٢٦٣).

أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾، يعني العبيد؛ لأن السيد يملك منزل عبده. هذا على تأويل ابن عباس.

وقال غيره: أو ما خزنتموه لغيركم. يريد الزَّمْنَى الذين كانوا يخزنون للغزاة ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً﴾ من منازل هؤلاء إذا دخلتموها، وإن لم يحضروا ولم يعلموا، من غير أن تتزوَّدوا وتحملوا؛ ولا جُناح عليكم أن تأكلوا جميعاً أو فُرَادَى، وإن اختلفتم: فكان فيكم الزَّهيد[1]، والرَّغيب[2]، والصحيح، والعليل. وهذا من رخصتِه للقَرَابَاتِ وذوي الأوَاصِرِ ـ كرخصته في الغرباء والأباعد لمن دخل حائطاً وهو جائع: أن يُصيبَ من ثمره، أو مرَّ في سفر بغنم وهو عطشان: أن يشرب من رِسْلِها[3]؛ وكما أوجَبَ للمسافر على من مَرَّ به الضيافةَ؛ تَوْسِعَةً منه ولطفاً بعباده، ورغبةً بهم عن دناءة الأخلاق، وضيق النظر.

في سورة الأنعام

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٦ ـ ٧٩].

كان العصر الذي بَعَثَ الله، عز وجل، فيه إبراهيم، ﷺ، عصر نُجُوم وكَهَانة، وإنما أَمَر نُمْرودُ بقتل الولدان في السنة التي ولد فيها إبراهيم، ﷺ؛ لأن المنجمين والكهَّان قالوا: إنه يولد في تلك السنة من يدعو إلى غير دينه، ويَرْغَبُ عن سُنَّتِهِ.

وكان القوم يعظِّمون النجومَ، ويقضُون بها على غائب الأمور، ولذلك نظر إبراهيم نظرةً في النجوم فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] وكان القوم يريدون الخروج إلى مَجْمع لهم، فأرادوه على أن يغدُو معهم، وأراد كَيْدَ أصنامهم خِلافَ مخْرَجهم؛ فنظر نظرة في النجوم، يريد علم النجوم، أي في مقياس من مقاييسها، أو سبب من أسبابها، ولم ينظر إلى النجوم أنفسها. يدلك على ذلك قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾﴾ [الصافات: ٨٨]

(١) يقال: رجل زهيد العين: إذا كان يقنعه القليل.
(٢) يقال: رجل رغيب العين: إذا كان لا يقنعه إلا الكثير.
(٣) الرِّسْل: اللبن.

ولم يقل: إلى النجوم. وهذا كما يقال: فلان ينظر في النجوم، إذا كان يعرف حسابها، وفلان ينظر في الفقه والحساب والنحو.

وإنما أراد بالنظر فيها: أن يوهمهم أنه يعلم منها ما يعلمون، ويتعرف في الأمور من حيث يتعرفون؛ وذلك أبلغ في المِحَال، وألطف في المكيدة ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩] أي سَأَسْقَمُ فلا أقدر على الغُدُوِّ معكم. هذا الذي أوهمهم بمعاريض الكلام، ونيّته أنه سَقيم غداً لا محالة؛ لأن من كانت غايته الموت ومصيره إلى الفناء ـ فَسَيَسْقَم. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠] ولم يكن النبي، ﷺ، مَيِّتاً في ذلك الوقت، وإنما أراد: أنك ستموت وسيموتون.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى﴾ الزُّهَرَة ﴿فَقَالَ هَذَا رَبِّي﴾ يريد: أن يستدرجَهم بهذا القول، ويُعَرِّفَهم خطأهم، وجهلَهم في تعظيمهم شأن النجوم، وقضائهم على الأمور بدلالتها. فأراهم أنه مُعَظِّمٌ ما عظَّموا، ومُلتمس الهدى من حيث التمسوا. وكلُّ من تَابَعَك على هواك وشايعك على أمرك، كُنت به أوثق، وإليه أسكَنَ وَأَرْكَنَ. فأَنسوا واطمأنوا.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ أراهم النقص الداخل على النجم بالأُفول؛ لأنه ليس ينبغي لإلهٍ أن يزول ولا أن يغيب، فـ ﴿قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ واعتبر مثل ذلك في الشمس والقمر، حتى تَبين للقوم ما أراد، من غير جهة العِناد والمبادأة بالتَّنقص والعيب.

ثم قال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ﴾ وما فيها من نجم وقمر وشمس ﴿وَالأَرْضَ﴾ وما فيها من بحر وجبل وحجر وصنم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ومثل هذا: الحَواريّ حين ورد على قوم يعبدون (بُدّاً)[1] لهم فأظهر تعظيمه وتَزْفيلَه[2]، وأراهم الاجتهاد في دينهم؛ فأكرموه وفضّلوه وائتمنوه، وصدّرُوا في كثير من الأمور عن رأيه. إلى أن دَهَمَهم عدوٌّ لهم خافه الملكُ على مملكته، فشاور الحَواريّ في أمره؛ فقال: الرأي أن ندعو إلٰهنا ـ يعني البُدّ ـ حتى يكشف ما قد أظلّنا؛ فإنا لمثل هذا اليوم كُنّا نُرشحه. فاسْتَكَفُوا حوله[3] يتضرّعون إليه ويَجْأَرُون، وأمْرُ عدوِّهم يستفحل، وشَوْكتهُ تشتد يوماً بعد يوم. فلما تبين لهم من هذه الجهة أن (بُدّهم) لا ينفع ولا يدفع، ولا يبصر ولا يسمع، قال: هٰهنا إلٰه آخر، أدعوه فيستجيب،

---

(١) البدّ: الصنم الذي يعبد، لا أصل له في اللغة، فارسي معرب، والجمع: البددة، بفتح الباء والدال.

(٢) الترفيل: التسويد والتعظيم، ورفلت الرجل: إذا عظمته وملّكته.

(٣) استكفّوا حوله: يقال: استكف القوم حول الشيء: أي أحاطوا به ينظرون إليه.

وأستجيرُه فيجير، فهلموا فلْنَدْعُهُ. فَدَعَوُا الله جميعاً فصرف عنهم ما كانوا يُحاذِرون، وأسلموا.

ومن الناس من يذهب إلى أن إبراهيم ﷺ، كان في تلك الحال على ضلال وحَيرة.

وكيف يتَوَهَّمُ ذلك على من عصمه الله وطَهَّرَه في مُسْتَقرِّه ومُسْتَوْدَعِه؟ والله سبحانه يقول: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾ [الصافات: ٨٤]. أي: لم يشرك به قطّ، كذلك قال المفسرون، أو من قال منهم.

ويقول في صدر الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: ٧٥] ثم قال على أثر ذلك: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [الأنعام: ٧٦].

فَرُوِيَ: أنه رأى في الملكوت عبداً على فاحشة فدعا الله عليه؛ ثم رأى آخر على فاحشة فدعا الله عليه؛ فقال له الله: (يا إبراهيم اكْفُفْ دعوتك عن عبادي؛ فإن عبدي بين خلال ثلاث: إما أن أُخرج منه ذرِّية طيِّبة، أو يتوب فأغفر له، أو النار من ورائه).

أَفَتُرى الله أراه الملكوت ليوقن، فلما أيقن رأى كوكباً فقال: هذا ربي على الحقيقة والاعتقاد ؟!.

في سورة الأنعام

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٤٣ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

أراد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وأنشأ لكم ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًاۚ﴾ يعني: كباراً وصغاراً ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ [الأنعام: ١٤٢]، أي: لا تَقْفُوا أَثَرَه فيما يُحرِّم عليكم مما لم يُحرِّمه الله، ويحلّه لكم مما حرّمه الله عليكم.

ثم قال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾، أي: كلوا مما رزقكم الله ثمانيةَ أزواج. وإنْ شئتَ جعلتَه منصوباً بالرَّدِّ إلى الحَمُولَةِ الفَرْشِ تَبْييناً لها.

والثمانية الأزواج: الضأن، والمعز، والإبل، والبقر.

وإنما جعلها ثمانية وهي أربعة؛ لأنه أراد: ذكراً وأنثى من كل صنف، فالذكر زَوْجٌ، والأنثى زوج، والزوج يقع على الواحد والاثنين. ألا ترى أنك تقول للرجل: زوج، وهو واحد، وللمرأة: زوج، وهي واحدة؟ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: ٤٥].

وكانوا يقولون: ما في بطون الأنعام حلال لذكورنا ونسائنا، إن كان الجنين ذكراً، ومُحَرَّمٌ على إناثنا إن كان أُنثى. ويُحرِّمون على الرجال والنساء الوَصيلَةَ وأخاها، ويزعمون أن الله حرَّم ذلك عليهم. فقال الله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقال يُقَايِسهم في تحريم ما حرَّموا: ﴿**قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ**﴾ من الضأن والمعز ﴿**حَرَّمَ**﴾ الله عليكم ﴿**أَمِ الأُنْثَيَيْنِ؟**﴾، فإن كان التحريم من جهة الذكرين: فكل ذكر حرام عليكم، وإن كان التحريم من جهة الأُنْثَيَيْنِ: فكل أنثى حرامٌ عليكم؛ ﴿**أَمْ**﴾ حرَّم عليكم ﴿**ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ**﴾ من الأجنَّة؟.

فإن كان التحريم من جهة الاشتمال، فالأرحام تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فكل جنين حرام. ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ الله بِهٰذَا**﴾ أي حين أمر الله بهذا فتكونون على يقين؟ أم تَفْتَرُونه عليه وتختلقونه؟ توبيخ ﴿كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

في سورة التين

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين: ٤، ٨].

يريد: عدّلنا خلقه، وقوّمناه أحسن تعديل وتقويم.

﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾، والسّافلون: هم الضعفاء والزَّمْنَى الأطفال، ومن لا يستطيع حيلة، ولا يجد سبيلاً. وتقول: سفَل يسفُل فهو سافِل، وهم سافلون. كما تقول: عَلا يعْلو فهو عالٍ وهم عالُون. وهو مثل قوله سبحانه: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠].

وأراد: أنّ الهرِم يَخْرَفُ ويُهْتَرُ وينقص خلْقُه، ويضعف بصره وسمعه، وتقلّ حيلته، ويعجز عن عمل الصالحات؛ فيكونُ أسفلَ من هؤلاء جميعاً.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] في وقت القُوّة والقدرة، فإنهم في حال الكِبَر غيرُ منقوصين؛ لأنّا نعلم أنا لو لم نسلبهم القدرة والقُوّة لم يكونوا ينقطعون عن عمل الصّالحات، فنحن نُجْري لهم أجْرَ ذلك ولا نَمُنُّهُ، أي لا نقطعه ولا ننقصه. وهو معنى قول المفسرين. ومثله قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر: ٢]، والخسر: النقصان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ٣] فإنهم غير منقوصين.

ونحوه قولُ رسول الله، ﷺ: «**يقول الله للكرام الكاتبين: إذا مرض عبدي فاكتبوا له ما كان يعمل في صحته، حتى أُعافِيَهُ أَو أَقْبِضَهُ**»[1].

ثم قال: ﴿**فَمَا يُكَذِّبُكَ**﴾ أيها الإنسان ﴿**بالدِّين؟**﴾ أي: بِمُجَازَاتِي إيَّاك بعملك وأنا أحْكَمُ الحَاكِمِينَ؟

في سورة والشمس وضحاها

قوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧، ١٠].

أقسم بالنفس وخلقه لها ثم قال: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاها**﴾، أي: فَهَّمَها أعمال البر وأعمال الفجور، حتى عرَف ذلك الجاهلُ والعاقل، ثم قال: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها**﴾ يَرِيد أفلح من زكى نفسه، أي: أنماها وأعلاها بالطاعة والبِرّ والصّدقة واصطناع المعروف.

وأصل التزكية: الزِّيادة، ومنه يقال: زكا الزرع يَزْكوا: إذا كثر رَيْعُهُ، وزكتِ النّفقة: إذا بُورِك فيها، ومنه زكاة الرّجل عن ماله؛ لأنها تُثَمِّرُ مالَه وتُنَمِّيه. وتَزْكِيَة القاضي للشّاهد منه؛ لأنه يرفعه بالتَّعْدِيل والذّكر الجميل.

﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾، أي: نقصها وأخفاها بترك عمل البرّ، وبركوب المعاصي. والفاجرُ أبداً خَفِيُّ المكان، زَمِرُ المُرُوءة، غامض الشّخص، ناكِسُ الرأس.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/ ٢٣١، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٠٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ٦٦٧١.

ودَسَّاها: من دَسَّسَت، فَقُلِبتْ إحدى السِّينات ياءً، كما يقال: لَبَّيْتُ، والأصل لَبَّبْتُ؛ و: قَصَّيْتُ أظْفَارِي، وأصله قَصَصت. ومثله كثير.

فكأنّ النَّطِف[1] بارتكاب الفواحش دَسَّ نفسه وقَمَعَها، ومُصْطَنِع المعروفِ شهَر نفسه ورفعها.

وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبا وأيْفاعَ[2] الأرض؛ لتشتهَر أماكنها للمُعْتَفِين، وتُوقِد النِّيران في الليل للطّارقين.

وكانت اللئام تنزل الأوْلاجَ[3] والأطراف والأهضام[4]: لتُخفى أماكنها على الطّالبين.

فأولئك أعلَوْا أنفسهم وزكّوها، وهؤلاء أخفَوْا أنفسهم ودسوها؛ قال الشاعر[5]:

وَبَوّأْتَ بَيْتَكَ فِي مَعْلَمٍ رَحِيبِ المَبَاءَةِ والمَسْرَحِ
كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلابَ القِرَى وَنَبْحَ الكِلابِ لِمُسْتَنْبِحِ
تَرَى دَعْس آثَارِ تِلْكَ المطِيْ أَخَادِيدَ كَالْلُقَمِ الأَفْيَحِ
وَلَوْ كُنتَ فِي نَفَقٍ زَائِغٍ لَكُنْتَ عَلَى الشَّرَكِ الأوْضَحِ

ومثل هذا كثير.

في لا أُقسم بيوم القيامة

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾﴾ [القيامة: ٣، ٥].

هذا ردّ من الله عليهم، وذلك أنهم ظنوا أن الله لا ينشرُ الموتى، ولا يَقْدِرُ على جَمْعِ العِظام البالية، فقال: بلى، فاعلموا أنّا نقدر على رد السُّلاميَات[6] على صغرها،

(١) النَّطِفُ: المتهم.
(٢) اليفاع: المشرف من الأرض.
(٣) الأولاج: جمع وَلَجة، بالتحريك، وهي موضع أو كهف يستتر فيه المارة من مطر أو غيره.
(٤) الأهضام: جمع هضم، وهو ما تطامن الأرض.
(٥) الأبيات من المتقارب، وهي في كتاب الحيوان ١/ ٣٨١-٣٨٢، ٥/ ١٣٤-١٣٥، والبيت الأول بلا نسبة في تاج العروس (بوأ)، والمعاني الكبير ص ٤٠٩. والبيت الثاني بلا نسبة في تاج العروس (بوأ).
(٦) السلاميات: جمع سلامى، وهي عظام صغار على طول الإصبع أو قريب منها، في كل يد ورجل أربع سلاميات أو ثلاث.

ونؤلِّف بينها حتى يَسْتَوِي البَنان. ومَنْ قدَر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقْدَرُ.

ومثلُ هذا رجل قلت له: أَتُرَاكَ تقدِر على أن تؤلِّف هذا الحنْظَلَ في خيط؟ فيقول لك: نعم وبَيْنَ الخَرْدَل.

وأما قوله سبحانه: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ فقد كثرت فيه التفاسير: فقال سعيد بن جُبَيْر يقول: سوف أتوب، سوف أتوب.

وقال الكلبي: يُكْثِرُ الذنوب، ويؤخِّر التوبة.

وقال آخرون: يتمنَّى الخطيئة.

وفيه قول آخر: على طريق الإمكان ـ إن كان الله تعالى أراده ـ وهو: أن يكون الفجور بمعنى: التكذيب بيوم القيامة، ومن كذَّب بحق فقد فجر.

وأصل الفجور: الميل، فقيل للكاذب والمكذِّب والفاسق: فاجرٌ؛ لأنه مال عن الحق.

وقال بعض الأعراب لعمر بن الخطاب رحمه الله ـ وكان أتاه فشكى إليه نَقَبَ إبله وَدَبَرَها واسْتَحمله فلم يَحمله ـ[1]:

أَقْسَمَ بِاللهِ أَبو حَفْصٍ عُمَرْ   مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلا دَبَرْ

فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إنْ كانَ فَجَرْ

أي: كذب.

وهذا وجهٌ حسن؛ لأن الفجور اعتراض بين كلامين من أسباب يوم القيامة؛ أولهما: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾؟ والآخر: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾؟ فكأنه قال: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه في الآخرة؟ بلى نقدر على أن نجمع ما صغر منها ونؤلف بينه.

---

(١) الرجز لرؤبة في شرح المفصل ٣/ ٧١، وليس في ديوانه، ولا يمكن أن يكون رؤبة هو الذي قاله لعمر بن الخطاب، ذلك أنه توفي سنة ١٤٥هـ، ولم يعتبره أحد من التابعين فضلاً عن المخضرمين، وهو لعبد الله بن كيسبة أو لأعرابي في خزانة الأدب ٥/ ١٥٤، ١٥٦، والأعرابي في شرح التصريح ١/ ١٢١، والمقاصد النحوية ٤/ ١١٥، ولسان العرب (نقب)، (فجر)، وتاج العروس (نقب)، (فجر)، وتهذيب اللغة ١١/ ٥٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ١٢٨، وشرح الأشموني ١/ ٥٩، وشرح شذور الذهب ص ٥٦١، وشرح ابن عقيل ص ٤٨٩، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٧٩، وأساس البلاغة (نقب)، وديوان الأدب ٢/ ١١١، وكتاب العين ٨/ ٣٠٧.

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ أي: ليكذِّب بيوم القيامة وهو أمامه، فهو يسأل ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦] أي متى يكون؟.

في والصافات

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ [الصافات: ٢٧، ٢٨].

يقول هذا المشركون يوم القيامة لقُرنائهم من الشياطين: إنكم كنتم تأتوننا عن أيماننا؛ لأن إبليس قال: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] فشياطينهم تأتيهم من كل جهة من هذه الجهات بمعنًى من الكيد والإضلال.

وقال المفسرون: فمن أتاه الشيطان من جهة اليمين: أتاه من قِبَل الدِّين فلَبَّس عليه الحق.

ومن أتاه من جهة الشمال: أتاه من قِبَل الشَّهوات.

ومن أتاه من بين يديه: أتاه من قبل التّكذيب بيوم القيامة والثواب والعقاب.

ومن أتاه من خَلْفِهِ: خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يُخَلِّف بعده، فلم يصل رحماً، ولم يُؤَدِّ زكاةً. فقال المشركون لقرنائهم: إنكم كنتم تأتوننا في الدنيا من جهة الدِّين، فتشبّهون علينا فيه حتى أضللتمونا. فقال لهم قرناؤهم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٢٩] أي: لم تكونوا على حق فنُشَبِّهَه عليكم ونُزيلَكم عنه إلى باطل. ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ [الصافات: ٣٠]، أي: قدرة فنَقْهركم ونجبرَكم ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الصافات: ٣٠، ٣١] نحن وأنتم العذاب ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الصافات: ٣٢] يعني بالدعاء والوَسْوَسة.

ومثل هذا قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢].

في سورة صَ

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [صَ: ٩، ١١].

أخبر الله، سبحانه، عن عنادهم وتكبّرهم وتمسّكهم بآلهتهم في أول السورة،

فقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: ١]، وحكى قولهم: ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، أي اذهبوا ودعوه وتمسّكوا بآلهتكم فقال الله عز وجل: أعندهم بآلهتهم هذه خزائن الرحمة؟! ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ [ص: ١٠]، أي في أبواب السماء، وأبواب السماء: أسبابها؛ قال الشاعر[1]:

ولو نالَ أسبابَ السَّماءِ بسُلَّمِ

ويكون أيضاً ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾، أي: في الحبال إلى السماء، كما سألوك أن تَرْقَى في السماء وتأتيهم بكتاب. ويقال للرجل إذا تقدم في العلم وغيره وبرع: قد ارتقى في الأسباب، كما يقال: قد بلغ السماء.

ونحو هذا قوله في موضع آخر: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨﴾ [الطور: ٣٨].

وهذا كله توبيخ، وتقرير بالعجز.

ثم قال بعدُ: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ۝١١﴾ [ص: ١١].

وجُنْدٌ بمعنى: حزب لهذه الآلهة. و (ما) زائدة. ومهزوم: مَقْمُوع ذليل. وأصل الهَزْم: الكسر، ومنه قيل للنُّقْرَة في الأرض: هَزْمَةٌ، أي كَسْرَة، وهزَمْتُ الجيش: أي كَسَرْتُهم، وتهَزَّمَت القِرْبَةُ: أي انكسرت.

يقول: هم حزب عند ذلك مَقموعٌ ذليل من الأحزاب، أي عند هذه المحن، وعند هذا القول؛ لأنهم لا يقدرون أن يدَّعوا لآلهتهم شيئاً من هذا، ولا لأنفسهم.

والأحزاب: سائر من تقدمَهم من الكفار، سُمُّوا أحزاباً لأنهم تحزَّبوا على أنبيائهم.

يقول الله سبحانه على إثر هذا الكلام: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾ [ص: ١٢] وكذا وكذا.

ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ [ص: ١٣] فأعلَمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

---

(١) يروى البيت بتمامه:

ومن هابَ أسبابَ المنايا ينلنه   وإن رام أسبابَ السماءِ بسُلّمِ

والبيت من الطويل، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ٣٠، والخصائص ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٦٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٨٦، ولسان العرب (سبب)، وشرح القصائد العشر ص ١٢٠.

وكان ابن عباس في رواية أبي صالح - يذهب إلى أن الله تعالى أخبر رسوله ﷺ أنه سيهزم المشركين يوم بَدْر.

في سورة السجدة

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥].

يريد سبحانه: أنه يَقضي الأمرَ في السماء ويُنزله مع الملائكة إلى الأرض فتُوقِعُه، ثم تعرج إلى السماء، أي تصعد، بما أوقعته من ذلك الأمر، فيكون نُزُولُها به ورجوعها في يوم واحدٍ مقداره ألف سنة مما تعدُّون. يريد مقدار المسير فيه على قدر مسيرنا وعدِّنا ألف سنة؛ لأن بُعد ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم، فإذا قطعته الملائكة، بادئةً وعائدةً في يوم واحد، فقد قطعت مسيرة ألف سنة في يوم واحد.

في سورة النمل

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ۝٦٦﴾ [النمل: ٦٥، ٦٦].

أصل ادَّارَكَ: تَدَارَك، فأدغمت التاء في الدال، وأدخلت ألف الوصل ليسلم للدَّال الأولى السكون؛ ومثله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ٣٨] و ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، و ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾ [النمل: ٤٧]، إنما هو: تداركوا، وتثاقلتم، وتطيّرنا.

ومعنى تدارك: تتابع، و ﴿عِلْمُهُمْ﴾: حكمهم على الآخرة، وحَدْسُهُم الظّنون. وأراد وما يشعرون متى يُبعثون إلاّ بتَتابُع الظّنون في علم الآخرة، فهم يقولون تارة: إنها تكون، وتارة: إنها لا تكون، وإلى كذا تكون، وما يعلم غَيْبَ ذلِك إلا الله تعالى.

ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ بل هم من علمها ﴿عَمُونَ﴾.

وكان ابن عباس يقرؤها ﴿بَلَىٰ أَدَّارَكَ عِلْمُهُمْ﴾.

وهذه القراءة أشدُ إيضاحاً للمعنى؛ لأنه قال: وما يشعرون متى يبعثون، ثم قال: بل تداركت ظنونهم في علم الآخرة؛ فهم يَحْدِسُون ولا يدرون.

في سورة الامتحان

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: ١].

ذكر المفسرون: أنها أنزلت في حَاطِب بن أبي بَلْتَعَة وكان كتب إلى المشركين بمكة يخبرهم بمسير الرسول، ﷺ إليهم؛ لأنّ عياله كانوا بمكة، ولم يكن له بها عشيرة تمنع منهم، فأراد أن يتقرب إليهم ليكُفوا عن عياله فأنزل الله: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾** أي تخبرونهم بما يُخبِرُ بمثله الرجلُ أهْلَ مودَّتِه، وتنصحون لهم **﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ﴾**، مع النبي، ﷺ **﴿يُخرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾** تَمّ الكلام، يعني من مكة **﴿أَنْ تُؤْمِنُوا بِالله رَبِّكُمْ﴾**، أي أخرجوا الرسولَ وأخرجوكم؛ لأنّ آمنتم بالله وحده **﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾**، يريد. فلا تلقوا إليهم بالمودة إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي طالبين رضاي.

ثم قال: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ [الممتحنة: ١]، أي كيف تَسْتَتِرُونَ بمودّتكم لهم منّي وأنا أعلم بما تُضمرون وما تُظْهِرُونَ؟.

ثم ضرب لهم إبراهيم، ﷺ، مثلاً حين تبرأ من قومه ونَابَذَهم وباغَضَهم، إلى قوله سبحانه: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ﴾ [الممتحنة: ٤]، يريد أنّ إبراهيم، ﷺ، عاداهم وهجرهم في كل شيء إلا في قوله لأبيه: لأستغفرنّ لك.

في سورة الحج

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [الحج: ١٥].

كان قوم من المسلمين لشدَّة غيظهم وحَنَقهم على المشركين، يَستبطئون ما وعد الله ورسولَه من النصر. وآخرون من المشركين يريدون اتباعَه ويخشون ألا يتم له أمره، فقال تعالى: **﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ﴾**، يعني محمداً، عليه السلام، على مذاهب العرب في الإضمار لغير مذكور، وهو يَسمعُني أَعِدُه النصر والإظهار والتمكين، وإن كان يستعجل به قبل الوقت الذي قضيتُ أن يكون ذلك فيه، **﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾** أي

بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾، يعني سقف البيت، وكلُّ شيء علاك وأظلّك فهو سماء، والسحاب: سماء، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: ٩]؛ وقال سَلامَةُ بن جَنْدَل يذكر قتلَ كِسرى النعمان[1]:

هُوَ المُدْخِلُ النعمانَ بَيْتاً سَمَاؤُهُ نُحُورُ الفُيولِ بَعْدَ بَيتٍ مُسَرْدَقِ

يعني: سقفه، وذلك أنّه أدخله بيتاً فيه فِيَلَة فَتَوَطَّأَتْهُ حتى قتلته.

وقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقطَعْ﴾. قال المفسرون أي: ليختنق ﴿فَلْيَنظُر هَل يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغِيظُ﴾ هل يذهب ذلك ما في قلبه؟ وهذا كرجل وعدته شيئاً مرة بعد مرة، ووكّدت على نفسك الوَعْدَ، وهو يُراجعك في ذلك، ولا تسكن نفسه إلى قولك، فتقول له: إن كنت لا تثق بما أقوله، فاذهب فاختنق. تريد: اجهد جهدك.

هذا معنى قول المفسرين.

وفيه وجه آخر على طريق الإمكان؛ وهو أن تكون السماء هُهنا: السماء بعينها لا السقف، كأنه قال: فليمدد بسبب إليها أي بحبل، وليرتق فيه، ثم ليقطع حتى يَخِرَّ فَيَهْلِك، أي: ليفعل هذا إن بلغَهُ جَهْدهُ، فلينظر هل ينفعه. ومثله قوله لرسول الله، ﷺ - حين سأله المشركون أن يأتيهم بآية ولم يشأ الله أن يأتيَهُم بها، فشقّ ذلك عليه -:

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٥] يريد: اجهد إن بلغ هذا جهدك.

وروَى ابن عُيَيْنة عن ابن أبي نَجيح، عن كرْدَم: أنّ رجلاً سأل أبا هريرة، وابنَ عمر، وابن عباس، عن رجل قتل مؤمناً متعمداً، هل له توبة؟ فكلهم قال: هل يستطيع أن يُحْيِيَهُ؟ هل يستطيع أن يَبْتَغِيَ نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء؟.

يريدون: أنه لا توبة له، كما أن هذا لا يكون.

وقال أبو عبيدة: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ الله﴾ أي: يرزقه الله. وذهب إلى

---

(١) يروى عجز البيت بلفظ:

صدور الفيول بعد بيتٍ مسردقِ

والبيت من الطويل، وهو لسلامة بن جندل في ديوانه ص ١٨٢، ولسان العرب (سردق)، وجمهرة اللغة ص ١١٤٦، وتاج العروس (سردق)، والأصمعيات ص ١٣٧، وللأعشى في تهذيب اللغة ٩/ ٣٩٤، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في المخصص ٦/ ٧، وكتاب العين ٥/ ٢٥١.

قول العرب. أرضٌ مَنْصُورَةٌ؛ أي مَمْطُورَة، وقد نُصِرَت الأرض: أي مُطِرَت.

كأنه يريد: من كان قانطاً من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك، فلينظر هل يُذْهِب كَيْدهُ، أي حيلته غَيْظَه لتأخر الرزق عنه؟.

في سورة البقرة

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٧، ٢٠].

﴿الَّذِي﴾ هٰهنا بمعنى الذين استوقدوا ناراً، وربما جاءت مؤدّية عن جميع، قال الشاعر[1]:

وإن الذي حَانَتْ بِفَلْجٍ دماؤُهم ... هُمُ القَوْمُ كلُّ القوم يا أُمَّ خالِدِ

أراد: مَثَلُ المنافقين كمثل قوم كانوا في ظلمة فأوقَدُوا ناراً، فلما أضاءت النار ما حولهم أطْفَأها الله وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

فالظلمة الأولى التي كانوا فيها: الكفر.

واستيقادُهم النارَ قولُهم: لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله.

فلما أضاءت لهم ما حولهم واهتدوا وآمنوا: خَلَوْا إلى شياطينهم فنافقوا، وقالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]فسلبهم نور الإيمان، وتركهم في ظلمات الكفر لا يبصرون.

ثم ضرب لهم مثلاً آخر شبيهاً بهذا المثل، فقال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ

(١) البيت من الطويل، وهو للأشهب بن رميلة في خزانة الأدب ٦/٧، ٢٥ـ٢٦، وشرح شواهد المغني ٢/٥١٧، والكتاب ١/١٨٧، ولسان العرب (فلج)، (لذا)، والمؤتلف والمختلف ص ٣٣، والمحتسب ١/١٨٥، ومعجم ما استعجم ص ١٠٢٨، والمقاصد النحوية ١/٤٨٢، والمقتضب ٤/١٤٦، والمنصف ١/٦٧، وللأشهب أو لحريث بن مخفض في الدرر ١/١٤٨، وبلا نسبة في الأزهية ص ٩٩، وخزانة الأدب ٢/٣١٥، ٦/١٣٣، ٨/٢١٠، والدرر ٥/١٣١، ورصف المباني ص ٣٤٢، وسر صناعة الإعراب ٢/٥٣٧، وشرح المفصل ٣/١٥٥، ومغني اللبيب ١/١٩٤، ٢/٥٥٢.

ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩].

فالصيب: المطر، والظلمات: ظلمة الليل، وظلمة السحابة، والرعد: دليل على شدة ظلمة الصَّيِّب وهَوْلِهِ.

أراد: أو مثل قوم في ظلمات ليل ومطر. فَضَرَبَ الظلمات لكفرهم مثلاً، والبرقَ لتوحيدهم مثلاً، فقال: إذا قالوا: لا إله إلا الله اهتدوا كما يهتدي هؤلاء القوم بالبرق إذا لمع فيمشون.

وجعله يكاد يَخْطِفُ الأبصار لِشدة ضوئه.

وإذا نافقوا فاستهزؤوا وخلوا بشياطينهم فتابَعُوهم ـ عَمُوا وصَمُّوا، كما يُظلِمُ على هؤلاء إذا سكن لَمَعانُ البرق فيقومون.

في سورة المزمل

﴿المُزَّمِّل﴾: المُتَزَمِّل، فأُدغمت التاء في الزَّاي، وكذلك ﴿المُدَّثِّر﴾ هو: المُتَدثِّر بثيابه، فأدغمت التاء في الدال. وكل من التف بثوبه فقد تَزَمَّلَ به.

﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: ٢] أي: صلِّ الليل إلا شيئاً يسيراً منه تنام فيه وهو الثلث، ثم قال: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ [المزمل: ٣] أي: قم نصفه، فاكتفى بالفعل الأول من الثاني لأنه دليل عليه. أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زِدْ على النصف إلى الثلثين. جعل له سعةً في مدّة قيامه بالليل. فلما نزلت هذه الآية قام رسول الله، ﷺ، وطائفة من المؤمنين معه، أدْنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه، وأخذ المسلمون أنفسهم بالقيام على المقادير حتى شَقَّ ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ أي: وتقوم نصفه وثلثه ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ فيعلم مقدار ثلثيه ونصفه وثلثه، وسائر أجزائه ومواقيته، ويعلم أنكم ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي: لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام فيه ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠] رخّص لهم أن يقوموا ما أمكن وخفّ، لغير مدة معلومة ولا مقدار.

وكان هذا في صدر الإسلام، ثم نسخ بالصلوات الخمس. كذلك قال المفسرون:

وقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [المزمل: ٦] وهي: آناؤه وساعاته، مأخوذة من نَشَأَتْ تَنْشَأُ نَشْأً، ونشأت أي: ابتدأت وأقبلت شيئاً بعد شيء، وأنشأها الله فنشأت

وأنشأت. ومنه قوله سبحانه: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨] وقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ [الواقعة: ٣٥] أي: ابتدأناهن ونبّتناهن، ومنه قيل لصغار الجواري: نَشأ.

فكأنه قال: إن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف من الاسم.

وقوله: ﴿أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ [المزمل: ٦] أي: أثقل على المصلي من ساعات النهار. وهو من قولك: اشتدت على القوم وَطْأَةُ سُلْطانِهم: إذا ثقل عليهم ما يُلْزِمهم ويأخذهم به. فأعلم الله نبيه أن الثواب في قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها.

ومن قرأها: ﴿وِطاءً﴾ على تقدير (فِعال) فهو مصدر لِوَاطَأْت فلاناً على كذا مُوَاطأَة ووِطاءً. وأراد: أنّ القراءة في الليل يَتَواطأ فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التَّفَهُّم والأداء والاستماع، بأكثر مما يَتَوَاطأ عليه بالنهار.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦] أي: أخلص للقول وأسمع له؛ لأن الليل تهدأ عنه الأصوات؛ وتنقطع فيه الحركات، فيخلص القول، ولا يكون دون تَسَمُّعِه وتَفَهُّمِهِ حائل.

وقوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ [المزمل: ٧] يعني: تصرفاً وإقبالاً وإدباراً في حوائجك وأشغالك.

في سورة الفتح

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفتح: ٢٥].

كان بمكة قوم مؤمنون مختلطون بالمشركين غير متميزين ولا معروفي الأماكن، فلما صدّ المشركون رسولَ الله، ﷺ، عن المسجد الحرام وَعَكَفُوا الهَدْيَ أَنْ يَبلُغ مَحِلّه. قال الله سبحانه: لولا أن بمكة رجالاً مؤمنين ونساءً مؤمناتٍ لا تعرفونهم فتطئُوهم لو دخلتموها، أي تقتلوهم لِيُدْخِلَهُمُ الله في رَحْمَتِهِ لو فعلتم فتُصِيبَكُمْ من قتلهم بغير علم مَعَرَّةٌ، أي يَعيبَكم المشركون بذلك ويقولون: قد قتلوا أهل دينهم وعذبوهم كما فعلوا بنا، وتلزمكم الدِّيات.

ثم قال، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾، أي تميزوا من المشركين ﴿لَعَذَّبْنا﴾ المشركين بالسيف

﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾: فصار قوله سبحانه: ﴿لَعَذَّبْنا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ جواباً لكلامين: أحدهما: ﴿لَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾، والآخر: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾.

في سورة الأعراف

﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

كلّ شَيْءٍ يَلْهَثُ فإنما يلهث من إعياءٍ أَوْ عطش أو عِلّة، خلا الكلب، فإنّه يلهث في حال الكلال، وحال الرّاحة، وحال الصحة والمرض، وحال الريّ والعطش.

فضربه الله مثلاً لمن كذّب بآياته فقال: إن وعظْته فهو ضالّ، وإن لم تعِظْه فهو ضالّ، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لَهَث، أو تركته على حاله أيضاً لهث.

ونحوه قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الأعراف: ١٩٣].

في سورة البقرة

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥].

نزلت في بني قُرَيظة والنَّضِير. يقول: أخذ الله عليكم في الكتاب: ألا تسفكوا دماءكم، أي لا تَقْتَتِلوا، فيقتل بعضكم بعضاً، ولا تتركوا أسيراً في أيدي الآسرين فيقتلوه، ولا تُخرجوا أنفسكم من دياركم، أي لا تغلبوا أحداً على داره وتخرجوه، فقبلتم ذلك وأقررتم به، وهو أخذ الميثاق ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُون﴾ بذلك ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي تقتتلون فيقتل بعضكم بعضاً، ﴿وتُخرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيهِمْ بِالإِثْم والعُدْوَانِ﴾ أي تتعاونون ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ﴾ بهم ﴿أُسَارَى تُفَادُوهُمْ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُم﴾ من ديارهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ﴾ في فك الأسير ﴿وَتَكْفُرونَ بِبَعْضٍ﴾ في إخراجكم مَنْ أخرجتم من ديارهم ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾ فجُوزِي بنو النَّضِير بأن أخرَجهم رسولُ الله ﷺ، عن

ديارهم لأوّل الحَشر.

وجُوزِيَ بنو قُريظة بقتل المُقاتِلة وَسَبْي الذُرِّيّة.

في الزخرف

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزخرف: ٨١].

لما قال المشركون: لله ولد، ولم يرجعوا عن مقالتهم بما أنزله الله على رسوله، عليه السلام، من التبرُؤ من ذلك ـ قال الله سبحانه لرسوله عليه السلام: ﴿قُلْ:﴾ لهم ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ أي: عندكم في ادعائكم. ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أي: أول الموحدين، وَمَنْ وَحَّدَ الله فقد عبده، ومن جعل له ولداً أو نِدّاً، فليس من العابدين، وإن اجتهد.

ومنه قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]؛ أي إلا ليُوَحِّدون.

قال مُجَاهد[1]: يريد إن كان لله ولد في قولكم، فأنا أول من عبد الله ووحّده، وكذَّبكم بما تقولون.

وبعض المفسرين يجعل إن بمعنى (مَا)؛ **وليس يعجبني ذلك**.

ويقال: العابدون هٰهنا: الغِضابُ الآنفون. يقال: عَبِدْتُ من كذا أَعْبَدُ عَبَداً. وأكثرُ ما تأتِي الأسماءُ من فَعِلَ يَفْعَلُ (على فَعِلٍ) كقوله: وَجِلَ يَوْجَلُ فهو وَجِلٌ، وفَزِعَ يَفْزَعُ فهو فَزِعٌ.

وربما جاء على (فاعِل) نحو عَلِمَ يعلم فهو عالِمٌ.

وربما جاء منه على (فَعِلَ) و (فاعل) نحو صَدى يصدي فهو صدٍ وصادٍ، كذلك تقول: عَبِد يعبَدُ فهو عَبِدٌ وَعَابِدٌ، قال الشاعر[2]:

وأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ

---

(١) مجاهد: هو مجاهد بن جبير المخزومي، أبو الحجاج المقري المكي، مولى عبد الله بن السائب، وقيل: مولى السائب بن أبي السائب، فقيه محدث تابعي ثقة، توفي بمكة سنة ١٠٢هـ. وقيل: سنة ١٠٣هـ. وقيل: سنة ١٠٤هـ. صنف «تفسير القرآن». (أسماء التابعين ١/ ٣٦٣، كشف الظنون ٦/ ٤).

(٢) صدر البيت: أولئك قومي إن هجوني هجوتهم
والبيت من الطويل، وهو للفرزدق في إصلاح المنطق ص ٥٠، ولسان العرب (عبد)، والمحتسب ٢/ ٢٥٨، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٦٣٧، وجمهرة اللغة ص ٢٩٩، ويروى =

في سورة النساء

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء: ٤٦].

هؤلاء قوم من اليهود كانوا يقولون للنبي، ﷺ، إذا حدّثهم وأمرهم: سمعنا، ويقولون في أنفسهم: عصينا. وإن أرادوا أن يكلموه بشيء قالوا له: اسمع يا أبا القاسم، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت. ويقولون له: راعنا. يُوهِمُونه في ظاهر اللفظ أنهم يريدون انتظرنا حتى نكلمك بما نريد، كما تقول العرب: أَرْعِني سَمْعك وراعِني، أي: انتظرني وترفّق وتَلَوّم عَلَيّ، هذا ونحوه، وإنما يريدون سَبَّه بالرُّعُونَة في لغتهم، فقال الله سبحانه: **﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ﴾** كذا وكذا. ويقولون: **﴿رَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾** أي: قلباً للكلام بها، **«وَطَعْناً فِي الدِّينِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا: سَمِعْنا وَأَطَعْنا»** مكان قولهم: سمعنا وعصينا، وقالوا: واسمع. مكان قوله: لا سمعت، وانظرنا، مكان قولهم: راعنا **﴿لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾**.

والعرب تقول: نَظَرْتُكَ وانتظَرْتك، بمعنى واحد،

قال الحُطَيئة[1]:

وقد نَظَرْتُكُمُ إيناءَ عاشِيَةٍ ... للخِمْسِ طَالَ بِهَا حَوْزِي وَتَنْسَاسِي

في سورة المائدة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ

= عجز البيت بلفظ: وأَعْبَدُ أن تُهْجى كُلَيْبٌ بدارم

وهو بهذا اللفظ للفرزدق في تاج العروس (عبد)، (عني)، وإصلاح المنطق ص ٥٠، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٩٩، وديوان الأدب ٢/ ٢٣٠، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٠٧.

(١) يروى صدر البيت بلفظ:

وقد نظرتكم أبناء صادرة

والبيت من البسيط، وهو للحطيئة في ديوانه ص ١٠٦، ولسان العرب (نظر)، (نسس)، (عشا)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٣٠٦، وجمهرة اللغة ص ٢٥٠، وتهذيب اللغة ٣/ ٥٤، ٥/ ١٧٧، ١٢/ ٣٠٧، ١٤/ ٣٧١، وتاج العروس (نظر)، (نسس)، وكتاب العين ٧/ ١٩٩، وبلا نسبة في المخصص ٧/ ١٠٣، ولسان العرب (حوز).

فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟﴾ [المائدة: ١٠٦، ١٠٨].

قد اختلف الناس قديماً في تأويل هذه الآية والسبب الذي نزلت فيه.

وأنا مُخبِرٌ من تلك المذاهب والتأويلات، بأشبَهِها بلفظ الكتاب، وأولاها بمعناه.

وأراد الله عز وجل أن يعرفنا كيف نشهد بالوصية عند حُضور الموت، فقال: **﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْت حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾** أي: رجلان عَدْلان من المسلمين تُشْهِدُونَهما على الوصيّة.

وعلم الله سبحانه أنّ من الناس من يسافر فيصْحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين، وينزل القريةَ التي لا يسكنها غيرُهم، ويَحضرُه الموت فلا يجد من يُشْهِدُه من المسلمين، فقال: **﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾** أي: من غير دينكم **﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾** أي: سافرتم **﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ﴾** وتمّ الكلامُ. فالعَدْلان من المسلمين للحضر والسفر خاصّة إنْ أمكن إشهادُهما في السفر. والذّميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما.

ثم قال: **﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِالله إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾** أراد: تحبسونهما من بعد صلاة العصر إن ارتبتم في شهادتهما وشكَكْتُم، وخشيتم أن يكونا قد غيَّرا، أو بَدَّلا وكتما وخانا.

وخصّ هذا الوقت؛ لأنه قبل وُجوبِ الشمس[1]، وأهل الأديان يعظمونه ويذكرون الله فيه، ويَتوَقَّوْن الحلف الكاذب وقول الزُورِ، وأهل الكتاب يصلُّون لطلوع الشمس وغروبها.

﴿فَيَحْلِفَانِ بِالله لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً﴾ أي: لا نبيعه بعرَضٍ، ولا نُحَابِي في شهادتنا أحداً ولو كان ذا قُرْبَى، ولا نَكتُمُ شَهادةً عَلِمْناها.

فإذا حلفا بهذه اليمين على ما شَهِدَا به، قُبلت شهادتهما، وأُمْضِي الأمرُ على قولهما.

---

(١) وجوب الشمس: يقال: وجبت الشمس وجباً ووجوباً: غابت.

ورَوى معاوية بن عمرو[١]، عن زائدة[٢]، عن زكريا[٣]، عن الشعبي[٤] أنه قال:

مات رجل بِدَقُوقا ولم يَشهده إلا نصرانيَّان، فأَشْهَدَهُما على وصيته، فقَدِما الكوفة وأبو موسى الأشعري[٥] عليهما، فتقدَّما إليه فأَحْلَفَهُما في مسجد الكوفة بعد العصر: بالله ما بدَّلا ولا كتَمَا ولا كذبا وأجاز شهادتهما.

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ بعد هذه اليمين أي: ظُهِرَ ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً﴾ أي: حنثا في اليمين بكذبٍ في قول، أو خيانة في وديعة ﴿فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾ أي: قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت الذين استحق منهم الأوليان، وهما الوَليّان، يقال: هذا الأَوْلَى بفلان، ثم يُحذف من الكلام بفلان، فتقول: هذا الأَوْلَى، وهذان الأوليان؛ كما تقول: هذا الأكبرُ، في معنى الكبير، وهذا الأكبران، و ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمعنى (منهم)، كما تقول: استحققت عليك كذا، واستوجبت عليك كذا، وأي: استحققته منك، واستوجبته منك، وقال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢].

أي من الناس.

وقال صَخْر الغَيّ[٦]:

مَتَى مَا تُنْكِروها تَعْرِفُوها ... على أَقْطَارِها عَلَقٌ نَفِيثُ

---

(١) هو معاوية بن عمرو بن خالد بن غلاب، توفي سنة ٢١٤هـ (خلاصة تذهيب الكمال ص ١٠٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ١٦٨، ٣/ ٢٥٨، ٧/ ٢٤٥).

(٢) هو زائدة بن قدامة الثقفي، توفي غازياً بأرض الروم سنة ٢٦٢هـ (خلاصة تذهيب الكمال ص ١٠٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٥٥).

(٣) هو زكريا بن أبي زائدة، توفي سنة ٢٤٨هـ. (خلاصة تذهيب الكمال ص ١٠٤، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٣٣٩).

(٤) الشعبي: هو أبو عمرو، عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي، كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم، توفي سنة ١٠٩هـ. (أسماء التابعين ١/ ٢٦٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ٦/ ٢٥٩).

(٥) أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر من قحطان، صحابي توفي سنة ٤٤هـ. (طبقات ابن سعد ٤/ ٧٩، والأعلام ٤/ ١١٤).

(٦) البيت من الوافر، وهو لأبي المثلم الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٢٦٤، وديوان الهذليين ص ٢٢٤، والأزهية ص ٢٧٦، ولصخر الغي في خزانة الأدب ٢/ ١٩٩، ولسان العرب (نفث)، والمعاني الكبير ٢/ ٩٧٠، وأدب الكاتب ص ٥٢١، والمقصور والممدود ص ١٠٣، وبلا نسبة في تفسير الطبري ٧/ ٧٩.

يريد: من أقطارها.

فإذا أقام الوليان مُقام الذِّمِّيين لليمين، حَلَفا بالله لقد ظهرنا على خيانة الذميين وكذبهما وتبديلهما، وما اعتدينا عليهما، و ﴿لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ أي: أصَحُّ لِكُفْرِهما وإيماننا.

فإذا حلف الوليان على ما ظَهَرَا عليه، رُجِعَ على الذِّمِّيين بما اخْتَانَا، ونُقِضَ ما مَضَى عليه الحكم بشهادتهما.

ثم قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا﴾ أي: هذا الحكم أقرب بهم إلى أن يأتوا بالشهادة على وجهها، يعني أهل الذمة ﴿أَن يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ﴾ على أولياء الميت ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فَيَحْلِفُوا على خيانتهم وكذبهم، فَيُفْضَحوا، أو يُغَرَّموا.

وأكثر العلماء يذهب إلى أن هذا باب من الحُكم (مُحْكَمْ) وأنه لم ينسخ من سورة المائدة شيء؛ لأنها آخر ما نزل.

ويعضهم يذهب إلى أنه مَنسوخٌ بقوله سبحانه:

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

في سورة الروم

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨)﴾ [الروم: ٢٨].

هذا مثل ضَربه الله لمن جعل له شركاء من خَلْقِه، فقال قبل المثل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] يريد: إعادته على المخلوق أهون من ابتدائه؛ لأنه ابتداُه في الرحم نطفة، وعلَقَة، ومُضغة، وإعادته تكون بأن يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [الأنعام: ٧٣] فذلك أهون على المخلوق من النشأة الأولى. كذلك قال ابن عباس في رواية أبي صالح.

وإن جعلته لله، جعلت أهون بمعنى: وهو هيّن عليه، أي سهل عليه.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧] يعني: شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم ضرب المثل فقال: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وذلك أقرب عليكم ﴿هَلْ لَكُم مِنْ شُرَكَاءَ﴾ من عبيدكم الذين تملكون ﴿فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ﴾ وعبيدكم ﴿سَوَاءٌ﴾ يأمرون فيه كأمركم، ويحكمون كحكمكم؛ وأنتم ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي كما يخاف الرجلُ الحرُّ شريكه الحرَّ في المال يكون بينهما، فلا يأمر فيه بشيء دون أمره، ولا يُمْضي فيه عَطيّةً بغير إذنه.

وهو مثل قوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] أي لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين.

وقوله: ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] أي بأمثالهم من المؤمنين.

يقول: فإذا كنتم أنتم بهذه المنزلة فيما بينكم وبين أرقائكم، فكيف تجعلون لله من عبيده شركاء في ملكه؟

ومثله قوله ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ فجعل منكم المالك والمملوك ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾ يعني: السادة ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [النحل: ٧١] من عبيدهم حتى يكونوا فيه شركاء. يريد: فإذا كان هذا لا يجوز بينكم، فكيف تجعلونه لله؟.

في سورة النحل

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ [النحل: ٧٥].

هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عُبد دُونَه، فقال: ﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ فهذا مثل من جُعِلَ إلٰهاً دُونه أو معه لأنه عاجز مُدَبَّرٌ، مملوك لا يقدر على نفع ولا ضرّ.

ثم قال: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ [النحل: ٧٥].

فهذا مَثلُه جل وعز لأنه الواسع الجواد القادر، الرّازق عِباده جَهْراً من حيث يعلمون، وسراً من حيث لا يعلمون.

وقال بعض المفسرين: هو مثل للمؤمن، والكافر. فالعبد: هو الكافر، والمرزوق: هو المؤمن.

والتفسير الأول أعجب إليّ؛ لأن المثل توسّط كلامين هما لله تعالى أمّا (الأوّل)

فقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل: ٧٣].

فهذا لله ومن عُبِدَ من دونه.

وأمَّا الآخر فقوله بعد انقضاء المثل: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤].

ولأنه ضرب لهذا المعنى مثلاً آخر بعقب هذا الكلام فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ أي: أخرس ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: عِيَالٌ وَثِقْلٌ على قرابته ووليه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل: ٧٦].

فهذا مثل آلهتهم؛ لأنها صمٌ بكم عُمْيٌ، ثِقْلٌ على من عبدَها، في خِدمتها والتَّعَبُّدِ لها، وهي لا تأتيه بخير.

ثم قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٦] فجعل هذا المثل لنفسه.

في سورة النحل أيضاً

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [النحل: ٩٢].

هذا مثل لمن عاهد الله وحلف به، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلاً وقوّت مِرَّته وأبْرَمَته، فلما استحكم نقضته، فجعلته أنكاثاً.

والأنكاثُ: ما نُقِضَ من أخلاق بيوت الشعر والوبر لِيُغْزَلَ ثانية ويُعَاد مع الجديد، وكذلك ما نُقِضَ من خَلَقِ الخزِّ.

ومنه قيل لمن أعطاك بيعته على السمع والطاعة ثم خرج عليك: ناكِثٌ؛ لأنه نقض ما وَكَّدَ على نفسه بالإيمان والعهود، كما تَنْقُضُ النَّاكثة غَزْلَها.

ثم قال: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾. أي: دغَلاً وخيانة وحِيَلاً ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: لأن يكون قومٌ أغنى من قوم، وقومٌ أعلى من قوم، تريدون: أن تقْتطعوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء، فتجعلوها لهؤلاء.

وقال المفسرون في التي نقضت غزلها: هي امرأة من قريش وكانت حمقاء،

فكانت تغزل الغَزْلَ من الصوف والشّعر والوبر بمغزل في غِلَظِ الذِّراع، وصِنَّارَةٍ في قدر الإصبع، وفَلْكَةٍ عظيمة، فإذا أَحْكَمَتْهُ أَمَرَت خادمها فنقضته.

في سورة الصافات

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۝٦٥﴾ [الصافات: ٦٤، ٦٥].

طلعها: ثمرها، سُمِّيَ طَلْعاً لطلوعه كلّ سنة، ولذلك قيل: طَلْعُ النخل، لأوّل ما يخرج من ثمره، فإذا انتقل عن ذلك فصار في حال أُخرى، سمي باسم آخر.

والشياطين: حيّات خفيفات الأجسام قبيحات المناظر.

قال الشاعر وذكر ناقةً[١]:

تُلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعَمُّجُ شيطانٍ بذي خِرْوَعٍ قَفْرِ

يعني: زماماً، شبَّه تلوّيه بِتَلَوِّي الحيّة.

وقال آخر[٢]:

عُجَيِّزٌ تَحْلِفُ حين أَحْلِفُ كمثلِ شيطانِ الحماطِ أَعْرَفُ

والحماط: شجر. والعرب تقول إذا رأت منظراً قبيحاً: كأنه شيطان الحمَاط. يريدون حيّة تأوى في الحمَاط، كما يقولون: أَيْمُ[٣] الضَّال، وذِئْبُ الغَضَى، وأرنبُ خُلَّةٍ، وتَيْسُ حُلَّبٍ، وقُنْفُذ بُرْقَةٍ.

---

(١) البيت من الطويل، وهو لطرفة بن العبد في الحيوان ٤/ ١٣٣، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (حبب)، (عمج)، (خرع)، (شطن)، (ثنى)، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٨، ٣/ ١٤٨، ٤/ ١٣٧، ومجمل اللغة ٢/ ٣٠، وديوان الأدب ٢/ ٦٠، ٤٤٠، والمخصص ٧/ ١١٠، ٨/ ١٠٩، وتاج العروس (حبب)، (خرع)، (ثنى).

(٢) يروى الشطر الأول من الرجز بلفظ:

عنجردٌ تحلف حين أحلفُ

والرجز بلا نسبة في لسان العرب (عنجرد)، (حمط)، (شطن)، (حيا)، وتهذيب اللغة ٣/ ٣٧٠، ٤/ ٤٠٢، ١١/ ٣١٣، وتاج العروس (عجرد)، (عنجرد)، (عرف)، (شطن)، (حيي)، وديوان الأدب ٢/ ٦٠، ٩٥.

(٣) الأيم والأيِّم، بسكون الياء وتشديدها مثل: هيْن وهيِّن: الحية الأبيض اللطيف، وعمّ به بعضهم جميع ضروب الحيات.

وذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد الشياطين بأعيانها. شبّه ثمر هذه الشجرة في قبحه، برؤوسها، وهي إن لم تُرَ، فإنَّها موصوفة بالقبح، معروفة به.

في سورة النساء

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٨، ٧٩].

الحسنة هٰهنا: الخِصْبُ والمطر. يقول: إن أصابهم خِصْبٌ وغَيثٌ قالوا: هذا من عند الله.

والسيئة: الجدب والقحط. يقول: وإن تصبهم سيئة يقولوا: هذه من عندك. أي بشؤمك، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ كلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾.

ومثل هذا قوله حكاية عن فرعون وملئه: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] يريد إذا جاءهم الخِصْبُ والمطر قالوا: هذا هو ما لم نَزَلْ نَتَعَرَّفه.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي يتشاءمون بهم.

﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] أي ما تطيّروا بموسى ـ لمجيئه ـ من عند الله.

ونحو قوله: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ أي: خِصباً وخيراً ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي جَدْبٌ وقحط ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بذنوبهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

ثم قال: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ أي من خير ﴿فَمِنَ اللهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ أي من شر ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] أي بذنبك. الخطاب للنبي، ﷺ، والمُرَادُ غيره، على ما بيّنتُ في باب الكناية.

في سورة يونس

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس: ١١].

يريد أن الناس عند الغضب وعند الضجر، قد يَدْعُون على أنفسهم وأهلهم

وأولادهم بالموت وبالخزي وتعجيل البلاء، كما قد يدعونه بالرزق والرحمة وإعطاء السُّؤل.

يقول: فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذي يستعجلونه استعجالهم بالخير - لقُضِيَ إليهم أجلُهم، أي لَهَلَكُوا.

وفي الكلام حذف للاختصار، كأنه قال: ولو يُعجّل الله للناس إجابتهم بالشر الذي يستعجلونه استعجالهم بالخير، لهلكوا.

في سورة هود

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧].

هذا كلام مردود إلى ما قبله، محذوف منه الجواب للاختصار، على ما بيّنا في (باب المجاز).

وإنما ذكر الله تعالى قبل هذا الكلام قوماً رَكَنوا إلى الدنيا ورَضُوا بها عِوَضاً من الآخرة فقال:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود: ١٥].

أي نُؤتيهم ثوابَ أعمالهم في الدنيا؛ إذ كان عملُهم لها وطلبُهم ثوابَها، وليس لهم في الآخرة إلا النار.

﴿وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها﴾ أي ذهب وبطل؛ لأنهم لم يريدوا الله بشيء منه.

ثم قَايَسَ بين هؤلاء وبين النبي ﷺ وصحابته فقال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ يعني محمداً، ﷺ. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ أي من ربّه. (الهاء) مَرْدودة إلى الله تعالى.

والشاهد من الله تعالى للنبي، ﷺ: جبريلُ عليه السلام، يريد أنه يتبعه ويُؤَيِّده ويُسَدِّده ويَشْهَده.

ويقال: الشاهد: (القرآن) ﴿يَتْلُوهُ﴾ يكون بعده تالياً شاهداً له.

وهذا أعجب إليّ؛ لأنه يقول: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ يعني التوراة.

﴿إماماً وَرَحْمَةً﴾ قبل القرآن يشهد له بما قدّم الله فيها من ذكره.

والجواب هٰهنا محذوف. أراد أفَمَنْ كانت هذه حاله كهذا الذي يريد الحياة الدنيا وزينتها؟ فاكتفى من الجواب بما تقدم؛ إذ كان فيه دليل عليه.

ومثله قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾، ولم يذكر الذي هو ضده؟ لأنه قال بعد: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

فالقانتون آناء الليل والنهار هم الذين يعلمون، وأضدادهم، هم الذين لا يعلمون، فاكتفى من الجواب بما تأخّر من القول؛ إذ كان فيه دليل عليه.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤمِنُونَ بِهِ﴾، يعني أصحاب محمد، ﷺ، يؤمنون بهذا.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾، يعني مشركي العرب وغيرهم. ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ، فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾، أي في شك. ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، الخطاب للنبي، ﷺ، والمراد غيرُه، على ما بينا في (باب الكناية).

في سورة الأنعام

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام: ١٥٤].

أراد: آتينا موسى الكتابَ تماماً على المحسنين، كما تقول: أُوصي بمالي للذي غزا وحج، تريد الغازِين الحاجّين، **ويكون (الذي) في موضع (من)** كأنه قال: تماماً على من أحسَن.

والمحسنون: هم الأنبياء، صلوات الله عليهم أجمعين، والمؤمنون. **و(على) في هذا الموضع بمعنى (لام الجر)** كما يقال: أتَمّ الله عليه وأتَمّ له قال الرّاعي[1]:

رَعَتْهُ أَشْهُراً وَخَلا عَلَيها ... فَطَارَ النِّيُّ فِيها وَاسْتَغارَا

أراد: وخلا لها.

وتَلْخِيصُهُ: آتينا موسى الكتابَ تتميماً مِنَّا للأنبياء وللمؤمنين ـ الكُتُبَ.

---

(١) البيت من الوافر، وهو للراعي النميري في ديوانه ص ١٤٢، وخزانة الأدب ١٠/ ١٤٠، ١٤٢، ولسان العرب (غور)، (خلا).

﴿وَتَفْصِيلاً﴾ مِنّا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾.

وقد يكون أنْ تُجعل (الذي) بمعنى (ما) أي آتينا موسى الكتاب تماماً على أحْسَنَ من العلم والحكمة وكتب الله المتقدمة. وأراد بقوله: ﴿تماماً﴾ على ذلك، أي زيادة على ذلك.

والتأويل الأول أعجب إليّ؛ لأنه في مصحف عبد الله: ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾. وفي هذا ما دل على ذلك التأويل.

وقد ينصرف أيضاً إلى معنى آخر، كأنه قال: آتيناه الكتاب إتْماماً مِنّا للإحسان على مَنْ أَحْسَن.

في سورة المائدة

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة: ٣٣].

المحاربون لله ورسوله: هم الخارجون على الإمام وعلى جماعة المسلمين، يُخيفُون السُبُل، ويَسعَون في الأرض بالفساد. **وهم ثلاثة أصناف**:

رجل قتل النفس ولم يأخذ مالاً.

ورجل قتل النفس وأخذ المال.

ورجل أخذ المال ولم يقتل النفس.

فإذا قَدَرَ الإمامُ عليهم فإنَّ بعضهم يقول: هو مخيّر في هذه العقوبات، بأيّها شاء عاقبَ كل صِنفٍ منهم.

وكان بعضهم يجعل لكل صِنفٍ منهم حدّاً لا يتجاوَزهُ إلى غيره:

فمن قتل النفس ولم يأخذ المال قُتِل؛ لأن النفس بالنفس.

ومن قتل النفس وأخذ المال: صُلِبَ إلى أن يموت، فكان الشّهْر له بالصّلْب جزاءً له بأخْذِه المال، وقتله جزاءً له بقتله للنفس.

ومن أصاب المال ولم يقتل، فإن شاء الإمامُ قطع يده اليمنى جزاءً بالسَّرِق، ورِجلَه اليسرى جزاءً بالخروج والمجاهرة بالفساد. وإن شاء نفاه من الأرض.

وقد اختلفوا في نفيه من الأرض، فقال بعضهم: هو أن يقال: مَنْ لَقِيَه فليقتله.

وقال آخر: هو أن يُطلب في كل أرض يكون بها.

وقال آخر: هو أن يُنفى من بلده.

وقال آخر: هو أن يحبس.

قال أبو محمد:

ولا أرى شيئاً من هذه التفاسير، أشبَه بالنفي في هذا الموضع من الحبس؛ لأنّه إذا حُبس ومُنع من التصرُّف والتقلُّب في البلاد، فقد نُفِيَ منها كلِّها وأُلجِئ إلى مكان واحد. وقال بعض المسجونين[1]:

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا ونحنُ من أَهْلِها ... فَلَسْنَا مِنَ الأَحْيَاءِ فِيهَا وَلا المَوْتَى

إذا جاءَنا السَّجّانُ يوماً لِحاجةٍ ... عَجِبْنا وقُلْنَا: جاء هذا من الدُّنْيا

ومَنْ جَعَلَ النفيَ لهُ أَنْ يُقالَ: مَنْ لَقِيَهُ فليقتله، أو أن يُطلب في كل أرض يكون بها ـ فإنه يذهب ـ فيما أحسب ـ إلى أنَّ هذا جزاؤه قبل أن يُقْدَرَ عليه؛ لأنّه لا يجوز أن يكون الإمام يظفر به فيدع عقوبته ثم يقول: مَن لقيه فليقتله. أو يجده فيتركه ثم يطلبه في كل أرض.

وإذا كان هذا هكذا اختلفت العقوباتُ فصار بعضُها لمن قُدِرَ عليه، وبعضُها لمن لم يُقْدَر عليه. وأشْبَهُ الأشياء أنْ تكونَ كلّها فيمن ظُفِرَ به.

وأما نفيُه من بلده إلى غيره، فليس نفي الخَارِب[2] من بلده إلى غيره عُقُوبَةً له؛ إذ كان في خِرابته وخُروجهِ غائباً عن مِصْرِه، بل هو إهمال وَتَسْليط وبَعْثٌ على التَّزيُّد في العَيْث والفساد.

في سورة الأنبياء

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

---

(١) البيتان من الطويل، وهما لصالح بن عبد القدوس في أمالي المرتضى ١/ ١٠١، وبلا نسبة في عيون الأخبار ١/ ٨١ـ ٨٢، والمحاسن والأضداد ص ٣٨.

(٢) الخارب: اللّص.

يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوباً، ويَحمِلُهم التنزيه لهم، صلوات الله عليهم، على مخالفة كتاب الله جلّ ذِكْره، واستكراهِ التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة التي لا تُخِيل عليهم، أو على من عَلِمَ منهم ـ أنّها ليست لتلك الألفاظ بِشكْل، ولا لتلك المعاني بِلفق.

كتأوُّلهم في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] أي: بَشِمَ من أكل الشجرة. وذهبوا إلى قول العرب: غَوَى الفَصِيلُ: إذا أكثر من اللبن حتى يَبْشَم. وذلك غَوَى ـ بفتح الواو ـ يَغْوي غَيّاً. وهو من البَشَم غَوِي ـ بكسر الواو ـ يغوَى غَوًى. قال الشاعر يذكر قوساً[(١)]:

مُعَطَّفَةُ الأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُها ... بِرَازِئِهَا دَرًّا وَلا مَيِّتٍ غَوَى

وأراد بالفَصِيل: السَّهم. يقول: ليس يَرْزَؤُها دَرّاً، ولا يموتُ بَشَماً، ولو وُجِد أيضاً في (عصَى) مثل هذا السَّنَن لَرَكبوه، وليس في (غَوَى) شيءٌ إلا ما في (عصَى) من مَعْنَى الذّنب؛ لأن العاصِيَ لله التَّارِكَ لأمره غاوٍ في حاله تلك، والغَاوِي عاصٍ. والغَيُّ ضدُّ الرّشد، كما أن المعصية ضد الطاعة.

وقد أكل آدمُ، ﷺ، من الشجرة التي نُهِيَ عنها باستزْلالِ إبليس وخدائعه إيَّاه بالله والقسم به إنه لمنَ الناصحين، حتى دَلاّهُ بغُرُورٍ[(٢)]. ولم يكن ذنبه عن إرْصادٍ[(٣)] وعداوة وإرْهَاصٍ[(٤)] كذُنوب أعداء الله. فنحن نقول: (عصَى وَغَوَى)، كما قال الله تعالى، ولا نقول: آدم (عَاصٍ ولا غاوٍ)؛ لأن ذلك لم يكن عن اعتقاد متقدِّم ولا نية صحيحة، كما تقول لرجل قطع ثوباً وخاطه: قد قطعه وخاطه، ولا تقل خائط ولا خيَّاط حتى يكون مُعاوِداً لذلك الفعل، معروفاً به.

وكتأولهم في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ أنها همَّتْ بالمعصية، وهمّ بالفرار منها! وقال (بعضهم): وهمّ بضربها! والله تعالى يقول: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]. أفتُرَاه أراد الفرار منها. أو الضرب لها، فلما رأى البرهان أقام

---

(١) البيت من الطويل، وهو لعامر المجنون في تاج العروس (غوي) (ولعله عامر بن المجنون الجرمي المذكور في الأغاني ٣/ ١٠٩، ١٢٢، وكان يلقب بمدرج الريح). والبيت بلا نسبة في لسان العرب (غوي)، وتهذيب اللغة ٨/ ٢١٨، ومقاييس اللغة ٤/ ٤٠٠، والمخصص ٧/ ٤١، ١٨٠، ١٥/ ١٦٢، وديوان الأدب ٤/ ٩٧.

(٢) دلاه بغرور: أي أوقعه فيما أراد من تغريره.

(٣) الإرصاد: الإعداد.

(٤) الإرهاص على الذنب: الإصرار عليه.

عندها وأمسك عن ضربها؟! هذا ما ليس به خفاء ولا يغلطُ مُتأوِّله. **ولكنها همَّتْ منه بالمعصية هَمَّ نِيَّةٍ واعتقادٍ، وهَمَّ نبي الله ﷺ، هَمّاً عارِضاً بعد طُول المُرَاوَدَة، وعند حدوث الشهوة التي أُتِيَ أكثرُ الأنبياءِ في هفواتهم منها.**

وقد رُوي في الحديث: أنه ليس من نبي إلا وقد أخطأ أو هَمَّ بخطيئة غير يحيى بن زكريا، عليهما السلام؛ لأنَّه كان حَصُوراً لا يأتي النساء ولا يُرِيدُهُنَّ(١). **فهذا يَدُلُّك على أنَّ أكثر زلاّت الأنبياء من هذه الجهة، وإن كانوا لم يَأْتوا في شيء منها فاحشةً**، بِنعَم الله عليهم وَمَنِّه؛ فإن الصغير منهم كبيرٌ، لِمَا آتاهم الله من المعرفة. واصطفاهم له من الرسالة، وأقام عليهم من الحُجْة. ولذلك قال يوسف، ﷺ: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، **يريد ما أضمره وحدَّث به نفسَه عند حدوث الشهوة.** وقد وضع الله تعالى الحَرَجَ عمَّن هَمَّ بخطيئةٍ ولم يعملها.

وقالوا في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾: إنه غاضَبَ قومه! استيحاشاً من أن يكون مع تأييد الله وعصمته وتوفيقه وتطهيره، يخرج مُغَاضِباً لربِّه. ولم يذهب مغاضباً لربِّه ولا لقومه؛ لأنَّه بُعث إليهم فدعاهم بُرْهَةً من الدّهر فلم يستجيبوا، ووعَدَهم عن الله فلم يرغبوا، وحذَّرهم بأسه فلم يرهبوا، وأعلمهم أنَّ العذاب نازلٌ عليهم لوقتٍ ذَكَرَهُ لهم، ثم إنه اعتزلهم يَنْتَظِرُ هَلَكَتَهم. فلما حضر الوقت أو قرُب فَكَّرَ القومُ واعتبروا، فتابوا إلى الله وأنابوا، وخرجوا بالمراضيع وأطفالها يَجْأَرُون ويتضرَّعون، فكشف الله تعالى عنهم العذاب، ومتَّعهم إلى حين.

فإن كان نبي الله، ﷺ، ذهب مُغَاضِباً على قومه قبل أن يؤمنوا، فإنما راغَمَ من استحق في الله أن يُرَاغَم، وهَجَرَ من وجب أن يهجر، واعتزل من علم أنْ قد حقَّت عليه كلمةُ العذاب. **فبأيّ ذنبٍ عوقِب** بالتهام الحوت، والحَبْسِ في الظُّلُمات، والغَمّ الطويل؟.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٥٤، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٢٠، بلفظ: عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: ما من أحد من ولد آدم إلا قد أخطأ أو همّ بخطيئة، ليس يحيى بن زكريا».
وروي الحديث بلفظ: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل بني آدم يلقى الله بذنب، وقد يعذبه عليه إن شاء، أو يرحمه، إلا يحيى بن زكريا، فإنه كان سيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين»، وأهوى النبي ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: «ذكره مثل هذه القذاة».
أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٣، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٣٨٣، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٦٢، والشوكاني في الفوائد المجموعة ٣٩٧، وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث ١٨٣٥، ١٩١٣، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٢٤٢٨، والطبري في تفسيره ٦/ ٣٧٧ـ٣٧٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٠٩.

وما الأمر الذي ألامَ فيه فَنَعاهُ الله عليه إذْ يقول: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: ١٤٢] والمُليمُ: الذي أَجْرَمَ جُرْماً استوجب به اللوم.

ولِمَ أخرجهُ من أولي العَزْم من الرسُل، حين يقول لنبيه، ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم: ٤٨].

وإن كان الغضب عليهم بعد أن آمنوا، فهذا أَغلظ مما أنكروا، وأفحش مما استقبحوا؛ كيف يجوز أن يغضب على قومه حين آمنوا، ولذلك انْتُخِبَ وبه بُعث؛ وإليه دعا؟!.

وما الفرق بين عدو الله ووليّه إن كان وليّه يغضب من إيمان مائة ألف أو يزيدون؟.

والقول في هذا أنَّ المُغَاضَبَة: المُفَاعَلَة من الغضب، والمُفَاعَلَة تكون من اثنين، تقول: غَاضَبْتُ فلاناً مُغَاضَبَةً وَتَغَاضَبْنَا: إذا غضب كلُّ واحد منكما على صاحبه، كما تقول: ضارَبْتُهُ مُضَارَبَةً، وقاتلتُه مُقَاتلةً، وَتَضَارَبْنَا وتقاتلنا.

وقد تكون المفاعلة من واحد، فتقول: غاضَبْت من كذا: أي غَضِبْتُ، كما تقول: سافرت وناوَلْتُ، وَعَاطيت الرَّجُلَ، وشَارَفْتُ الموضع، وجاوزْتُ، وضاعَفْتُ، وظاهرت، وعاقبت.

ومعنى المُغَاضَبة هُهنا: الأنفة؛ لأن الأنِفَ من الشيء يَغْضَبُ، فَتُسَمّى الأَنَفَةُ غضباً، والغضبُ أنفةً؛ إذا كان كل واحد بسببٍ من الآخر، تقول: غضبت لك من كذا، وأنت تُريد أنفت، قال الشاعر[1]:

غَضِبْتُ لكُمْ أَنْ تُسَامُوا اللِّفاء ... بِشَجْنَاءَ مِنْ رَحِمٍ تُوصَلُ

يروى مرة: (أنفت لكم)، ومرة: (غضبت لكم)؛ لأنّ المَعْنَيين متقاربان.

وكذلك (العَبَدُ) أصله: الغَضَبُ. ثم قد تُسمّى الأَنفةُ عَبَداً.

وقال الشاعر[2]:

وَأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بِدَارِمِ

---

(١) البيت من المتقارب، وهو لخداش بن زهير في المعاني الكبير ١/ ٥٢٨.

(٢) صدر البيت: أولئك قومي إن هجوني هجوتهم
وتقدم البيت مع تخريجه قبل قليل.

يريد: آنَفُ.

وحكى أبو عُبَيدٍ، عن أبي عَمْرو، أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]: هو من الغضب والأنفة. ففسَّرَ الحرف بالمعنيين لتقاربهما.

فكأنَّ نبيّ الله، ﷺ، لمّا أخبرهم عن الله أنّه مُنزل العذاب عليهم لأجَلٍ، ثم بَلَغهُ بعد مُضِيّ الأجَلِ أنّه لم يأتهم ما وعدهم ـ خَشِيَ أنْ يُنْسَبَ إلى الكذب ويُعَيَّر به، ويُحقَّق عليه، لا سيّما ولم تكن قرية آمنت عند حضور العذابُ فنفعَها إيمانُها غيرُ قومه، فدخلته الأَنَفَةُ والحَمِيّةُ، وكان مغيظاً بطول ما عاناه من تكذيبهم وهُزْئهم وأذاهم واستخفافهم بأمر الله، مُشْتَهِياً لأن ينزل بأسُ الله بهم. هذا إلى ضِيقِ صَدْرِه، وقلّة صبره على ما صبر على مثله أولوا العَزْم من الرُّسل.

وقد روي في الحديث أنه كان ضيّق الصدر، فلما حُمِّلَ أَعْبَاءَ النُّبُوّة تَفَسَّخَ تحتها تفسُّخَ الرُّبَع تحت الحِمْل الثَّقِيل، فمضى على وجهه مِضِيَّ الآبِقِ النّادِّ. يقول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ [الصافات: ١٣٩، ١٤٠].

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي لن نُضَيِّق عليه، وأنّا نُخلّيه ونُهمله. والعرب تقول: فُلانٌ مُقدَّر عليه في الرزق، ومُقتَّرٌ عليه، بمعنى واحد، أي مضيّق عليه. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦]. وقَدَرَ ـ بالتخفيف والتثقيل ـ قال أبو عَمْرو بن العَلاء: قَتَرَ وَقَتَّر وقَدَر وقَدَّر، بمعنى واحد، أي ضيَّق. **فعاقبه الله عن حميّته وأَنَفَتِه وإباقته، وكراهيته العفوَ عن قومه، وقَبُول إنابَتِهِمْ ـ بالحبس له، والتَّضييق عليه في بطن الحوت.**

وفي رواية أبي صالح: أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل كان أمَرَه بالمسير إلى نِينَوَى ليدعوَ أهلها بأمر شَعْيَاء النبي ﷺ، فأَنِفَ من أن يكون ذهابه إليهم بأمر أحدٍ غير الله تعالى، فخرج مُغَاضِباً للملك، فعاقبه الله بالتِقَامِ الْحُوت.

قال: فلما قذفهُ الحوت بعثه الله إلى قومه فدعاهم. وأقام بينهم حتى آمنوا.

في سورة يوسف

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ [يوسف: ١١٠].

قد تكلم المفسرون في هذه الآية بما فيه مَقْنَعٌ وغناء عن أن يُوضَّح بغير لفظهم:

فروَى عبد الرّزاق، عن مَعْمَر، عن قَتَادَة، أنه قال: ﴿اسْتَيأسَ الرُّسُلَ﴾ من قومهم ﴿وَظَنُّوا﴾ أي: علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ وكان يقرؤها بالتشديد.

وروَى عبد الرزّاق، عن معمر، عن الزُّهرِي، عن عروة، عن عائشة أنها قالت: اسْتَيْئَسَ الرُّسُل ممن كذّبهم من قومهم أن يُصَدِّقوهم، وظنّت الرّسلُ أن من قد آمن بهم من قومهم قد كذّبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك. وكانت تقرأ ﴿فَكُذِّبُوا﴾ بضم الكاف وتشديد الذال.

وروى حجّاج، عن ابن جُرَيج: عن ابن أبي مُلَيكة، عن عُروَة، عن (عائشة)، أنها قالت: لم يزل البلاءُ بالرُّسل حتى خافوا أن يكون من معهم من المؤمنين قد كذّبوهم.

وروَى حَجّاجٌ، عن ابن جُرَيجٍ، عن مُجَاهد أنه قرأها ﴿قَدْ كَذَبُوا﴾ بفتح الكاف والذال وتخفيف الذال، يريد: حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم فظنَّ قومُهم أنّ الرُّسلَ قد كذَبوا فيما بلّغوا عن الله عز وجل.

وروَى حَجّاج، عن ابن جُرَيْج، عن ابن أبي مُليكة، عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿كُذِبُوا﴾ بضم الكاف، وكسر الذالَ، وتخفيفها. وقال: كانوا بشراً، يعني الرسل، يذهب إلى أن الرسل ضَعُفُوا فظنُّوا أنهم قد أُخْلِفُوا.

وهذه مذاهب مختلفة، والألفاظ تحتملها كلّها، ولا نعلم ما أراد الله عز وجل، غير أنّ أَحْسَنها في الظاهر، وأولاها بأنبياء الله، صلوات الله عليهم، ما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

في سورة لإيلاف قريش

يذهب بعض الناس إلى أنّ هذه السورة وسورة الفيل واحدة.

وبلغني عن ابن عُيَيْنَة[1] أنه قال: كان لنا إمام بالكوفة يقرأ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١] و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ [قريش: ١] ولا يفرّق بينهما.

وَتَوَهَّم القومُ أنهما سورة واحدة؛ لأنهم رأوا قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ مردوداً إلى كلام في سورة الفيل.

---

(١) ابن عيينة: هو سفيان بن عيينة، تقدمت ترجمته.

وأكثر الناس على أنهما سورتان، على ما في مصحفنا، وإن كانتا مُتَّصِلَتَي الألفاظ، على مذهب العرب في التضمين.

والمعنى أنّ قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء أن تهجم عليها فيه، وأنْ يعرض لها أحدٌ بسوء إذا خرجت منه لتجارتها. وكانوا يقولون: قريش سُكانُ حرم الله، وأهل الله وولاة بيته. والحرمُ وادٍ جَدِيب لا زرع فيه ولا ضَرْعَ، ولا شجر ولا مَرْعى، وإنما كانت تعيش فيه بالتجارة، وكانت لهم رحلتان في كل سنة: رحلةً إلى اليمن في الشتاء، ورحلة في الصيف إلى الشام. ولولا هَاتَانِ الرِّحلتَانِ لم يُمكن به مُقام، ولولا الأَمْنُ بُجوارِهم البيت، لم يقدروا على التصرُّف.

فلمَّا قصد أصحاب الفيل إلى مكة لِيَهْدِموا الكعبة وينقُلُوا أحجارها إلى اليمن فيبنوا به هناك بيتاً ينتقِل به الأمن إليهم، ويصير العزُّ لهم، أهلكهم الله سبحانه؛ لتُقيم قريش بالحرَم، ويجاوروا البيت، فقال يَذكر نعمته: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: ١، ٥]. ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]. أي: فَعَلَ ذلك لِيُؤَلِّف قريشاً هاتين الرّحلتين اللّتين بهما تَعَيشُهُمْ ومُقَامهم بمكة تقول: أَلِفتُ موضع كذا: إذا لَزِمْتَه، وآلَفَنِيه الله، كما تقول: لزمت موضع كذا، وألزَمَنِيه الله.

وكرّر (لإيلاف) كما تقول في الكلام: أعطيتك المال لصيانة وجهك صِيانةً عن كلّ الناس، فتكرّر الكلام للتوكيد، على ما بينا في (باب التكرار).

ثم أمرهم بالشكر فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم﴾ [قريش: ٣، ٤] في هذا الموضع الجَدِيب من الجوع، وآمنهم فيه، والناس يُتَخَطَّفُونَ حَوْلَهُ من الخوف.

في سورة النحل

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ۝٤٨﴾ [النحل: ٤٨].

تَفَيُّؤُ الظِّلالِ: رجوعُها من جانب إلى جانب، فهي مرة تُجَاهَ الشَّخْصِ، ومرة وراءه، ومرة عن يمينه، ومرة عن شماله.

وأصل الفَيْءِ: الرّجوع، ومنه قيل للظل في العَشِيّ: فَيءٌ؛ لأنه فَاءَ، أي رجع من جانب إلى جانب. ومنه الفَيْءِ في الإيلاء إنما هو: الرّجوع إلى المرأة.

وأصل السجود: التَطَأْطُؤ والميل، يقال: سجد البعير وأُسجِد: إذا طُؤْطِىء لِيُرْكَب، وسجدت النّخلة: إذا مالت. قال: لبيد يصف نخلاً[١]:

غُلْبٌ سَوَاجِدُ لم يَدْخُل بها الحَصَرُ

فالغُلب: الغلاظ الأعناق. والسَّوَاجِدُ: الموائل.

ومن هذا قيل لمن وضع جبهته بالأرض: ساجد؛ لأنه تَطَامَنَ في ذلك. ثم قد يُستعارُ السجودُ فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذُّل، كما يستعار التطأطؤُ والتَّطامنُ فيوضعان موضع الخشوع والخضوع والانقياد والذل، فيقال: تَطَامَنْ للحق؛ أي أخضَع له، وتَطَأْطَأْ لها تَخطُك، أي تذلَّل لها ولا تَعَزّزْ.

ومن الأمثال المبتذلة: اسْجُدْ للقرد في زمانه[٢]. يراد: اخضع للسّفلة واللئيم في دولته، ولا يُراد معنى سجود الصلاة. قال الشاعر[٣]:

بِجَمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الأُكْمَ فِيها سُجَّداً لِلْحَوَافِرِ

يريد أن حوافر الخيل قد قلعت الأكَمَ ووطئتْها حتى خشعت وانخفضت. ومن خلق الله عز وجل: المُسَخَّرُ المقصورُ على فعل واحد، كالنّار شأنُها الإحراق، والشمس والقمر شأنُهما المسير الليلَ والنَّهار دَائِبَيْن، والفلك المسخّر للدّوران.

ومنه المُسَخَّرُ لمعنيين، ثم هو مُخَيَّرٌ بينهما، كالإنسان في الكلام والسكوت، والقيام والقعود، والحركة والسكون. والشمس والظلّ، خَلْقان مُسْخُرانِ لأنْ يُعَاقِبَ كلُّ

(١) صدر البيت: بين الصفا وخليج العين ساكنة
والبيت من البسيط، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ٦٠، وتاج العروس (سجد)، (شمذ)، وتهذيب اللغة ٣/٤٨، ١٠/٥٧٢، ١١/٣٣٦، والمخصص ١١/١١٣، ١١٤، ولسان العرب (سجد). وفيه: «الخصر» بدل: «الحصر». والبيت بلا نسبة في لسان العرب (عوج)، (شمذ).

(٢) هو جزء من رجز، وتمامه:
فإن تلقاك بقيروانه أو خفت بعض الجور من سلطانه
فاسجد لقرد السوء في زمانه
والرجز بلا نسبة في لسان العرب (قرا)، وتاج العروس (قرا).

(٣) البيت من الطويل، وهو لزيد الخيل الطائي في الكامل ١/٣٥٨، والأغاني ١٦/٥٢، ومجموعة المعاني ص ١٩٢، ومجمع البيان ١/١٤١، وتفسير الطبري ١/٢٨٩، ولعروة بن زيد في الوساطة ص ٤٣٥، وبلا نسبة في تفسير الطبري ١/٢٣٨، والأضداد لابن الأنباري ص ٢٥٧، وكتاب الصناعتين ص ٢٢١، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٢٤، والأزمنة والأمكنة ١/٣٥، ولسان العرب (سجد)، وتفسير البحر المحيط ١/٥١.

واحدٍ منهما صاحِبَه بغير فصْلٍ.

والظلُّ في أول النهار قبل طلوع الشمس يَعُمُّ الأرضَ كما تَعُمُّها ظلمةُ الليل، ثم تطلُع الشمسُ فَتَعُمُّ الأرضَ إلا ما سترته الشُّخُوصُ، فإذا ستر الشّخص شيئاً عاد الظلّ. فرجوعُ الظلِّ بعد أن كان شمساً، ودورَانهُ من جانب إلى جانب ـ هو سُجُودُه؛ لأنه مستسلم مُنقَاد مطيع بالتّسخير، وهو في ذلك يميل، والميل: سجود.

وكذلك قوله: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾ [الرحمٰن: ٦]، أي يستسلمان لله بالتّسخير.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ۝١٥﴾ [الرعد: ١٥]، أي يستسلم مَنْ في السموات مِنَ الملائكة، ومن في الأرض من المؤمنين طَوْعاً، ويستسلم مَنْ في الأرض مِنَ الكافرين كَرْهاً مِنْ خَوف السيف. ﴿وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ مُسْتَسْلِمَةٌ.

وهو مثل قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

في سورة ويل لكل همزة

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٦، ٧].

قوله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ أي تُوفي عليها وتُشرِفُ، ويقال: طلَع الجبلَ واطّلَعَ عليه: إذا علا فَوْقَه.

وخصّ الأفئدة؛ لأنّ الألمَ إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه. فأخبرنا أنهم في حال مَن يموت وهم لا يموتون.

وهو كما قال: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] يريد أنه في حال من يموت وهو لا يموت.

في سورة محمد ﷺ

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾ [محمد: ٢٠، ٢٢].

كان المسلمون إذا بطل الوحيُ يقولون: هَلاّ نزل شيءٌ، تأميلاً أن تنزل عليهم بُشرَى من الله وفتحٌ وخير وتخفيف ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ أي مُحْدثة. وسميت المحدثة: مُحْكَمَةً؛ لأنها حين تنزل تكون كذلك حتى يُنسخَ منها شيءٌ. وهي في حَرْف عبد الله ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدَثَةٌ﴾ ﴿وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ﴾، أي فُرِضَ فيها الجهاد ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي شك ونفاق ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾، يريد أنهم يشخصون نحوَكَ بأبصارهم، وينظرون نظراً شديداً بتحديق، وتحديد، كما ينظر الشاخِصُ ببصره عند الموت، من شِدَّة العداوة. والعرب تقول: رَأَيْتُهُ لَمحاً بَاصِراً أي نظراً صُلْباً بتحديق. ونحوه قوله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]، أي يسقطونك بشدة نظرهم؛ وقد تقدم ذكر هذا.

ثم قال: ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾ تَهدُّدٌ وَوَعِيدٌ. وتمّ الكلام، ثم قال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ وهذا مختصر، يريد قولهم قبل نزول الفَرْضِ: سَمْعٌ لك وطاعة.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ﴾، أي جاء الجِدّ كرهوا ذلك، فحذف الجواب على ما بينت في باب الاختصار.

ثم ابتدأ فقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا الله لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾. ثم قال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾، أي انصرفتم عن النبي، ﷺ، وما يأمركم به ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، يريد فهل تريدون إذا أنتم تركتم محمداً،ﷺ، وما يأمركم به ـ أنْ تَعُودُوا إلى مثل ما كنتم عليه من الكفر، والإفساد في الأرض وقطع الأرحام؟

في سورة قٓ

﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢١، ٢٩].

السائق هٰهنا: قرينُها من الشياطين، سُمّي سائقاً، لأنه يتبعها وإنْ لم يَحُثْها ويدفعها. وكان رسول الله، ﷺ، يسوق أصحابه، أي يكون وراءهم.

والشهيد: الملَك الشاهد عليها بما عملت.

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا﴾ في الدنيا. ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ

غِطَاءَكَ﴾ أي: أريناك ما كان مستوراً عنك في الدنيا.

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: فأنت ثاقبُ البصر لَمَّا كُشِفَ عنك الغطاء.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ يعني: الملَك.

﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ يعني: ما كتبه من عمله، حاضر عندي.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يقال: هو قول الملك، ويقال: قول الله جل ذكره.

و ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ من الشياطين: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] يعني: قرناءهم. والعرب تقول: زَوَّجتُ البعير بالبعير، إذا قَرَنت أحدَهُما بالآخر. ومنه قوله: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الدخان: ٥٤] أي: قَرَنَّاهم بهن.

ثم قال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الصافات: ٢٧، ٣١] يعني: نحن وأنتم ذائقون العذاب، وقد تقدم تفسير هذا.

قَالَ الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨] يعني: المجرمين وقُرَنَاءَهم من الشياطين ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨، ٢٩]. أي: لا يغيَّرُ عن جهته، ولا يُحَرَّف، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص؛ لأنّي أعلم كيف ضلُّوا وكيف أضللتموهم. ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

في سورة الروم

﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ١، ٥].

كانت (فارس) غلبت (الروم) على أرض الجزيرة، وهي أدْنَى أرض الروم من سلطان فارس، فَسُرَّ بذلك مشركو قريش.

وكان المسلمون يحبّون أن تَظْهَرَ الروم على أهل فارس؛ لأن الروم أهل كتاب، وأهل فارس مجوس، فساءهم أن غلبوهم على شيء من بلادهم، فأنزل الله تعالى:

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ أي: والروم من بعد أن غُلِبُوا ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ أهل فارس. وغَلَبهم يكون للغالبين والمغلوبين جميعاً، كما تقول: والشهداءُ من بعد قَتْلهم سيرزقون، أي: من بعد أن قتلوا ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ والبِضْعُ: ما فوق الثلاث ودون العشر. فغلَبت الرومُ أهلَ فارس وأخرجوهم من بلادهم يوم الحُدَيْبية.

﴿لله الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: له الغلبة لمن شاء مِن قبلُ ومِنْ بَعد ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يغلب الروم أهل فارس ﴿يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ الله﴾ أهلَ الكتاب على المجوس.

قال الشَّعْبي في سورة الفتح: أنزلت بعد الحُدَيبية، فغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبايعوه مبايعة الرِّضوان، وأُطْعِمُوا نخلَ خَيْبر، وظَهَرَتْ الرّوم على فارس، وفرح المؤمنون بتصديق كتاب الله، وظهرت الروم على المجوس

في سورة القصص

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٥، ٨٦].

مَعَادُ الرَّجُلِ: بَلدهُ؛ لأنه يَتَصَرَّفُ في البلاد، ويَضْرِبُ في الأرض ثم يعود إلى بلده. يقال: رُدَّ فلانٌ إلى مَعَادِهِ، أي رُدَّ إلى بلده. ومثله قولُهم لمنزل الرجل: مُثَابُ وَمَثَابَةٌ؛ لأنّه يتصرَّفُ في حوائجه ثم يَثُوبُ إليه.

وكان رسول الله، ﷺ، حين خرج من مكة إلى المدينة اغتم بمُفَارَقَةِ مكة؛ لأنّها مولده وموطنه ومنشؤه، وبها أهله وعشيرته، واستوحش. فأخبره الله سبحانه في طريقه أنّه سَيَرُدُّهُ إلى مكة، وبشّره بالظهور والغَلَبَة.

وفي الآية تقديم وتأخير، والمعنى: إنَّ الذي فَرَضَ عليك القرآن، أي جعلك نبيّاً يُنْزِلُ عليك القرآن وما كُنتَ ترجو قبْلَ ذلك أنْ تكون نبيّاً يُوحَى إليك الكتابُ ـ لَرَادُّكَ إلى مكة ظاهراً قاهراً. وهو معنى تفسير أبي صالح ومجاهد.

وقال الحسن: مَعَادُه: يوم القيامة ووافقه على ذلك الزُّهْري وروى عبد الرَّزَّاق، عن مَعْمر، عن قَتَادَةَ، قال: هذا مما كان ابن عباس يَكْتُمه.

في سورة الجن

قال أبو محمد:

في هذه السورة إشكال وغموضٌ: بما وقع فيها من تكرار (إنَّ) واختلافِ القرّاء في نصبها وكسرها، واشْتِبَاهِ ما فيها من قول الله تعالى وقول الجن، فاحْتَجْنا إلى تأويل السورة كلِّها.

قال تعالى لنبيه: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وكانوا استمعوا لرسول الله، ﷺ، وهو يقرأ: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]يعني أنهم قالوا ذلك لقومهم حين رجعوا إليهم. واعتبارُ هذا قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ ثم قال: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

ثم قال: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾ [الجن: ٣] يقال: جَدَّ فلانٌ في قومه: إذا عظُم عندهم.

ثم قال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾ [الجن: ٤] أي: جاهلنا يقول شططاً، أي: غُلُواً في الكذب والجور.

ثم قال: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الجن: ٥].

يقولون: كنا نتوهم أنّ أحداً لا يقول على الله باطلاً. يريدون: إنَّا كنا قبل اليوم نُصَدِّقهم ونحن نظن أن أحداً لا يكذب على الله. وانقطع هٰهنا قول الجن.

و(إن) في جميع هذا مكسورة إلا (أنَّهُ استمع).

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فإن شئت أن تنصب ﴿وَأَنَّهُ﴾ وتردها إلى قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾، وأنه أوحى إليَّ أنه كان رجال ـ نَصَبْتَ. وإن شئت أن تكسرها وتجعلها مبتدأة من الله سبحانه، فَعَلْت.

وكان الرجل في الجاهلية إذا سافر فصار إلى موضع مُقْفِرٍ مُوحِش لا أنيس به، قال: أعوذ بسيِّد هذا المكان من سفهائه. يعني سفهاء الجن ويعني بالسيد: رئيسهم.

يقول الله عز وجل: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] يريد أنهم يزدادون بهذا التعوُّذ طُغياناً وإثماً فيقولون: سُدْنا الجن والإنس.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾ [الجن: ٧] يقول: ظن الجن كما ظننتم أيها الإنس أن لا بعث يوم القيامة. أي كانوا لا يؤمنون بالبعث كما أنكم لا تؤمنون به.

وانقطع هٰهنا قول الله تعالى.

وقال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾﴾ [الجن: ٨].

و(إنَّا) مكسورة نَسَقٌ على ما تقدم من قولهم. يريدون: حُرِسَتْ بالنجوم من استماعنا وكنا قبل ذلك نقعد منها مقاعد للسمع.

وروَى عبد الرَّزَّاق عن معمَر أنه قال: قلت للزهري: أكان يُرمى بالنجوم في الجاهلية؟ فقال: نعم.

قلت: أفرأيت قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ [الجن: ٩].

فقال: غُلِّظَتْ وشدِّدَ أَمْرُها حين بعث النبي، ﷺ.

وروى عبد الرزاق، عن معْمَر، عن الزُّهْري، عن علي بن حُسَين، عن ابن عباس أنه قال: بينا النبي، ﷺ، جالس في نفر من الأنصار إذ رُمِيَ بنجم فاسْتَنَارَ، فقال: ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟ فقالوا: كنا نقول: يموت عظيم أو يولد عظيم[1]. في حديث فيه طول اختصرناه وذكرنا هذا منه لِنَدُلَّ على أن الرجم قد كان قبل مَبْعَثِهِ ولكنه لم يكن مثله الآن في شدة الحراسة قبل مبعثه، وكانت تسترق في بعض الأحوال، فلما بُعِثَ مُنِعَتْ من ذلك أصلاً.

وعلى هذا وجدنا الشعراء القدماء:

قال بِشرُ بن أبي خَازِم الأَسَدي وهو جاهلي[2]:

(١) لفظ الحديث بتمامه: عن عبد الله بن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنهم بينا هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رُمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هذا؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: وُلد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم. فقال رسول الله ﷺ: «فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمر سبّح حملة العرش، ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتختطف الجن السمع، فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون». أخرجه مسلم في السلام حديث ١٢٤، والترمذي في تفسير سورة ٣٤، باب ٣، وأحمد في المسند ١/٢١٨.

(٢) البيت من الكامل، وهو لبشر بن أبي حازم في ديوانه ص ٣٧، والمعاني الكبير ٢/٧٣٩، وكتاب =

وَالعِيْرُ يُرْهِقُها الغُبَارُ وَجَحْشُهَا   يَنْقَضُّ خَلْفَهما انْقِضَاضَ الكَوْكَبِ

وقال أَوْس بن حَجَرٍ، وهو جاهلي[١]:

وَانْـقَـضَّ كَـالـدُّرِّيِّ يَـتْـبَـعُـه   نَـقْـعٌ يَـثُـورُ تَـخَـالُـهُ طُـنُـبـا

وقال عَوْف بن الخَرِع، وهو جاهلي[٢]:

يَرُدُّ عَلَيْنَا العَيْرَ مِنْ دُونِ أَنْفِهِ   أَوِ الثَّوْرَ كَالدُّرِّيِّ يتبعه الدَّمُ

وفي أيدي الناس كتب من كتب الأعاجم وسيرهم: تنبىء عن انقضاض النجوم في كلّ عصر وكلّ زمان.

ثم قالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حين اشتدت حراسة السماء من استراق السمع ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠] أي خيراً.

ثم قالت الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن، ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: مِنّا بَرَرَةٌ أتقياء، ومنا دون البررة، وهم مسلمون و ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١] أي: أصنافاً، وكلُّ فرقة قِدّة، وهي مثل قطعة في التقدير وفي المعنى؛ فكأنّهم قالوا: نحن أصناف وقطعٌ.

ثم قالت الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ [الجن: ١٤] أي: الكافرون، الآية. وانقطع كلام الجن.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦] أي: لو آمنوا جميعاً لَوَسّعْنا عليهم في الدنيا. وضَرَبَ الماء الغَدَقَ، وهو الكثير، لذلك مثلاً؛ لأنّ الخير والرّزق كلّه بالمطر يكون، فأقيم مُقامه إذ كان سَبَبَه، على ما أعلمتك في المجاز.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٧]. أي لنختبرهم فنعلم كيف شكرهم.

وفيه قول آخر، يقول: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [الجن: ١٦] جميعاً على طريقة الكفر: لَوَسّعنا عليهم وجعلنا ذلك فتنة لهم و(أن) منصوبةٌ مَنْسُوقَةٌ على ما تقدّم من قوله سبحانه.

= الحيوان ٦/ ٢٧٣، ٢٧٩.

(١) البيت من الكامل، وهو لأوس بن حجر في ديوانه ص ٣، ولسان العرب (درأ)، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٥٨، وتاج العروس (درأ)، والمعاني الكبير ٢/ ٧٣٨، وكتاب الحيوان ٦/ ٢٧٤.

(٢) البيت من الطويل، وهو لعوف بن الخرع في كتاب الحيوان ٦/ ٢٧٥، والمعاني الكبير ٢/ ٧٣٩.

ثم قال: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧] أي يدخله عذاباً شاقاً.

يقال: سلكْتُ الخيط في الحبّة وأسْلكْتُه: إذا أدخلته، ومنه سُمّي الخَيْطُ سِلْكاً، تقول: سَلَكْتُه سَلْكاً، فتفتح أوّل المصدر. وتقول للخيط: هذا السِّلْكُ؛ فتكسر أوّل الاسم، مثل القَطْف والقِطْف.

ومن الصَّعَدِ قيل: تَصَعَّدَني هذا الأمر، أي شَقّ علي. والصَّعُودُ: العَقَبَةُ الشّاقة. ومنه قوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾ [المدثر: ١٧] ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] بنصب (أنَّ) نَسَقٌ على ما تقدَّم من قوله: يريد أنّ السجودَ لله، ولا يكون لغيره؛ جمع مَسْجَدٍ، كما تقول: ضربتُ في البلاد مَضْرَباً بعيداً، وهذا مَضْرَبٌ بعيد.

ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [الجن: ١٩] بنصب (أنّ) نَسَقٌ على ما تقدم من قوله سبحانه. يريد لما قام النبي، عليه السلام ﴿يَدْعُوهُ﴾ أي يدعو الله ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ يعني الجنّ كادوا يَلْبَدُونَ به ويَتَرَاكَبُونَ، رَغْبَةً فِيما سمعوا منه، وشَهْوَةً له.

ثم قال سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢١، ٢٧] أي ارتضاه للنُّبُوّة والرِّسالة؛ فإنّه يُطْلِعُه على ما يشاء من غيبه.

ثم قال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧] أي يجعل بين يديه وخلفه رصداً من الملائكة، يحوطون الوحيَ من أن تَسْتَرِقَهُ الشياطين فَتُلْقِيَهُ إلى الكَهَنَةِ، حتى تخبَر به الكهنةُ إخْبَارَ الأنبياء؛ فلا يكون بينهم وبين الأنبياء فَرْقٌ، ولا يكون للأنبياء دلالة.

ثم قال: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨] أي ليبلِّغوا رسالات ربهم.

و(العلم) هٰهنا مثله في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] يريد: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولـمّا تُجاهدوا

وتصبروا، فيعلم الله ذلك ظاهراً موجوداً يَجبُ به ثوابكم، على ما بينا في غير هذا الموضع.

في سورة البقرة

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. هذا في يوم القيامة. يريد أنه إذا بُعث النَّاسُ مِنْ قبورهم خرجوا مُسْرِعِينَ، يقول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المعارج: ٤٣] أي يسرعون؛ إلاّ أكَلَةَ الرِّبا، فإنهم يقومون ويسقطون، كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان ويسقط؛ لأنهم أكَلُوا الرِّبا في الدنيا فأرْبَاه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثْقَلَهُم، فهم ينهضون ويسقطون، ويريدون الإسراع فلا يقدرون.

في سورة الأحزاب

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

إن الله، جلّ ذكره، لما اسْتَخْلَفَ آدَمَ على ذُرِّيته، وسلّطه على جميع ما في الأرض من الأنعام والطير والوحش - عهد إليه عهداً أمره فيه ونهاه، وحرّم عليه وأحلّ له، فقبِلَه، ولم يزل عاملاً به إلى أن حضرَتْه الوفاةُ، فما حضرته، ﷺ، سألَ الله أن يُعْلِمَهُ من يَسْتَخْلِفُ بعدَه، ويقلّده من الأمانة ما قلّده. فأمره أن يعرض ذلك على السموات بالشَّرْطِ الذي أَخَذَ عليه من الثواب إنْ أطاع، ومن العقاب إن عصى. فَأَبَيْنَ أَنْ يَقْبَلْنَه شَفَقاً من عقاب الله.

ثم أَمَرَه أن يعرض ذلك على الأرض والجبال؛ فكلُّها أباه.

ثم أمره أن يعرضه على ولده، فعرضه عليه فقبله بالشَّرْط، ولم يَتَهَيَّب منه ما تَهَيَّبَتْه السماء والأرض والجبال.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾ لنفسه ﴿جَهُولاً﴾ بعاقبةِ ما تَقلَّدَ لربِّه.

ثم قال ﴿لِيُعَذِّبَ الله المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ﴾ أي عرضنا ذلك عليه ليتقلّده، فإذا تقلّدَه ظهر نفاقُ المنافق وشِرْكُ المشرك، فعذّبه الله به؛ وظهر إيمان المؤمن فتاب الله عليه. ﴿وَكَانَ الله غَفُوراً﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيماً﴾.

هذا قولٌ على مذهب بعض المفسرين.

وفيه قول آخر:

قالوا: الأمانة: الفرائض؛ عرضت على السموات والأرض والجبال بما فيها من الثواب والعقاب، فأَبَيْنَ أن يحملنها، وعُرِضت على الإنسان بما فيها من الثواب والعقاب، فحملها.

والمعنيان في التفسيرين مُتقاربان.

في سورة الفرقان

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝٧٧﴾ [الفرقان: ٧٧].

في هذه الآية مضمر وله أشْكَلَت: أي ما يَعْبَأ بعذابكم رَبِّي لولا ما تدعونه من دونه من الشريك والولد. ويُوضِّح ذلك قوله: **﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾** أي يكون العذاب لمن كذّب ودعا من دُونه إلٰهاً ـ لازماً.

ومثله من المضمر الشاعر[1]:

مَـنْ شَـاءَ دَلَّـى الـنَّـفْـسَ فِـي هُـوَّةٍ ضَـنْـكٍ؛ وَلَـكِـنْ مَـنْ لَـهُ بِـالـمَـضِـيـقْ

أراد: ولكن من له بالخروج من المضيق؟.

وقال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، أي من كان يريد علم العِزَّة: لمن هي؟ فإنها لله تعالى.

(١) البيت من السريع، وهو بلا نسبة في لسان العرب (ضيق)، (دلا).

باب اللّفظ الواحد للمعاني المختلفة

١ ـ القضاء

أصل قَضَى: خَتَمَ، كقول الله عز وجل: ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الزمر: ٤٢] أي خَتَمه عليها.

ثم يصير الخَتْمُ بمعان، كقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي أمر؛ لأنه لما أمر حتم بالأمر.

وكقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤]، أي أعلمناهم؛ لأنه لمّا خَبَّرهم أنهم سيفسدون في الأرض، حتم بوقوع الخبر.

وقوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]، أي صنعهن.

وقوله: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، أي فاصنع ما أنت صانع.

ومثله قوله: ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ [يونس: ٧١]، أي اعملوا ما أنتم عاملون ولا تُنظِرون.

قال أبو ذُؤَيب[١]:

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا   دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ

أي صنعهما (داود) و (تُبّع).

وقال الآخر في عمر بن الخطاب، رضي الله عنه[٢]:

---

(١) البيت من الكامل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٦٠، وشرح أشعار الهذليين ١/ ٣٩، وشرح المفصل ٣/ ٥٩، ولسان العرب (تبع)، (صنع)، (قضى)، والمعاني الكبير ص ١٠٣٩، وتاج العروس (صنع)، (قضى)، وبلا نسبة في شرح المفصل ٣/ ٥٨.

(٢) البيت من الطويل، وهو للشماخ في ديوانه ص ٤٤٩، ولسان العرب (بوج)، (كمم)، وتهذيب اللغة ١١/ ٢٢١، وجمهرة اللغة ص ١٨١٧، وتاج العروس (بوج)، (كمم)، وحماسة البحتري ٣/ ١٠٧، وزهر الآداب ٤/ ١١٥، وللمزرد بن ضرار في البيان والتبيين ٣/ ٣٦٤، والأغاني ٨/ ١٠٢، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢/ ٣٧٠، وجمهرة اللغة ص ٢٧٢، وتفسير الطبري ١/ ٤٠٤.

قَضَيْتَ أُموراً ثمّ غادرْتَ بَعْدَها بَوائِجَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ

أي عملت أعمالاً؛ لأنّ كلّ من عمل عملاً وفرغ منه فقد ختمه وقطعه. ومنه قيل للحاكم: قاض؛ لأنه يقطع على الناس الأمور وَيَحْتِم. وقيل: قُضِيَ قَضَاؤُكَ. أي فُرِغ من أمرك. وقالوا للميت: قد قَضَى. أي فرغ.

وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد.

٢ ـ الهدى

أصل هدى أرشد، كقوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

وقوله: ﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: ٢٢]، أي أرشدنا.

ثم يصير الإرشاد بمعان، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فصلت: ١٧]، أي بيّنا لهم.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ [السجدة: ٢٦]، أي أَوَ لَمْ يُبيِّن لهم.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]؛ أي أَلَمْ يُبيِّنَ لهم.

فالإرشاد في جميع هذه بالبيان.

ومنها إرشادٌ بالدعاء، كقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، أي نبيٌّ يدعوهم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، أي يدعون؛ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي تدعو.

ومنها إرشاد بالإلهام، كقوله: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي صورته من الإناث، ثم هدى أي ألهمه إتْيانَ الأنثى، ويقال: طلبَ المرعى وتوقِّي المهالك.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى: ٣]؛ أي هدى الذكر بالإلهام لإتيان الأنثى.

ومنها إرشاد بالإمضاء؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]؛ أي لا يُمْضِيه ولا ينفذه، ويقال: لا يصلحه.

وبعض هذا قريب من بعض.

٣ ـ الأمة

أصل الأمة: الصِّنْفُ من الناس والجماعة، كقوله عز وجل: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، أي صنفاً واحداً في الضلال ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وكقوله عز وجل: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [الأنعام: ٣٨]، أي: أصناف، وكل صنف من الدواب والطير مثل بني آدم في المعرفة بالله، وطلب الغذاء. وتَوقِّي المهالك، والتماس الذَّرْءِ، مع أشباه لهذا كثيرة.

ثم تصير الأُمَّة: الحِينَ، كقوله عز وجل: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

وكقوله: ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعۡدُودَةٍ﴾ [هود: ٨]. أي: سنين معدودة. كأنّ الأمّة من الناس القَرْنُ يَنْقرِضُونَ في حين، فَتُقَامُ (الأُمَّةُ) مُقام (الحين).

ثم تصير الأُمَّةُ: الإمام والرَّباني، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]. أي: إماماً يقتدي به الناس؛ لأنه ومن اتبعه أمّة، فسُمِّي أُمّةً لأنه سبب الاجتماع.

وقد يجوز أن يكون سُمِّي أُمَّةً: لأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثلُه في أمةٍ. ومن هذا يقال: فلان أُمَّةٌ وَحْدَه، أي: هو يقوم مقام أمة.

وقد تكون الأمةُ: جماعةَ العلماء، كقوله: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. أي: يعلمون.

والأُمّة: الدِّين، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢، ٢٣] أي: على دين. قال النابغة(١):

حَلَفْتُ فَلَم أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً ... وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وهو طائِعُ؟

أي: ذو دين.

والأصل أنه يقال للقوم يجتمعون على دين واحد: أمة، فتقامُ الأمةُ مُقام الدين، ولهذا قيل للمسلمين: أمّة محمد، ﷺ؛ لأنهم على أمر واحد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. مجتمعة على دين وشريعة.

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [النحل: ٩٣]، أي: مجتمعة على الإسلام.

٤ ـ العهد

الأمان: عهد، قال الله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٤].

---

(١) البيت من الطويل، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٣٥، ولسان العرب (أمم)، ومقاييس اللغة ١/ ٢٨، وكتاب العين ٨/ ٤٢٨، وتهذيب اللغة ١٥/ ٦٣٥، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٤٧، ومجمل اللغة ١/ ١٥٢.

واليمين: عهد، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١].

والوصية: عهد، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [يس: ٦٠].

والحِفَاظُ: عهد، قال ﷺ: «إنَّ حُسْنَ العهدِ مِنَ الإيمانِ»[١].

والزَّمان: عهد، يقال: كان ذلك بعهد فلان.

والعهد: الميثاق. ومنه قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] أي: لا ينال ما وعدتُك من الإمامة، الظالمين من ذريتك. والوَعْد من الله: ميثاق.

٥ ـ الإلّ

الإلّ هو: الله تعالى. قال مجاهد في قوله سبحانه: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠] ويعني الله عز وجل. ومنه (جَبْرَ إلّ) في قراءة من قرأه بالتشديد.

ويقال للرحم: إلّ كما اشتق لها الرَّحِمُ من الرَّحمن. وقال حَسَّان[٢]:

لَعَمْرُكَ إنّ إلَّكَ فِي قُرَيْشٍ ... كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ

أي: رَحِمُك فيهم، وقُرْبَاكَ منهم.

ومن ذهب بالإلّ في قوله تعالى: ﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إلاً﴾ إلى الرَّحِم، فهو وجه حسن. كما قال الشاعر[٣]:

دَعَوا رَحِماً فِينا وَلا يَرْقُبُونَها ... وَصَدَّتْ بَأيْدِيهَا النِّسَاءُ عَنِ الدَّمِ

يريد: أن المشركين لم يكونوا يَرْقُبُون في قراباتهم من المسلمين رَحِماً، وقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٥، وابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٤٣٦، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٣٥، ٢٣٦، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ١٨٤، ومناهل الصفا ٢١، والعجلوني في كشف الخفا ١/ ٢٦٣، والشهاب في مسنده ٩٧١، ٩٧٢.

(٢) البيت من الوافر، وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص ١٠٥، ولسان العرب (ألل)، وديوان الأدب ٤/ ١٥٥، وكتاب الجيم ٣/ ٢٢٦، وتاج العروس (ألل)، وأمالي القالي ١/ ٤١، وكتاب الحيوان ٤/ ٣٦٠، وتفسير الطبري ١٠/ ٦٠، والمعاني الكبير ١/ ٣٣٦، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٢١، وكتاب العين ٨/ ٣٦١، والمخصص ٣/ ١٥١، والأضداد لابن الأنباري ص ٣٤٦.

(٣) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في المعاني الكبير ٢/ ٩٤٩.

قال ابن عباس: يريد لا أسألكم على ما أتيتكم به من الهدى أجراً إلا أن تَوَدُّوني في القرابة منكم. وكانت لرسول الله، ﷺ، ولاداتٌ كثيرةٌ في بُطُون قريش. وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن عباس: قالت قريش: يسألنا أن نَوَدّه في القرابة وهو يشتم آلهتنا ويعيبها؟! فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧].

ويقال للعهد: (إلّ)؛ لأنّه بالله يكون.

٦ ـ القنوت

القنوت: القيام.

وسئل ﷺ: أيّ الصلاة أفضل؟ فقال: «طول القنوت»[(١)] أي طول القيام.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩]، أي أَمَّن هو مُصِلٌ، **فسميت الصلاة قنوتاً**: لأنها بالقيام تكون.

وَرُوِيَ عنه، عليه السلام، أنه قال: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القَانِت الصائم»[(٢)]، يعني المصلّي الصّائم.

ثم قيل للدعاء: قنوت؛ لأنّه إنما يدعُو به قائماً في الصلاة قبل الركوع أو بعده.

وقيل؛ **الإمساكُ عن الكلام في الصلاة قُنُوتٌ**؛ لأن الإمساك عن الكلام يكون في

(١) أخرجه مسلم في المسافرين حديث ١٦٥، والترمذي حديث ٣٨٧، وابن ماجه حديث ١٤٢١، والنسائي ٥/ ٥٨، وأحمد في المسند ٣/ ٣٠٢، ٣١٤، ٣٩١، ٤١٢، ٤/ ٣٨٥، ٣٨٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٨، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ٤٨، والبغوي في شرح السنة ١/ ٢٤٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥٤، ٦٠، ٦١، ٣/ ١١٦، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٦٦، والهيثمي في موارد الظمآن ٩٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٤٠٩، وعبد الرزاق في مصنفه ٤٨٤٥، وابن عبد البر في التمهيد ١/ ١٣٢، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١/ ٢٩٩، ٤٧٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٤٠٠، ١٩٦٥٨، ٤٤١٥٨، والقرطبي في تفسيره ١٥/ ٢٣٩، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٤٢٤، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٣٥٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣٥٧، وتاريخ أصبهان ١/ ٩١.

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة حديث ١١٠، وأحمد في المسند ٤/ ٢٧٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٧٥، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٤٥، ٢٤٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٠٦٥١، ١٠٦٥٢، والربيع بن حبيب في مسنده ٢/ ١٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٢٨٧، ٣١٩. والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ١٥٨.

القيام، لا يجوز لأحد أن يأتي فيه بشيء غير القرآن.

قال زَيْد بن أَرْقَم: كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فنُهينا عن الكلام وأُمِرْنا بالسكوت[١].

ويقال: إن قانتين في هذا الوضع: مطيعين.

والقنوت: الإقرار بالعُبُودِيّة، كقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الروم: ٢٦]، أي مُقِرُّون بعبوديته.

والقنوت: الطاعة، كقوله: ﴿وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، أي: المطيعين والمطيعات.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، أي مطيعاً لله.

ولا أرى أصل هذا الحرف إلا الطاعة؛ لأنّ جميع هذه الخلالَ: من الصلاة، والقيام فيها، والدعاء وغير ذلك ـ يكون عنها.

٧ ـ الدِّين

الدِّين: الجزاء. ومنه قوله تعالى: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤] أي يوم الجزاءِ والقصاص. ومنه يقال: دِنْتُهُ بما صَنَعَ. أي جزيته بما صنع. وكما تَدِينُ تُدَانُ.

والدِّين: المُلْكُ والسلطان. ومنه قول الشاعر[٢]:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بني أَسَدٍ ... في دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ دُونَنَا فَدَكُ

أي في سلطانه. ويقال مِنْ هذا: دِنْتُ القَوْمَ أَدِينُهم، أي قهرتهم وأذللتهم، فدانوا أي ذلّوا وخضعوا.

والدِّين لله إنما هو من هذا. ومنه قول القُطَامِيّ[٣]:

(١) أخرجه البخاري في العمل في الصلاة باب ٢، وتفسير سورة ٢، باب ٤٣، ومسلم في المساجد حديث ٣٥، والترمذي في الصلاة باب ١٨٠، وتفسير سورة ٢، باب ٣٣.

(٢) البيت من البسيط، وهو لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص ١٨٣، ولسان العرب (فدك)، (خوا)، وجمهرة الأمثال ١/١١٦، وتاج العروس (فدك)، (خوو)، والكامل ١/١٩٢، وأمالي القالي ٢/٢٩٥، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٦٨٨.

(٣) صدر البيت:

رمت المقاتل من فؤادك بعدما

والبيت من الكامل، وهو في ديوان القطامي ص ١٥.

كـانـت نـوارُ تـديـنـك الأديـانـا

أي تُذلّك. ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩]، أي لا يطيعونه.

والدِّين: الحساب؛ من قوله تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦]. ومنه قوله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، أي حسابهم.

٨ ـ المولى

المَوْلى: المُعتِق. وَالمَوْلى: المُعْتَق. وَالمَوْلَى: عَصَبَةُ الرَّجُل. ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم: ٥]. أراد: القرابات.

وقال رسول الله، ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلاهَا فَنكَاحُهَا بَاطِل**»[١]، أي: بغير أمر وليها.

وقد يقال لمن تولاّه الرجلُ وإن لم يكن قرابةً: مَوْلَى. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٤] أي: وليُّ المؤمنين، وأن الكافرين لا ولي لهم.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ [الدخان: ٤١]. أي: وليٌّ عن وَلِيِّه شيئاً، إمّا بالقرابة أو بالتَّوَلّي.

والحليف أيضاً: المَوْلَى. قال النابغة الجَعْدي[٢]:

---

(١) أخرجه الترمذي في النكاح باب ١٥، وأبو داود في النكاح باب ١٦، ١٩، وابن ماجه في النكاح باب ١٥، والدارمي في النكاح باب ١١، وأحمد في المسند ٦/٤٧، ٦٦، ١٦٦، والألباني في إرواء الغليل ٦/٢٤٣، وابن حجر في فتح الباري ٩/١٩١، وسعيد بن منصور في سننه ٥٢٨، ٥٢٩، والحميدي في مسنده ٢٢٨، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/٧، والشافعي في مسنده ٢٢٠، ٢٧٥، والسهمي في تاريخ جرجان ٣١٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣/١٦٠، والحاكم في المستدرك ٢/١٦٨.

(٢) يروى عجز البيت بلفظ:

ولـكـن قـطـيـنـاً يـحـلـبـون الأتـاويـا

والبيت من الطويل، وهو للنابغة الجعدي في ديوانه ص ١٧٨، ولسان العرب (أتي)، (ولي)، وتاج العروس (أتي)، (ولي)، وبلا نسبة في لسان العرب (حلب)، وديوان الأدب ٣/٢٢٤، وتاج العروس (حلب).

مَوَالِيَ حِلْفٍ لا مَوَالِي قَرَابَةٍ ... وَلَكِنْ قَطِيناً يَسْأَلُونَ الأَتَاوِيَا

وقال الله عز وجل: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦] يريد: إذا دعاهم إلى أمر، ودَعَتْهم أنفسهم إلى خلاف ذلك الأمر ـ كانت طاعته أولى بهم من طاعتهم لأنفسهم.

٩ ـ الضلال

الضَّلال: الحيرة والعُدول عن الحق والطريق، يقال: ضَلّ عن الحق، كما يقال: ضل عن الطريق. ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: ٧].

والضلال: النسيان. والنّاسي للشيء عَادِلٌ عنه وعن ذكره، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ [الشعراء: ٢٠]. أي: النّاسيين. وقال: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] أي: إن نسيَتْ واحدة ذكّرت الأخرى.

والضلال: الهَلَكة والبطلان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ١٠]. أي: بَطَلْنَا وَلَحِقْنا بالتراب: ويقال: أَضَلَّ القومُ ميّتهم، أي: قَبَرُوه. قال النابغة[1]:

وَآبَ مُضِلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ

أي: قابِرُوه.

١٠ ـ الإمام

الإمام: أصله ما ائتَمَمْتَ به. قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ [البقرة: ١٢٤]. أي: يُؤْتَمُّ بك، ويُقْتَدَى بسنّتك.

ثم يجعل الكتاب إماماً يؤتم بما أحصاه. قال الله عز وجل: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾ [الإسراء: ٧١] أي: بكتابهم الذي جُمِعَتْ فيه أعمالهم في الدنيا.

وقال: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ١٢] يعني: كتاباً، أو يعني: اللّوح المَحْفُوظ.

---

(١) عجز البيت: وغودر بالجولان حَزْمٌ ونائلُ
والبيت من الطويل، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٢١، ولسان العرب (ضلل)، (جلا)، وتاج العروس (ضلل)، (جلا)، وتهذيب اللغة ١١/ ١٨٧، ٤٦٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٤٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ١٠٧٧، ومقاييس اللغة ١/ ٤٩٦، ٣/ ٣٥٦، ومجمل اللغة ٣/ ٢٧٧.

وقد يُجعل الطريق إماماً؛ لأنَّ المسافر يأتم به ويستدل. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] أي: بطريق واضح.

١١ ـ الصلاة

الصلاة: الدعاء. قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. أي: ادع لهم؛ إنَّ ذلك مما يُسَكِّنهم وتطمئن إليه قلوبهم.

وقال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [التوبة: ٩٩] يعني: دعاءه.

وقال الأعشى يذكر الخمر والخمَّار[(١)]:

وقـابَـلـهـا الـرِّيـحُ فِـي دَنِّـهَـا ... وَصَـلَّـى عـلـى دَنِّـهَـا وَارتـسـمْ

أي: دعا لها بالسلامة من الفساد والتغيّر.

والصَّلاةُ من الله: الرحمة والمغفرة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧] أي: مغفرة.

وقال النبي، ﷺ: **«اللهم صلّ على آل أبي أوفى»**[(٢)] يريد: ارحمهم واغفر لهم.

---

(١) البيت من المتقارب، وهو للأعشى في ديوانه ص ٨٥، ولسان العرب (رسم)، (صلا)، والمخصص ١٣/ ٨٥، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٠٠، وتهذيب اللغة ٩/ ١٦٦، ١٢/ ٢٣٧، وجمهرة اللغة ص ١١٥، ٧٢٠، وتاج العروس (رسم)، وبلا نسبة في لسان العرب (دنن)، وتاج العروس (دنن).

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة ٢/ ١٥٩، ومسلم في الزكاة حديث ١٧٦، والنسائي في الزكاة باب ٧، وابن ماجه حديث ١٧٩٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٣، ٣٥٥ـ ٣٨١، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٥٢، ٤/ ١٥٧، ٧/ ٥، والبغوي في شرح السنة ٣/ ١٤٥، وابن كثير في تفسيره ٤/ ١٤٦، والقرطبي في تفسيره ١/ ٣٨٢، ١٥/ ١١٨، والبخاري في التاريخ الكبير ٥/ ٢٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار ٤/ ١٦٢، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٢٧٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٩، ١٤/ ٢٣٥، والساعاتي في منحة المعبود ٨٣٣، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٤٨٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٩٦، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٨٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ١٥٦، والقاضي عياض في الشفاء ٢/ ١٨٩، وابن حجر في فتح الباري ٧/ ٤٤٨، ٥٣٤، ١١/ ١٣٦، ١٦٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ١٠، وابن حجر في الكافي والشافي في تخريج أحاديث الكشاف ٧٩، ١٣٧، وابن أبي شيبة في مصنفه ٢/ ٥١٩، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٢٢.

والصلاة: الدين. قال تعالى حكاية عن قوم شعيب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧]؛ ويقال: قراءتك.

١٢ ـ الكتاب

أصل الكتاب: ما كتبَهُ الله في اللّوح مما هو كائن.

ثم تتفرع منه معانٍ ترجع إلى هذا الأصل. كقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١] أي: **قضى الله ذلك وفرغ منه.**

وقوله: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] أي: **ما قضى الله لنا.**

وقوله: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: قُضِيَ، لأنَّ هذا قد فُرِغَ منه حين كُتِبَ.

ويكونُ كُتِبَ بمعنى فُرِض، كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي: فرض. و ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] و ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾ [النساء: ٧٧] أي: فَرَضْت. ويكون كَتَبَ بمعنى جَعَلَ، كقوله: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]. وقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وتكون كَتبَ بمعنى أَمَر، كقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، أي: أمركم أن تدخلوها.

ويقال: كتب هُهنا أيضاً: جَعَلَ. يريد ادخلوا الأرض التي كتبها الله لولد إبراهيم، عليه السلام، أي: جعلها لهم.

١٣ ـ السبب والحبل

السّبب أصله: الحبل.

ثم قيل لكل شيء وصلْتَ به إلى موضع، أو حاجة تريدها: سَبَبٌ.

تقول: فلان سَبَبِي إليك، أي وصلني إليك. و: ما بيني وبينك سبب، أي آصِرَة رَحِم، أو عاطفة مَوَدَّةٍ. ومنه قيل للطريق: سَبَبٌ؛ لأنّكَ بسلوكه تصل إلى الموضع الذي تريده، قال عز وجل: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٥﴾ [الكهف: ٨٥] أي: طريقاً.

وأسباب السماء: أبوابها؛ لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها. قال الله عز وجل ـ حكاية عن فرعون: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر:٣٦، ٣٧].
وقال زهير[١]:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

وكذلك الحَبْلُ، قال الله عز وجل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣] أي: بعهد الله أو بكتابه، يريد: تمسكوا به، لأنه وُصْلَةٌ لكم إليه وإلى جنَّتِهِ.

ويقال للأمان أيضاً: حبل؛ لأنّ الخائف مستتر مَقْمُوعٌ، والآمن مُنْبَسِطٌ بالأمان مُتَصَرِّف، فهو له حبل إلى كل موضع يريده.

قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] أي: بأمان.

وقال الأعشى[٢]:

وَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ ... أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا

وأما قول امرىء القيس[٣]:

إِنِّي بِحَبْلِكِ وَاصِلٌ حَبْلِي ... وَبِرِيشِ نَبْلِكِ رَائِشٌ نَبْلِي

فإنه يريد: إنّي وَاصِلٌ بيني وبينك.

وأصل هذا يكون في البعيرين: يكونان مُفْتَرِقَين وعلى كل واحد منهما حَبْلٌ، فَيُقْرَنانِ بأَنْ يوصَل حبل هذا بحبل هذا.

وقال أبو زُبَيْد يذكر رجلاً سرى ليلةً كلها[٤]:

---

(١) البيت من الطويل، وهو في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٠، والخصائص ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٦٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٨٦، ولسان العرب (سبب).

(٢) البيت من الكامل، وهو في ديوان الأعشى ص ٧٩، ولسان العرب (حبل)، وتهذيب اللغة ٥/ ٧٨، ومقاييس اللغة ٢/ ١٣١، وتاج العروس (حبل)، ومجمل اللغة ٢/ ١٣٣، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٨٣.

(٣) البيت من الكامل، وهو في ديوان امرىء القيس ص ٢٣٩، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٤٠٦، ولسان العرب (حبل)، والبيت للنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص ٤٠٥، وبلا نسبة في رصف المباني ص ٤٤٧، والكتاب ١/ ١٦٤.

(٤) البيت من الخفيف، وهو لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص ٥٥، ولسان العرب (جعل)، وتاج العروس (جعل)، والمعاني الكبير ص ٩٣٢، وبلا نسبة في ديوان الأدب ٢/ ٤١٥.

نَاطَ أَمْرَ الضِّعافِ فاجْتَعَلَ اللَّيْـ ـلَ كَحَبْلِ العَادِيَةِ المَمْدُودِ.

يريد: أن مسيره اتصل الليل كلَّهُ، فكان كحبل ممدود.

١٤ ـ الظلم

أصل الظلم في كلام العرب: وضعُ الشيء في غير موضعه.

ويقال: (من أشبه أباه فما ظلم)[1]، أي: فما وضَعَ الشَّبَه غيرَ موضعه.

وظُلْمُ السِّقاءِ: هو أن يُشْرَبَ قبل إدْرَاكِهِ.

وظُلم الجَزُور: أن يُعْتَبَط، أي ينحر، من غير عِلَّةٍ.

وأرض مَظْلومة: أي حُفِرت وليست موضع حَفْرٍ.

ويقال: الزم الطريقَ ولا تظلمه، أي: لا تعدل عنه.

ثم قد يصير الظلم بمعنى الشِّرْك؛ لأنَّ من جعل لله شريكاً: فقد وضع الرُّبوبيَّة غيرَ موضعها. يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، وقال: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، أي: بشرك.

ويكون الظلم: النقصان؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] أي ما نقصونا.

وقال: ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣] أي لم تَنْقُص منه شيئاً. ومنه يقال: ظلمتك حقَّك، أي: نقصتك. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٠] و ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٥٤].

ويكون الظلم: الجحْدَ، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] أي: جَحَدُوا بأنَّها من الله تعالى.

وقال: ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، أي يَجْحَدُون.

١٥ ـ البلاء

أصل البلاء: الاختبار، قال الله جل وعلا: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ

---

(١) هو جزء من بيت وتمامه:

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته قديماً ومن أشبه أباه فما ظلم

والبيت من الطويل، وهو لكعب بن زهير في ديوانه ص ٦٥، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٦٨، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٢٤٤.

ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦]، أي: اختبروهم. وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الصافات: ١٠٦]، يعني: ما أُمِرَ به إبراهيمُ من ذبح ابنه، صلوات الله عليهما.

وقال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨]، أي اختبرناهم.

ثم يقال للخير: بلاء، وللشر: بلاء؛ لأنّ الاختبار الذي هو بلاء وابتلاء يكون بهما. قال الله تعالى ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي نختبركم بالشر؛ لنعلم كيف صبركم؟ وبالخير؛ لنعلم كيف شكركم؟.

(فتنة) أي اختباراً. ومنه يقال: اللهم لا تَبْلُنَا إلا بالتي هي أحسن. أي لا تختبرنا إلا بالخير، ولا تختبرنا بالشر.

يقال من الاختبار: بَلَوْتُه أَبْلُوهُ بَلْواً، والاسم بَلاءٌ. ومن الخير: أَبْلَيْتُهُ أبليه إبلاءً. ومنه يقال: يُبلي وَيُولي. قال زهير[1]:

فَأَبلاهُمَا خَيْرَ البلاءِ الذي يَبْلُو

أي: خير البلاء الذي يختبر به عباده.

ومن الشر: بَلاه الله يَبْلُوه بَلاءً. قال الله عز وجل: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]، أي: نعمة عظيمة. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الدخان: ٣٣]، أي: نِعَم بيِّنة عظام.

١٦ ـ الرجز والرجس

الرِّجْزُ: العذاب. قال الله تعالى ـ حكاية عن قوم فرعون: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] أي العذاب.

ثم قد يُسمّى كَيدُ الشيطان: رِجْزاً؛ لأنه سبب العذاب. قال الله تعالى: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: ١١].

والرجس: النَّتْنُ.

ثم قد يُسمّى الكفرُ والنفاقُ: رِجْساً؛ لأنه نَتن. قال الله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ

(١) صدر البيت:

جزى اللّه بالإحسان ما فعلا بكم

والبيت من الطويل، وهو في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٠٩، ولسان العرب (بلا)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٩٠، ومقاييس اللغة ١/ ٢٩٤، وديوان الأدب ٤/ ١٠٩، وتاج العروس (بلى).

رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، أي: كفراً إلى كفرهم، أو نفاقاً إلى نفاقهم.

وقال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠].

وقال الله عز وجل: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥]، يعني الأوثان، سمّاها رِجزاً ـ والرُّجْزُ: العذاب ـ لأنها تُؤَدّي إليه.

١٧ ـ الفتنة

الفتنة: الاختبار، يقال: فَتَنْتُ الذهبَ في النّار: إذا أدخلتَهُ إليها لتعلم جودته من رداءته. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣]. أي: اختبرناهم. وقال لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]. ومنه قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ۝٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣] أي: جوابُهم؛ لأنهم حين سئلوا اختُبر ما عندهم بالسؤال، فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول.

والفتنة: التعذيب. قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [البروج: ١٠] أي عذّبوهم بالنار.

وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الذاريات: ١٣] أي يعذبون. ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٤] أي يقال لهم: ذوقُوا فِتْنَتكم، يراد هذا العذاب بذاك.

وقال عز وجل: ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] أي: جعل عذاب الناس وأذاهم كعذاب الله.

والفتنة: الصدّ والاستزلال. قال الله عز وجل: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، أي: يَصُدُّوكَ وَيَسْتَزِلُوك. وقال الله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وقال: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات: ١٦٢، ١٦٣] أي: صادين.

والفتنة: الإشراك والكفر والإثم، كقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، أي: شرك.

وقال: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] يعني الشرك. وقال: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٩] أي: في الإثم.

وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]، أي: كفر وإثم.

وقال: ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤] أي: كفرتم وآثمتموها.

والفتنة: العِبْرَةُ، كقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥] وفي موضع آخر: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: ٥] أي: يَعْتَبِرُونَ أمرهم بأمرنا؛ فإذا رأونا في ضُرّ وبلاء ورأوا أنفسهم في غبطة ورخاء ـ ظَنُّوا أنهم على حق، ونحن على باطل.

وكذلك قوله: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣].

١٨ ـ الفرض

الفرض: وجوب الشيء. ويقال: فرضت عليك كذا، أي: أوجبته. قال الله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي: أوجبه على نفسه. وقال: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: ألزمتم أنفسكم. وقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٠] أي: ألزمناهم، ومنه قوله في آية الصدقات بعد أن عدّد أهلها: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١] وقيل للصلاة المكتوبة: فريضة. وقيل لسهام الميراث: فريضة.

وقال: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] أي: أوجب لكم أن تُكفِّرُوا إذا حلَفْتم.

وبعض المفسرين يجعلها بمعنى: بيَّنَ لكم كيف تُكَفِّرون عنها. قال: ومثلها: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١] أي: بيّنّاها.

وقد يجوز في اللغة أن يكون فرضناها: أوجبنا العمل بما فيها.

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

قال المفسرون: فيه أنزل عليك القرآن.

وقد يجوز في اللغة أن يكون أوجب عليك العمل بما فيه.

وقال: ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قال المفسرون: فيما أحل الله له.

وقد يجوز في اللغة أن يكون: ما أوجب له من النكاح، يعني: نكاحَ أكثرَ من أربع.

١٩ ـ الخيانة

الخيانة: أن يؤتمنَ الرجلُ على شيء، فلا يُؤديَ الأمانة فيه.

يقال لكل خائن: سارق وليس كل سارق خائناً.

والقَطْع يجب على السارق، ولا يجب على الخائن؛ لأنه مؤتمن.

قال النَّمِر بن تَوْلَب[1]:

وَإِنَّ بَنِـي رَبِيـعَـةَ بَـعْـدَ وَهْـبٍ كَـرَاعِـي البَيْـتِ يَحْفَـظُـهُ فَخَـانَـا

ويقال: لناقض العهد: خائن؛ لأنه أُمِنَ بالعهد وسُكِن إليه، فغدَرَ وَنَكَثَ. قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨].

أي: نقضاً للعهد.

وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] أي غدر ونكث.

ويقال لعاصي المسلمين: خائن؛ لأنّه مؤتمن على دينه. قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧]. يريد المعاصيَ.

وقال الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: تخونونها بالمعصية.

٢٠ ـ الإسلام

الإسلام: هو الدخول في السِّلْم، أي: في الانقياد والمتابعة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] أي: انقاد لكم وتابعكم.

والاستسلام مثله. يقال: سلَّم فلانٌ لأمْرِكَ واستسلم وأَسْلَم. أي دخل في السِّلم. كما تقول: أَشْتَى الرجلُ: إذا دخل في الشتاء، وأربع: دخل في الربيع، وأَقْحَطَ: دخل في القحط.

فمن الإسلام متابعةٌ وانقيادٌ باللِّسان دون القلب. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] أي: انقدنا من خوف السيف.

وكذلك قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:

---

(١) البيت من الوافر، وهو في ديوان النمر بن تولب ص ٣٩٥، والمعاني الكبير ١/٥٩٢، وأدب الكاتب ص ٣٧، والاقتضاب ص ٣٠٣، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص ١٤٥.

٨٣]، أي: انقاد له وأقرَّ به المؤمن والكافر.

ومن الإسلام: مُتَابَعَةٌ وَانْقِيادٌ باللسان والقلب، ومنه قوله حكاية عن إبراهيم: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]. وقوله: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي: انقدت لله بلساني وَعَقْدِي.

والوجه زيادة. كما قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، يُريد: إلا هو. وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، أي لله. قال زَيْد بن عُمْرو بن نُفَيل في الجاهلية[1]:

أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ المُزْنُ تَحْمِلُ عَذْباً زُلالا

أي: انقادت له المُزْن.

٢١ ـ الإيمان

الإيمان: هو التصديق. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدِّق لنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] وقال: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟﴾ [غافر: ١٢]، أي: تصدِّقوا. **والعبد مؤمن بالله**، أي مصدِّق. **والله مؤمن**: مصدِّقٌ ما وَعَدَه، أو قابلٌ إيمانه. ويقال في الكلام: ما أُومِنُ بشيء مما تقول أي ما أصدِّق به.

فمن الإيمان: تصديق باللسان دون القلب، كإيمان المنافقين. يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: ٣]، أي آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم. **كما كان من الإسلام انقياد باللسان دون القلب**.

ومن الإيمان: تصديق باللسان والقلب. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [البينة: ٧]، **كما كان من الإسلام انقياد باللسان والقلب**.

ومن الإيمان: تصديق ببعض وتكذيب ببعض. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦]، يعني مشركي العرب، إن سألتهم مَنْ خَلَقَهم؟ قالوا: الله، وهم مع ذلك يجعلون له شركاء. وأهل الكتاب يؤمنون ببعض

---

(١) البيت من المتقارب، وهو لزيد بن عمرو بن نفيل في تفسير الطبري ١/٣٩٣، والمعارف ص ٢٧، ومجمع البيان ١/١٨٧، والأغاني ٣/١٧.

الرُّسل والكتب، ويكفرون ببعض. قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، يعني: ببعض الرسل والكتب، إذ لم يؤمنوا بهم كلِّهم.

وأما قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٢] ثم قال: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢] ـ فإن هؤلاء قوم آمنوا بألسنتهم. فقال تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ٦٢] منهم بقلبه ﴿بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، كأنه قال: إن المنافقين والذين هَادُوا.

٢٢ ـ الضرّ

الضَّرّ: ـ بفتح الضاد ـ ضد النفع، قال الله عز وجل: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء: ٧٢، ٧٣] وقال: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: ١٨٨] أي: لا أملك جَرّ نفعٍ ولا دفع ضرٍّ؟.

والضُّرّ: الشدة والبلاء، كقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الأنعام: ١٧]، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فمن الشدّة: قَحْطُ المطر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ [يونس: ٢١] أي: مطراً من بعد قحط وجَدْب.

ومنه: **الهول**، كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٦٧].

ومنه **المرض**، كقول أيوبَ عليه السلام: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]؛ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ [الزمر: ٤٩].

ومنه **النقص**، كقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

٣ ـ الحَرَج

الحَرَج: أصله الضيق. ومن الضيق: **الشك**، كقول الله تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]، أي شك؛ لأنَّ الشاكّ في الشيء يضيق صدراً به.

ومن الحرج: الإثم، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] أي إثم ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١]، أي إثم.

وأما الضيقُ بعينه فقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] أي ضيق. و ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] وَحَرِجاً. ومنه الحَرَجَةُ وهي: الشجر المُلْتَفّ.

٢٤ ـ الروح

الرُّوح والرِّيح والرَّوْح: من أصل واحد اكْتَنَفَتْهُ معانٍ تقاربت، فبُنِيَ لكلّ معنى اسمٌ من ذلك الأصل، وخُولِفَ بينها في حركة البِنْية.

والنّار والنُّور من أصل واحد، كما قالوا: المَيْل والمَيَل، وهما جميعاً من مَالَ. فجعلوا المَيَل ـ بفتح الياء ـ فيما كان خِلْقَةً فقالوا: في عنقه مَيَل، وفي الشجرة مَيَل ـ وجعلوا المَيْل ـ بسكون الياء ـ فيما كان فِعْلاً فقالوا: مَالَ عن الحق مَيْلاً، وفيه مَيْل عليَّ، أي تحامل.

وقالوا: اللَّسَنُ وَاللُّسْنُ واللِّسْنِ، وهذا كله من اللسان، فاللَّسَنُ: جودة اللِّسان. واللَّسْنُ: العَذْل واللوم. ويقال: لَسَنْتُ فلاناً لَسْناً: أي عذلته، وأخذته بلساني. واللِّسْنُ: اللّغةُ. يقال: لكلّ قوم لِسن.

وقالوا: حَمْلُ الشجرة ـ بفتح الحاء ـ **وحَمْل المرأة** ـ بفتح الحاء ـ وقالوا لما كان على الظهر: حِمْل، **والأصل واحد.**

في أشباهٍ لهذا كثيرة. وقد ذكرنا منها طرفاً في صدر الكتاب.

وأما الرُّوح: فرُوحُ الأجسام الذي يقبضه الله عند الممات.

والرُّوحُ: جبريل عليه السلام. قال الله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، يعني جبريل. وقال: ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، أي بجبريل.

والرُّوح ـ فيما ذكر المفسرون ـ: مَلَكٌ عظيم من ملائكة الله يقوم وحده فيكون صَفّاً وتقوم الملائكة صفّاً، قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥].

ويقال للملائكة: الرُّوحانِيُّون؛ لأنهم أرواح، نُسِبُوا إلى الرُّوح ـ بالألف والنون ـ لأنها نِسْبَةُ الخِلْقة، كما يقال: رَقَبَانِيٌّ وَشَعَرَانِيٌّ.

والرُّوحُ: النَّفْخُ، سُمِّي رُوحاً لأنه ريح تخرج عن الرُّوح. قال ذو الرُّمة وذكر ناراً قدحها[1]:

فَلَمَّا بَدَتْ كَفَّنْتُها وَهي طِفْلَةٌ ... بِطَلْسَاءَ لم تكمُلْ ذِراعاً ولا شِبْرا

(١) الأبيات من الطويل، وهي في ديوان ذي الرمة ص ١٤٢٨ـ١٤٢٩، والبيت الأول في لسان العرب =

وَقُلْتُ لـه: ارْفَعْهَا إليكَ وَأحيْها ... بِـرُوحِكَ وَاقْتَتْهُ لَـهَا قِيْتَةً قَدْرا

وَظاهِرْ لَهَا مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ وَاسْتَعِنْ ... عليها الصَّبَا وَاجْعَلْ يَدَيْكَ لَهَا سِتْرا

قوله: وأحيها بروحك، أي أحيها بنفخك.

والمسيح: رُوحُ الله؛ لأنه نَفْخَةُ جبريل في دِرْعِ مريم. ونُسبَ الرُّوحُ إلى الله لأنه بأمره كان. يقولُ الله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، يعني نَفْخَةَ جبريل.

وقد يجوز أن يكون سُمِّي رُوحَ الله لأنه بكلمته كان، قال الله تعالى: كن، فكان.

وكلامُ الله: رُوحٌ؛ لأنه حياة من الجهل ومَوْتِ الكُفْر، قال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [غافر: ١٥]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ورحمةُ الله: رُوحٌ. قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، أي برحمةٍ، كذلك قال المفسرون.

ومن قرأ: ﴿فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] بضم الراء، أراد فرحمةٌ ورزقٌ. والريحان: الرزق. قال النَّمِرُ بن تَوْلَب[(١)]:

سَـلامُ الإلـهِ وَرَيْـحَـانُـهُ ... وَرَحْـمَـتُـهُ وَسَـمَـاءٌ دِرَرْ

فجمع بين الرّزق والرحمة، كما قال الله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، وهذا شاهد لتفسير المفسرين.

قال أبو عبيدة ﴿فرُوحٌ﴾، أراد: حياةٌ وبقاءٌ لا موت فيه.

ومن قرأ: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ بالفتح، أراد: الرّاحة وطيب النّسيم.

وقد تكون الرُّوحُ: الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، أي من رحمته. سَمَّاها رَوْحاً لأنَّ الرَّوْحَ والرَّاحةَ يكونان بها.

= (طلس)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٣٣، والبيت الثاني في لسان العرب (قوت)، (روح)، (حيا)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٢٥، ٢٨٥، ٩/ ٢٥٤، ومقاييس اللغة ٥/ ٣٨، ومجمل اللغة ٤/ ١٣١، وديوان الأدب ٣/ ٣١٣، وكتاب العين ٥/ ٢٠٠، وأساس البلاغة (روح)، (قوت)، وتاج العروس (قوت)، (روح)، (حيا).

(١) البيت من المتقارب، وهو في ديوان النمر بن تولب ص ٣٤٥، ولسان العرب (روح)، (درر)، والتنبيه والإيضاح ١/ ٢٤٣، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٢١، والمخصص ١٢/ ٢٧٥، ١٧/ ١٦٤، وتاج العروس (روح)، (درر)، والبيت بلا نسبة في ديوان الأدب ٣/ ٤٧، ٣٨٣.

٢٥ ـ الوحي

الوحي: كلُّ شيء دَللتَ به من كلام أو كتاب أو إشارة أو رسالة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، فهذا إرسال جبريل بالقرآن.

وقال: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١]، أي أشار إليهم وأومأ.

وقال بعض المفسرين: كتب إليهم.

قال أبو محمد:

والتفسير الأول أعجبُ إليّ؛ لأنه قال في موضع آخر: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ [آل عمران: ٤١].

والرمز: تحريك الشفتين أو الحاجبين أو العينين، ولا يكون كتاباً.

والوحي: إلهام، كقوله: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة: ١١١]، و ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: ٦٨]، أي ألهمها.

والوحي: إعلام في المنام، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ﴾ [الشورى: ٥١].

والوحي: إعلام بالوَسْوَسَة من الشيطان، قال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

والوحي: أمر، قال الله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥]، أي أمرها. وقال الراجز[١]:

وَحَى لها القَرارَ فاستَقَرَّتِ

أي أمرها بالقرار: فَقَرَّت، يعني الأرض. ويقال: سخّرها.

---

(١) يليه: وشدَّها بالراسيات الثُّبَّتِ
والرجز للعجاج في ديوانه ٢/ ٤٠٨، ٤٠٩، ولسان العرب (وحي)، وتهذيب اللغة ٥/ ٢٩٦، ٢٩٧، وجمهرة اللغة ص ٥٧٦، وكتاب العين ٣/ ٣٢٠، وتاج العروس (وحي)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٦/ ٩٣، ومجمل اللغة ٤/ ٥١٢.

٢٦ ـ الفرح

الفَرَحُ: المسرّة، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢] أي سُرُّوا.

والفرح: الرضا؛ لأنه عن المسرة يكون، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣، والروم: ٣٢] أي راضون، وقال: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] أي رضوا.

والفرح: البَطَرُ والأَشَرُ؛ لأن ذلك عن إفراط السرور، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] وقال: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر: ٧٥].

وقد تبدل (الحاء) في هذا المعنى (هاء) فيقال: فَرِهٌ أي بَطِرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ۝١٤٩﴾ [الشعراء: ١٤٩] أي: أَشَرِين بَطِرين. و(الهاء) تبدل من (الحاء) لقُرب مخرجيهما، تقول: (مدحته) و (مدهته)، بمعنى واحد.

٢٧ ـ الفتح

الفتح: أن يُفْتَحَ المغلَق، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

والفتح: النصر، كقوله: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٤١] وقوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢]، لأن النصر يَفْتح الله به أمراً مغلقاً.

والفتح: القضاء؛ لأن القضاء فصل للأمور، وفتح لما أشكل منها، قال الله جل ذكره: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٨ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾ [السجدة: ٢٨، ٢٩] يعني يوم القيامة؛ لأنه يقضي الله فيه بين عباده.

ويقال: أراد فتح مكة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم من خوف السيف، فلم ينفعهم ذلك وقتلهم خالد بن الوليد.

وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [سبأ: ٢٦] أي: يقضي، ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]: أي خير القضاة.

وقال أعرابي لآخر ينازعه: بيني وبينكم الفتاح، يعني الحاكم.

وقال ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١] كنت

أقرؤها ولا أدري ما هي، حتى تزوجت بنت مِشْرَح فقالت: فتح الله بيني وبينك، أي حكم الله بيني وبينك.

٢٨ ـ الكريم

الكريم: الشريف الفاضل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] أي: أفضلكم. وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] أي: شرفناهم وفضلناهم. وقال حكايةً عن إبليس: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] أي: فضلت. وقال: ﴿مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ﴾ [الفجر: ١٥] أي: فضّله. وقال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦] أي: الشريف الفاضل. وقال: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١] أي: شريفاً. وقال: ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩] أي شريف لشرف كاتبه، ويقال: شريف بالخَتْم.

والكريم: **الصّفوح**، وذلك من الشرف والفضل، قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] أي: صفوح. وقال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [الانفطار: ٦] أي الصّفوح.

والكريم: **الكثير الكرم**، قال الله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤، والحج: ٥٠، والنور: ٢٦، وسبأ: ٤] أي: كثير.

والكريم: **الحَسَن**، وذلك من الفضل. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ [الشعراء: ٧] أي: حَسَن. وكذلك قوله: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥ و ق: ٧] أي: حسن يُبتهج به. وقال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، أي حسناً.

وهذا وإن اختلف، فأصله الشرف.

٢٩ ـ المثل

المَثَل: بمعنى **الشّبه**؛ يقال: هذا مَثَل الشيء ومِثْله، كما يقال: شَبَه الشيء وشِبْهه، قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١] أي شبه الذين كفروا شبه العنكبوت.

وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] أي: شبههم الحمار.

والمَثَلُ: العِبْرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٦] أي: عبرةً لمن بعدهم. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩] أي عبرة.

والمثَلُ: الصّورة والصّفة، كقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ [محمد: ١٥] أي صفة الجنة.

٣٠ ـ الضرب

الضرب: باليد، كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] وقوله: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

والضربُ: المسير، قال الله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٤] وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المزمل: ٢٠].

والضرب: التّبيين والوصف، قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [النحل: ٧٥]، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، أي لا تصفوه بصفات غيره ولا تشبهوه.

٣١ ـ الزوج

الزوج: اثنان، وواحد، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ [النجم: ٤٥] فجعل كل واحد منهما زوجاً.

وهو بمعنى: الصّنف، قال: ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ [يس: ٣٦] يعني: الأصناف. وقال: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] أي ثمانية أصناف.

وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [الشعراء: ٧] أي من كل صِنف حسن.

والزّوج: القَرين، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، وقال: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] أي قرناءهم.

وقال: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير: ٧] أي قُرنت نفوس الكفار بعضها ببعض.

ومنه قوله: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤] أي قرناهم.

والعرب تقول: زَوَّجت إبلي، إذا قرنت بعضها ببعض.

٣٢ ـ الرؤية

الرؤية: المعاينة، كقول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

وقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٠] أي: عاينت.

والرؤية: علم، كقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] أي: ألم يعلموا.

وقال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]، أي: أعلمنا.

وقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [سبأ: ٦] أي: يعلم.

وقال: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] أي: علمك الله.

وقال المفسرون في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٢٣]: ألم تُخبَروا. وكذلك أكثر ما في القرآن.

٣٣ ـ النسيان

النسيان: ضد الحفظ، كقوله: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ [الكهف: ٦٣]، وقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣].

والنسيان: الترك، كقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه: ١١٥]، أي ترك.

وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾، أي بما تركتم الإيمان بلقاء هذا اليوم ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ [السجدة: ١٤]، أي تركناكم.

وقوله: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، أي لا تتركوا ذلك.

٣٤ ـ الصاعقة والصعق

الصَّعْقُ: الموت، قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]. أي ميّتاً، ثم ردّ الله إليه حياته.

وقال الله تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣]،

أي الموت، يدلك على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٦].

والصاعقة: العذاب، كقوله: ﴿أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

والصاعقة: نار من السحاب، قال الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

وأراها سُمِّيت صاعقة؛ لأنها إذا أصابت قَتَلَتْ، يقال: صَعَقَتْهُمْ، أي: قتلتهم.

٣٥ ـ الأخذ

الأخذ: أصله باليد، ثم يستعار في مواضع:

فيكون بمعنى: القبول، قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [آل عمران: ٨١] أي: قبلتم عهدي، وقال تعالى: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ [المائدة: ٤١] أي فاقبلوه. وقال: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] أي يقبلها. وقال: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] أي: لا يقبل. وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: اقبله.

ويكون بمعنى: الحبس والأسر؛ قال الله تعالى: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ [يوسف: ٧٨] أي: احبسه. وقال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ﴾ أي: ائسِرُوهم ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] أي: احبسوهم.

ويقال للأسير: أخِيذ.

والأخذ: التعذيب، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [هود: ١٠٢] أي: تعذيبه. وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: ٤٠] أي عذبنا.

وقال: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [غافر: ٥] أي ليعذبوه أو ليقتلوه.

٣٦ ـ السلطان

السلطان: المُلك والقهر؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم: ٢٢]. وقال: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [سبأ: ٢١].

والسلطان: الحُجَّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ [غافر: ٢٣] أي حجة.

وقال: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٥١] أي: حجة في كتاب الله وقال: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾ [الصافات: ١٥٦] أي حجّة.

وقال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١]، أي: حجة وعذر.

٣٧ـ البأس والبأساء

البأس والبأساء: الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الأنعام: ٤٢].

والبأس: الشدة بالعذاب، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤] أي عذابنا.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ﴾ [الأنبياء: ١٢] وقال: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩] أي: يمنعنا من عذاب الله.

والبأس: الشدة بالقتال، قال الله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٨٤] وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [النمل: ٣٣] وقال: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ [الحشر: ١٤] وقال: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٣٨ـ الخلق

الخَلْقُ: التخرُّص، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الشعراء: ١٣٧] أي: خرصهم للكذب.

وقال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، أي تخرصون كذباً.

وقال تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧] أي: افتعال للكذب.

والعرب تقول للخرافات: أحاديثُ الخَلْقِ.

والخَلْقُ: التصوير، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [المائدة: ١١٠] أي: تُصَوِّرُهُ.

والخَلْق: الإنشاءُ والابتداء، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وأصل الخلق: التقدير، ومنه قيل: خَالِقَةُ الأدِيم، قال زهير(١):

ولأَنْـتَ تَـفْـرِي مـا خَـلَـقْـتَ وبَـ ـعْضُ القَوْمِ يَخْلُق ثُمّ لاَ يَفْرِي.

(١) البيت من الكامل، وهو في ديوان زهير بن أبي سلمة ص ٩٤، ولسان العرب (خلق)، (فرا)، وتهذيب اللغة ٧/ ٢٦، ١٥/ ٢٤٢، ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٤، ٤/ ٤٩٧، وديوان الأدب ٢/ ١٢٣، وكتاب الجيم ٣/ ٤٩، والمخصص ٤/ ١١١، والبيت بلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٦١٩، وتاج العروس (فرا).

والخلْق: الدِّين، كقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، أي لدين الله.

وقال تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، أي دينه: ويقال: تغيير خلقه بالخصاء وبَتْكِ الآذان، وأشباه ذلك.

٣٩ـ الرّجم

الرجم: أصله الرّمي، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] أي مرامي.

ثم يستعار فيوضع موضع القتل؛ لأنهم كانوا يقتلون بالرّجم. ورُوِي أنَّ ابن آدم قتل أخاه رجماً بالحجارة، وقُتِل رجماً بالحجارة، فلما كان أول القتل كذلك، سُمِّي رجماً وإن لم يكن بالحجارة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [يس: ١٨]، أي لنقتلنكم. وقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝﴾ [الدخان: ٢٠]، أي تقتلون. وقال: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود: ٩١] أي قتلناك.

ويوضع: الشتم؛ لأن الشتم رميٌ، ولذلك يقال: قذف فلانٌ فلاناً: إذا شتمه. وأصل القذف: الرمي، ومنه قول أبي أبراهيم له: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]، أي لأشتمنك.

ويوضع موضع الظن، ومنه قوله: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢]، أي ظنّاً. ويقال: رجم بالظّنّ؛ كأنه رمى به.

والرَّجْم: اللعن. والطَّرْد: لعن، ومنه قيل: ذئبٌ لَعِين: أي طريد.

وإنما قيل للشيطان: رجيم ، أي طريد؛ لأنه يُطرد برجم الكواكب.

٤٠ ـ السعي

السَّعْي: الإسراع في المشي، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠]، أي يسرع في مشيه، **وهو العدو أيضاً**.

والسعي: المشي، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، يعني المشي، ويقال: المعاونة له على أمره.

وقال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] أي امشوا. وقرأ بعض السلف: ﴿**فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ**﴾.

وقال: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، أي مشياً، كذلك قال بعض المفسرين.

والسَّعْيُ: العمل، قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: ١٩].

وقال: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩] أي: عمل لها عملها.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١ وسبأ: ٥]، أي جدُّوا في ذلك.

وقال: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل: ٤]، أي عملكم لشتّى، أي مختلف. **وأصل هذا كله: المشي والإسراع فيه.**

٤١ـ المحصنات

الإِحْصَانُ هو: أن يحمى الشيء ويمنع منه.

والمحصنات من النساءِ: ذوات الأزواج؛ لأن الأزواج أَحْصَنُوهُنَّ، ومنعوا منهن، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ [النساء: ٢٤].

المحصنات: الحَرَائِرُ وإن لم يكنَّ متزوجات؛ لأن الحرّة تُحْصَنُ وتُحْصِنُ، وليست كالأمة. قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [النساء: ٢٥] وقال: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ [النساء: ٢٥] يعني الحرائر.

والمحصنات: العَفَائِفُ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النور: ٤] يعني العفائف.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] أي عفّت.

٤٢ ـ المتاع

المَتَاعُ: المُدَّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ۝١١١﴾ [الأنبياء: ١١١].

ومنه يقال: مَتَع النهار. ويقال: أمتع الله بك.

والمتاع: الآلات التي يُنتفع بها، قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ [الرعد: ١٧].

والمتاع: المنفعة، قال الله تعالى: ﴿نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ۝٧٣﴾ [الواقعة:

٧٣]، وقال تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [النازعات: ٣٣] وقال تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦].

وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٩] أي ينفعكم ويقيكم من الحرّ والبرد، يعني الخَانات.

ومنه: مُتْعَةُ المُطَلَّقَةِ.

٤٣ـ الحساب

الحساب: الكثير، قال الله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ۝٣٦﴾ [النبأ: ٣٦]، أي كثيراً.

ويقال: أَحْسَبْتُ فلاناً. أي أعطيته ما يُحسبُه، أي يكفيه. ومنه قول الهذليّ(١):

* حِسَابٌ وَرَجْلٌ كالجراد يَسُومُ *

والحساب: الجزاء، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٦]، أي جزاءهم.

وقال تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ۝١١٣﴾ [الشعراء: ١١٣]؛ لأن الجزاء يكون بالحساب.

والحساب: المحاسبة، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨].

٤٤ـ الأمر

الأَمْرُ: القَضاءُ، قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، أي يقضي القضاء. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي القضاء.

والأمر: الدِّين، قال الله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، أي دينهم. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤٨].

---

(١) يروى البيت بتمامه:

فلم ينتبه حتى أحاط بظهره ... حسابٌ وسربٌ كالجراد يسومُ

والبيت من الطويل، وهو لساعدة بن جؤية الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١١٦٠، ولسان العرب (حسب)، وتاج العروس (حسب)، وأساس البلاغة (حسب)، وديوان الهذليين ١/ ٢٢٩.

والأمر: القول، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: ٢١]، يعني قولهم.

والأمر: العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، أي وجب العذاب. وقال تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ٤٤].

والأمر: القيامة، قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] وقال تعالى: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٤] أي القيامة أو الموت.

والأمر: الوحي؛ قال الله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

والأمر: الذنب، قال الله تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩]، أي جزاء ذنبها.

وهذا كله وإن اختلف فأصله واحد.

ويكنى عن كل شيء: بالأمر؛ لأن كلّ شيء يكونُ فإنما يكون بأمر الله، فسميت الأشياء: أُموراً؛ لأن الأمر سببُها، يقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

باب تفسير حُروف المعاني وَمَا شاكلها من الأفعال الّتي لا تنصَرف

كأيّن

كأيّن هي بمعنى: كم. قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ [الطلاق: ٨] أي وكم من قرية.

وفيها لغتان: كَأَيِّن بالهمزة وتشديد الياء، **وكائِن** على تقدير قائل وبائع، وقد قُرِئَ بهما جميعاً في القرآن، والأكثر والأفصح تخفيفها، قال الشاعر(١):

وكائن أَرَيْنَا الموتَ مِنْ ذي تَحِيَّةٍ ... إذا ما ازْدَرَانَا أَوْ أَصَرَّ لِمَأْثَمِ

وقال آخر(٢):

وكائِن تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٍ ... زِيَادَتُه أَوْ نَقْصُه فِي التَّكَلُّمِ

كيف

كيف بمعنى: على أَيِ حالٍ، تقول: كيف أنت، تريد بأي حال أنت؟.

وتقع بمعنى: التعجب، في مثل قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

سِوى وسُوى

سوى وسوى: بمعنى غير، وهما جميعاً في معنى بدل. وهي مقصورة. وقد

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٢.

(٢) البيت من الطويل، وهو لزهير بن أبي سلمى في شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٢، وللأعور الشني في البيان والتبيين ١/ ١٧٠، ولأبي الأعور السلمي في سر الفصاحة ص ٥٩، وبلا نسبة في رصف المباني ص ٢٠٥، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٠٧، وشرح المفصل ٤/ ١٣٥، وسر الفصاحة ص ٢٩.

جاءت ممدودة مفتوحة الأول، وهي في معنى غير.

قال ذُو الرُّمَّة[١]:

وَمَا تَجَافَى الغَيْثُ عنهُ فما بِهِ سَوَاء الحَمَامِ الحُضْن الخُضْرِ حَاضِرُ

يريد غيرَ الحَمَام.

وسَوَاء ـ مفتوحة الأول ممدود ـ بمعنى: وسط. قال: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥﴾ [الصافات: ٥٥]، أي في وسطه.

وقد جاءت أيضاً بمعنى: وسط، مكسورة الأوّل مقصورةً، قال الله تعالى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]، أي وَسَطا.

أيان

أيّان: بمعنى متى، ومتى بمعنى: أيّ حين.

ونرى أصلها: أيّ أوان، فحذفت الهمزة والواو، وجعل الحرفان واحداً، قال الله تعالى: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾؟ [النحل: ٢١] ، أي متى يبعثون؟ و﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦].

الآن

الآن: هو الوقت الذي أنت فيه، وهو حدُّ الزّمانين: حدّ الماضي من آخره، وحدّ الزمان المستقبل من أوله.

قال الفراء: «هو حرف بني على الألف واللام، ولم يُخْلَعَا منه، وتُرِكَ على مذهب الصِّفة؛ لأنه في المعنى واللفظ، كما رأيتهم فَعَلُوا بالذي، فتركوه على مذهب الأداة، والألف واللام له لازمة غير مفارقةٍ».

وأرى أصله: أَوَانٌ، حذفت منه الألف، وغُيِّرت واوه إلى الألف، كما قالوا في الرّاح: الرِّياح. وأنشد[٢]:

---

(١) يروى البيت بلفظ:
وماءٌ تجافى الغيث عنه فما به سواء الصدى والحضن الورق حاضرُ
والبيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ١٠٢٩، ورواية عجز البيت فيه كما ذكرها المؤلف، وتاج العروس (ورق).

(٢) البيت من الطويل، وهو لامرىء القيس في ديوانه ص ٣٧٦، ولسان العرب (ريح)، (فلل)، وديوان الأدب ٣/٣٦٨، وتاج العروس (سلف)، وبلا نسبة في لسان العرب (أين)، وتهذيب اللغة ١٥/٥٤٧، والمخصص ١١/٧٤، وتاج العروس (روح).

كَأنَّ مَكَاكِيَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً نَشَاوَى تَسَاقَوْا بالرِّياح المُفَلْفَلِ

قال: فهي مَرَّةً على تقدير (فَعَلٍ) ومرّة على تقدير (فَعَال) كما قالوا: زَمَن، وزَمَان.

وإن شِئتَ جعلتها من قولك: آنَ لك أن تفعل كذا وكذ، أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب (فَعُلَ) منصوبة، كما قالوا: «نَهى رسول الله، ﷺ عن قِيلَ وقال، وكثرة السُّؤال»[(١)] فكانتا كالاسمين وهما منصوبتان، ولو خُفِضَتا على النَّقل لهما من حدّ الأفعال إلى الأسماء في النية ـ كَانَ صواباً.

وسمعت العرب تقول: مِنْ شُبَّ إلى دُبَّ، ومن شُبٍّ إلى دُبٍّ، مخفوض منون، يذهبون به مذهب الأسماء. والمعنى: مُذْ كانَ صغيراً فشبَّ إلى أن دَبَّ كبيراً.

قال الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١] ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس: ٥١]، أي أفي هذا الوقت وفي هذا الأوان تتوب وقد عصيت قبل؟

أنى

أنّي: يكون بمعنيين. يكون بمعنى: كيف، نحو قول الله تعالى ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أي كيف يحييها؟ وقوله: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] أي كيف شئتم.

وتكون بمعنى: من أين، نحو قوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] وقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

والمَعْنَيان متقاربان، يجوز أن يتأولَ في كل واحد منهما الآخر.

وقال الكُمَيْت[(٢)]:

---

(١) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في الرقاق باب ٢٢، والزكاة باب ٥٣، والاعتصام باب ٣، والأدب باب ٦، ومسلم في الأقضية حديث ١٠، ١١، ١٣، ١٤، والدارمي في الرقاق باب ٣٨، ومالك في الكلام حديث ٢٠، وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٧، ٣٦٠، ٣٦٧، ٤/ ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٥، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢٩٧، والربيع بن حبيب في مسنده ٢/ ٤٢.

(٢) البيت من المنسرح، وهو للكميت بن زيد في شرح شواهد الشافية ص ٣١٠، وشرح المفصل ٤/ ١٠٩، ١١١، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٤٢، والهاشميات ص ٥٦، وتفسير الطبري ٢/ ٣٣٦، =

أَنَّـى وَمِـنْ أَيْـنَ آبَـكَ الطَّـرَبُ   مِـنْ حَيْـثُ لاَ صَـبْـوَةٌ وَلاَ رِيَـبُ

فجاء بالمعنيين جميعاً.

ويكأن

وَيْكَأَنَّ. قد اختُلف فيها: فقال الكسائي: معناها: ألم تر، قال الله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٨٢] وقال: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]، يريد: ألم تر.

وروى عبد الرَّزاق؛ عن معمر، عن قتادة أنه قال: وَيْكَأَنَّ: أولاَ يَعلمُ أن الله يبسط الرزق لمن يشاءُ. وهذا شاهد لقول الكسائي.

وذكر الخليل أنها مفصولة: وي، ثم تبتديء فتقول: كأنَّ الله.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هي: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء، كأنه لا يفلح الكافرون. وقال: وَيْ صلةٌ في الكلام.

وهذا شاهد لقول الخليل.

ومما يدل على أنها كأنَّ: أنها قد تخفف أيضاً كما تخفَّف كأن قال الشاعر(١).

وَيْـكَـأَنْ مَـنْ يَـكُـنْ لَـهُ نَـشَـبٌ يُـحْـ   ـبَبْ وَمَـنْ يَفْـتَقِـر يَعِـش عَيْـشَ ضُـرِّ

وقال (بعضهم): ويكأن: أي رحمةً لك، بلغة حِمْيَر.

كأنَّ

كأنَّ: تشبيه؛ وهي: (أنَّ) أدخلت عليها كاف التشبيه الخافضة، ألا ترى أنك

= وتفسير البحر المحيط ٢/ ٤٤٣، ومجمع البيان ١/ ٣٢٠، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٢٧، والشطر الأول بلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ١٥٣، ولسان العرب (أنى)، وشرح الحماسة للمرزوقي ١/ ٥٣.

(١) البيت من الخفيف، وهو لزيد بن عمرو بن نفيل في خزانة الأدب ٦/ ٤٠٤، ٤٠٨، ٤١٠، والدرر ٥/ ٣٠٥، وذيل سمط اللآلي ص ١٠٣، والكتاب ٢/ ١٥٥، وعيون الأخبار ١/ ٢٤٢، وتفسير البحر المحيط ٧/ ١٣٥، والخزانة ٣/ ٩٧، ولنبيه بن الحجاج في الأغاني ١٧/ ٢٠٥، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١١، ولسان العرب (وا)، (ويا)، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ٣٥٣، والخصائص ٣/ ٤١، ١٦٩، وشرح الأشموني ٢/ ٤٨٦، وشرح المفصل ٤/ ٧٦، ومجالس ثعلب ١/ ٣٨٩، والمحتسب ٢/ ١٥٥، وهمع الهوامع ٢/ ١٠٦، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٧، ومجمع البيان ١/ ١٩٦، والخصائص ٣/ ٤١، ١٦٩، والصحاح ٦/ ٢٥٥٧، وتفسير الكشاف ٣/ ١٥١.

تقول: شربتُ شراباً كعسل، وشربت شراباً كأنه عسل؛ فيكونان سواء؟!.

وقد يخفف كأنْ ويحذف الاسم فيكون كالكاف، قال الشاعر يصف فرساً[(١)]:

جَمُومُ الشَّدُّ شَائِلَةُ الذُّنَابَى ... وهَادِيها كأَنْ جِذْعٌ سَحُوقُ

أراد: كجذع. وقال آخر[(٢)]:

* كأَنْ ظَبيةٌ تَعْطُو إلى ناضِرِ السَّلَمْ *

لات

لات. قال سيبوية: (لات) مشبّهة (بليس) في بعض المواضع، ولم تُمَكَّنْ تَمكُّنها، ولم يستعملوها إلا مُضْمَراً فيها؛ لأنها ليست كلَيْسَ في المخاطبةِ والإخْبَارِ، عن غائب، ألا ترى أنك تقول: لَيْسَتْ وَلَيْسُوا، وعَبْدُ الله لَيْسَ ذَاهباً، فَتَبْني عليها، و(لاَتَ) لا يكون فيها ذاك، قال الله تعالى: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]، أي ليس حين مَهْرَب.

---

(١) البيت من الوافر، وهو للمفضل النكري في لسان العرب (فيح)، (سحق)، (هدي)، وللمفضل اليشكري في تاج العروس (هدي). وللنمر بن تولب بيت قريب منه، وهو:

جموم الشد شائلة الذنابى ... تخال بياض غرتها سراجا

والبيت من الوافر، وهو في ديوان النمر بن تولب ص ٣٤٠، ولسان العرب (شول)، (جمم)، وجمهرة اللغة ص ٣٠٦، ومقاييس اللغة ١/ ٤٢٠، والمخصص ١٦/ ١٤٨، وأساس البلاغة (جمم)، والحيوان ٢/ ٣٠٦، والمعاني الكبير ص ١٤٨، وتاج العروس (ذنب)، (شول)، (جمم)، والبيت بلا نسبة في لسان العرب (ذنب).

(٢) يروى البيت بتمامه:

ويوماً توافينا بوجه مقسّم ... كأنْ ظبيةٌ تعطو إلى وارق السلمْ

والبيت من الطويل، وهو لعلباء بن أرْقم في الأصمعيات ص ١٥٧، والدرر ٢/ ٢٠٠، وشرح التصريح ١/ ٢٣٤، والمقاصد النحوية ٤/ ٣٨٤، ولأرقم بن علباء في شرح أبيات سيبويه ١/ ٥٢٥، ولزيد بن أرقم في الإنصاف ١/ ٢٠٢، ولكعب بن أرقم في لسان العرب (قسم)، ولباغث بن صريم اليشكري في تخليص الشواهد ٢/ ٣٠١، ولأحدهما أو لأرقم بن علباء في شرح شواهد المغني ١/ ١١١، ولأحدهما أو لراشد بن شهاب اليشكري أو لابن صريم اليشكري في خزانة الأدب ١٠/ ٤١١، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ٣٧٧، وجواهر الأدب ص ١٩٧، والجنى الداني ص ٢٢٢، ٥٢، ورصف المباني ص ١١٧، ٢١١، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٨٣، وسمط اللآلي ص ٨٢٩، وشرح الأشموني ١/ ١٤٧، وشرح عمدة الحافظ ص ٣٤١، وشرح قطر الندى ص ١٥٧، والكتاب ٣/ ١٦٥، والمحتسب ١/ ٣٠٨، ومغني اللبيب ١/ ٣٣، والمقرب ١/ ١١١، ٢/ ٢٠٤، والمنصف ٣/ ١٢٨، وهمع الهوامع ١/ ٤١٣.

قال: وبعضهم يقول: ﴿وَلاَتَ حِينُ مَنَاصٍ﴾. فيرفعُ؛ لأنها عنده بمنزلة: (ليس) وهي قليلة، والنصب بها لوجه. وقد خُفِضَ بها، قال أبو زُبَيْدٍ الطّائي[1]:

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاَتَ أَوَانٍ ... فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بقاءِ

وقال آخر[2]:

فلمَّا عَلِمْتُ أنَّنِي قَدْ قَتَلْتُهُ ... نَدِمْتُ عَلَيه لاتَ سَاعةَ مَنْدَمِ

وإنما تكون (لات) مع الأحيان وتعمل فيها. فإذا جَاوَزَتْهَا فليس لها عمل.

وقال بعض البغداديين: (التاء) تُزاد في أول (حين)، وفي أوّل (أوان)، وفي أول (الآن)، وإنما هي (لا) ثم تبتدىء فتقول: تَحِينَ وَتَلاَنَ. والدليل على هذا أنهم يقولون: تَحِينَ من غير أن يتقدمها (لا). واحتج بقول الشاعر[3]:

العَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ ... وَالْمُطْعِمُونَ زَمَانَ مَا مِنْ مُطْعِمِ

---

(١) البيت من الخفيف، وهو لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص ٣٠، والإنصاف ص ١٠٩، وتخليص الشواهد ص ٢٩٥، وتذكرة النحاة ص ٧٣٤، وخزانة الأدب ٤/ ١٨٣، ١٨٥، ١٩٠، والدرر ٢/ ١١٩، وشرح شواهد المغني ص ٦٤٠، ٩٦٠، والمقاصد النحوية ٢/ ١٥٦، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٢٤٩، وخزانة الأدب ٤/ ١٦٩، ٦/ ٥٣٩، ٥٤٥، والخصائص ٢/ ٣٧٠، ورصف المباني ص ١٦٩، ٢٦٢، وسر صناعة الإعراب ص ٥٠٩، وشرح الأشموني ١/ ١٢٦، وشرح المفصل ٩/ ٣٢، ولسان العرب (أون)، (لا)، (لات)، ومغني اللبيب ص ٢٥٥، وهمع الهوامع ١/ ١٢٦.

(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٧٣٤، ورصف المباني ص ٢٦٣، وخزانة الأدب ٤/ ١٦٨، ١٦٩، ١٧٤، ١٨٧.

(٣) يروى البيت بلفظ:

العاطفون تحين ما من عاطف ... والمطعمون زمان أين المطْعِمُ

والبيت من الكامل، وهو لأبي وجزة السعدي في الأزهية ص ٢٦٤، والإنصاف ١/ ١٠٨، وخزانة الأدب ٤/ ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، والدرر ٢/ ١١٥، ١١٦، ولسان العرب (ليت)، (عطف)، (أين)، (حين)، (ما)، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ٤٨٧، وخزانة الأدب ٩/ ٣٨٣، والدرر ٢/ ١٢، ورصف المباني ص ١٦٣، ١٧٣، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٦٣، وشرح الأشموني ٣/ ٨٨٢، ومجالس ثعلب ١/ ٢٧٠، والممتع في التصريف ١/ ٢٧٣، وهمع الهوامع ١/ ١٢٦، ولعجز البيت روايات مختلفة، منها:

والمسبغون يداً إذا ما أنعموا

و: نعم الذرا في النائبات لنا هُمُ

و: المطعمون زمان ما من مطعم

ويقول الآخر[(١)]:

* وَصِلِينَا كَمَا زَعَمْتِ تَلاَنَا *

وجرُّ العرب بها يُفْسِدُ عليه هذا المذهب؛ لأنهم إذا جَرُّوا ما بعدها جعلُوها كالمضاف للزّيادة، وإنما هي (لا) زيدت عليها (الهاء) كما قالوا: ثُمَّ وثُمَّةَ.

وقال ابن الأعْرَابي[(٢)] في قوله الشاعر:

العَاطِفُونَ تَحِينَ مَا مِنْ عَاطِفِ

إنما هو (العاطفونه) بالهاء، ثم تبتدىء فتقول: حِينَ ما مِنْ عَاطِف فإذا وصلته صارت الهاءُ تاءً. وكذلك قوله: «وصِلِينا كما زَعَمْتِهِ» ثم تبتدىء فتقول: لاتا، فإذا وصلته صارت الهاءُ تاءً، وذهبت همزةُ الآن.

قال: وسمعتُ الكِلابيّ[(٣)] ينهى رجلا عن عمل، فقال: حسبَك تَلاَن أراد: حَسْبُكَهُ الآنَ، فلما وَصَلَ صارت الهاء تاء.

وسنُبَيِّنُ: كيف الوقوفُ عليها وعلى أمثالها من التاءات الزوائد، في كتاب «القراءات» إن شاء الله تعالى.

مهما

مهما: هي بمنزلة «ما» في الجزاء. قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢]، أي ما تأتنا به من آية.

---

(١) صدر البيت:

نَوِّلِي قَبْلَ نَأْيِ داري جمانا

والبيت من الخفيف، وهو لجميل بثينة في ديوانه ص ١٩٦، ولسان العرب (تلن)، وبلا نسبة في الإنصاف ص ١١٠، وتذكرة النحاة ص ٧٣٥، والجنى الداني ص ٤٨٧، ورصف المباني ص ١٧٣، وسر صناعة الإعراب ص ١٦٦، ولسان العرب (أين)، (حين)، والممتع في التصريف ٢٧٣/١.

(٢) ابن الأعرابي: هو محمد بن زياد الكوفي البغدادي، المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله اللغوي، المتوفى سنة ٢٣١هـ. تقدمت ترجمته الوافية، مع ذكر مؤلفاته.

(٣) الكلابي: لعله أبو زياد، يزيد بن عبد الله بن الحر الأعرابي المعروف بالكلابي، قدم بغداد فأقام بها أربعين سنة. وتوفي في خلافة المهدي العباسي في حدود سنة ٢٠٠هـ. من تصانيفه: «خلق الإنسان»، «كتاب الإبل»، «كتاب الفرق»، «كتاب النوادر». (كشف الظنون ٦/ ٥٣٥).

وقال الخليل في مهما: هي (ما) أدخلت معها (ما) لغواً كما أدخلت مع (متى) لغواً، تقول: متى تأتني آتِكَ، ومتى ما تأتِني آتِكَ. وكما أدخلت مع (ما) أيّ لغواً، كقوله: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] أيْ أيّاً تَدْعُوا.

قال: ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظاً واحداً فيقولوا: (مَا، مَا) فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى.

هذا قول الخليل.

وقال سيبويه: وقد يجوز أن تكون (مَهْ) ضم إليها (ما).

ما ومَن

ما ومن، **أصلهما واحدٌ، فَجُعلت مَنْ للناس، وما لغير الناس**. نقول: مَنْ مرَّ بك من القوم؟ وما مرَّ بك من الإبل؟.

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ [الليل: ٣]: أي ومَنْ خلقَ الذَّكر والأنثى. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٦، ٨] **هي عنده في هذه المواضع بمعنى «مَنْ»**.

وقال أبو عَمرو: هي بمعنى (الذي). قال: وأهل مكة يقولون إذا سمِعُوا صَوْتَ الرعد: سبحان ما سبَّحْتَ له.

وقال الفرّاء: هو: وخَلْقِه الذَّكرَ والأنثى، وذكر أنها في قراءة عبد الله **﴿والذَّكَرَ وَالأُنثى﴾**.

كاد

كاد: بمعنى هَمَّ ولم يفعل. ولا يقال: يكاد أن يفعل، إنما يقال: كاد يفعل، قال الله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

وقد جاءت في الشعر، قال الشاعر[(١)]:

(١) الرجز لرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٧٢، والدرر ٢/ ١٤٢، وشرح شواهد الإيضاح ص ٩٩، وشرح المفصل ٧/ ١٢١، والكتاب ٣/ ١٦٠، ولسان العرب (كود)، والمقاصد النحوية ٢/ ٢١٥، وتاج العروس (كود)، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٤١٩، وأسرار العربية ص ٥، وتخليص الشواهد ص ٣٢٩، ولسان العرب (مصح)، والمقتضب ٣/ ٧، وهمع الهوامع ١/ ١٣٠، وديوان الأدب ٢/ ١٩٨.

* قَدْ كادَ مِنْ طُولِ البِلَى أَنْ يَمْصَحا *

وأنشد الأصمعي[(١)]:

كادتِ النَّفْسُ أَنْ تَفِيظَ عَلَيْهِ   إِذْ ثَوَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وَبُرُودِ

ولم يأت منها إلاَّ فَعَل يفعَلُ، وتثنيتهما وجمعهما. ولم يُبْن منها شيءٌ غير ذلك.

قال بعضهم: قد جاءت (كاد) بمعنى (فَعَل) وأنشد قوله الأعشى[(٢)]:

* وكَادَ يَسْمُو إِلَى الجُرْفَيْنِ فَارْتَفَعَا *

أي: سما فارتفع.

قال: ومثله قول ذي الرّمّة[(٣)]:

ولو أَنَّ لُقْمانَ الحكيمَ تَعَرَّضَتْ   لَعَيْنَيْهِ مَيٌّ سَافِراً كادَ يَبْرَقُ

أي لو تعرضت له لَبَرِقَ، أي: دهِش وتحير.

بل

بل: تأتي لتَدَارُكِ كلامٍ غلطتَ فيه، تقول: رأيتُ زيداً بل عمْراً.

ويكون لترك شيء من الكلام وأخذٍ في غيره. وهي في القرآن بهذا المعنى كثير: قال الله تعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١﴾ [ص: ١] ثم قال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢﴾ [ص: ٢] فترك الكلام الأول وأَخَذَ بِبَلْ في كلام ثان. ثم قال حكاية عن المشركين: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ ثم قال: ﴿بَل هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾ فترك الكلام وأَخَذَ ببل في كلام آخر فقال: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص: ٨] في أشباهٍ لهذا كثيرة في القرآن.

---

(١) البيت من الخفيف، وهو بلا نسبة في أدب الكاتب ص ٤٠٦، وأوضح المسالك ١/ ٣١٥، وخزانة الأدب ٩/ ٣٤٨، وشرح الأشموني ١/ ١٢٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٤٨، وشرح شذور الذهب ص ٣٥٤، وشرح ابن عقيل ص ١٦٧، ولسان العرب (نفس)، (فيظ)، ومغني اللبيب ٢/ ٦٦٢.

(٢) صدر البيت:

وما مجاور هيت إن عرضت له

والبيت من البسيط، وهو في ديوان الأعشى ص ١٥٣. وصدر البيت في الصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٦:

حتى تناول كلباً في ديارهم

(٣) البيت من الطويل، وهو في ديوان ذي الرمة ص ٤٦١، ولسان العرب (برق)، والمخصص ١٦/ ١٢٤، وتاج العروس (برق)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٣٢٢، ومجمل اللغة ١/ ٢٥٣.

قال الشاعر[1]:

يَلْ هَلْ أُرِيكَ حُمُولَ الحَيِّ غادِيَةً   كالنَّخلِ زَيَّنَها يَنْعٌ وإِفْضاحُ

وقال آخر[2]:

* بل مَنْ يَرى البَرْقَ يَشري بِتُّ أَرْقُبُهُ *

وإذا وليَتْ اسماً ـ وهي بهذا المعنى ـ: خُفِضَ بها، وشُبِّهت بِرُبَّ وبالواو.

وتأتي مبتدأةً، قال أبو النَّجْم[3]:

* بَل مَنْهَلٍ نَاءٍ مِنَ الغِيَاضِ *

وكذلك (الواو) إذا أتت مُبْتَدَأَة غير نَاسِقَةٍ للكلام على كلام ـ كانت بمعنى رُبَّ.

وهي كذلك في الشعر، كقوله[4]:

* وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُه *

وقال آخر[5]:

---

(١) يروى صدر البيت بلفظ:

يا هل رأيت حمول الحيّ غادية

والبيت من البسيط، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١٦٤، وديوان الهذليين ص ٤٥، ولسان العرب (فضح)، (حمل)، وتاج العروس (فضح)، والأزهية ص ٢٢٢، والكتاب ٤/ ٢٢٣، وبلا نسبة في رصف المباني ص ١٥٧.

(٢) كلمة «يشري» زائدة، ويروى البيت بتمامه:

بلْ من يرى البرق بتُّ أرقُبُه   يزجي حبيّاً إذا خبا ثقَبَا

والبيت من المنسرح، وهو للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ٢٩، والأزهية ص ٢٢، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٣١، والكتاب ٤/ ٢٢٣، وبلا نسبة في رصف المباني ص ١٥٦.

(٣) الرجز لأبي النجم في لسان العرب (قضض)، وتاج العروس (قضض).

(٤) يروى الرجز بتمامه:

وبلدٍ مغبرّةٍ أرجاؤه   كأن لون أرضه سماؤه

والرجز لرؤبة في ديوانه ص ٣، والأشباه والنظائر ٢/ ٢٩٦، وخزانة الأدب ٦/ ٤٥٨، وشرح التصريح ٢/ ٣٣٩، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٧١، ولسان العرب (عمى)، ومعاهد التنصيص ١/ ١٧٨، ومغني اللبيب ٢/ ٦٩٥، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٥٧، وتاج العروس (كبد)، (عمى)، وبلا نسبة في أمالي المرتضى ١/ ٢١٦، والإنصاف ١/ ٣٧٧، وأوضح المسالك ٤/ ٣٤٢، وجواهر الأدب ص ١٦٤، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٣٦، ٦٣٧، وشرح شذور الذهب ص ٤١٤، وشرح المفصل ٢/ ١١٨، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠٢.

(٥) يروى البيت بتمامه:

=

* وَدَوِّيَّةٍ قَفْرٍ تَمْشّى نَعَامُهَا *

وقال آخر(١):

* وهاجِرَةٍ نَصَبْتُ لها جَبِيني *

يَدلُّون بهذه الواو الخافضةِ: على ترك الكلام الأول، واتِّئنافِ كلام آخر.

هل

هل: تكون للاستفهام، ويدخلها من معنى التقرير والتوبيخ ما يدخل الألِفَ التي يُستفهم بها، كقوله تعالى: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ﴾ [الروم: ٢٨]؛ وهذا استفهام فيه تقرير وتوبيخ.

وكذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣٤].

والمفسّرون يجعلونها في بعض المواضع بمعنى: «قد»، كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، أي قد أتى وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية: ١] و: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾ [طه: ٩]؛: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١﴾ [ص: ٢١]، و: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾؟ [الذاريات: ٢٤].

هذا كله عندهم بمعنى: (قد).

ويجعلونها أيضاً بمعنى: (ما) في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] و: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، و: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ [الزخرف: ٦٦]، و: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾؟ [الأعراف: ٥٣]، و: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؟ [النحل: ٣٥].

هذا كله عندهم بمعنى: (ما).

= ودوية قفر تمشى نعاجها كمشي النصارى في خفاف الأرندج

والبيت من الطويل، وهو للشماخ في ديوانه ص ٨٣، والدرر ٤/ ١٣٠، وسر صناعة الإعراب ص ٦٤٩، والكتاب ٣/ ١٠٤، ولسان العرب (ردج)، (دوا)، (مشى)، والمعاني الكبير ١/ ٣٤٦، وهمع الهوامع ٢/ ٢٨.

(١) يروى البيت بتمامه:

فقلت لبعضهن وشد رحلي لهاجرة نصبت لها جبيني

والبيت من الوافر، وهو للمثقب العبدي في المفضليات ص ٢٨٩.

وهو والأوّل عند أهل اللغة تقرير.

لولا ولوْ ما

لولا تكون في بعض الأحوال بمعنى: هَلاَّ وذلك إذا رأيتَها بغير جواب، تقول: لولا فعلت كذا تريد هلاّ، فعلت كذا، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [هود: ١١٦]، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٣]، ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الواقعة: ٨٦]، أي فهلا. وقال ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ [يونس: ٩٨].

وقال الشاعر(١):

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَني ضَوْطَرَى لَوْلاَ الكَمِيَّ المُقَنَّعا

أي: فَهَلا تَعدُّون الكَمِيَّ.

وكذلك (لَوْمَا)، قال: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، [الحجر: ٧] أي هَلاَّ تأتينا.

فإذا رأيتَ لِلَوْلا جواباً فليست بهذا المعنى، كقوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤]، فهذه (لَوْلاَ) التي تكون لأمرٍ لا يقع لوقوع غيره.

وبعض المفسرين يجعل لَوْلاَ في قوله: ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ بمعنى (لَمْ) أي: فلم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانُها عند نزول العذاب إلاّ قومَ يُونُسَ.

وكذلك قوله: ﴿فَلَوْلاَ كانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [يونس: ٩٨] أي فلم يكن.

---

(١) البيت من الطويل، وهو لجرير في ديوانه ص ٩٠٧، وتخليص الشواهد ص ٤٣١، وجواهر الأدب ص ٣٩٤، وخزانة الأدب ٣/ ٥٥، ٥٧، ٦٠، والخصائص ٢/ ٤٥، والدرر ٢/ ٢٤٠، وشرح شواهد الإيضاح ص ٧٢، وشرح شواهد المغني ٢/ ٦٦٩، وشرح المفصل ٢/ ٣٨، ٨/ ١٤٤، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٧٥، ولسان العرب (أمالا)، وتاج العروس (لو)، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٥، والبيت للفرزدق في الأزهية ص ١٦٨، ولسان العرب (ضطر)، ولجرير أو للأشهب بن رميلة في شرح المفصل ٨/ ١٤٥، وبلا نسبة في الأزهية ص ١٧٠، والأشباه والنظائر ١/ ٢٤٠، والجنى الداني ص ٦٠٦، وخزانة الأدب ١١/ ٢٤٥، ورصف المباني ص ٢٩٣، وشرح الأشموني ٣/ ٦١٠، وشرح ابن عقيل ص ٦٠٠، وشرح عمدة الحافظ ص ٣٢١، وشرح المفصل ٢/ ١٠٢، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٦٤، ١٨٢، ومغني اللبيب ١/ ٢٧٤، وهمع الهوامع ١/ ١٤٨.

لما

لمَّا: **تكون بمعنى (لم)** في قوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٨] أي: بل لم يذوقوا عذاب.

وتكون بمعنى (إلاَّ)، قال تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٥] أي: إلاَّ متاعُ الحياة الدنيا، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: ٤] أي: إلاَّ عليها، **وهي لغة هذيل مع** «إنْ» الخفيفة التي تكون بمعنى «ما».

ومَن قرأ ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَا مَتَاعُ﴾ بالتخفيف **﴿وَإِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾** جَعَل (ما) صلة، وأراد: وإن كلُّ ذلك لَمتاع الحياة، وإن كلُّ نفسٍ لَمَا عَلَيها حافظ.

فإذا رأيتَ لِلَمَّا جواباً فهي لأمر يقع بوقوع غيره، بمعنى «حين»، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] أي: حين آسفونا، و﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [هود: ١٠١] أي: حين جاء أمر ربك.

أو

أو: تأتي للشك، تقول. رأيت عبد الله أو محمداً.

وتكون للتخيير بين شيئين، كقوله: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩] وقوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] أنتَ في جميع هذا مُخيَّرٌ أيَّةً فعلت أجزأ عنك.

وربما كانت بمعنى واو النَّسَق.

كقوله: ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾﴾ [المرسلات: ٥، ٦] يريد: عُذراً ونذراً. وقوله: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]؛ أي لعلهم يتقون ويحدث لهم القرآن ذِكرا.

هذا كلُّه عند المفسرين بمعنى واو النَّسَق.

وأما قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٧]، **فإن بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى بل يزيدون**، على مذهب التَّدارك لكلام غَلِطتَ فيه **وكذلك قوله:** ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] **وقوله:** ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٩].

وليس هذا كما تأوَّلوا، وإنما هي بمعنى (الواو) في جميع هذه المواضع: وأرسلناه

إلى مائة ألف ويزيدون، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر وهو أقرب، و: فكان قاب قوسين وأدنى.

وقال ابن أَحْمَرَ(١):

قَرَى عَنْكُمَا شَهْرَينِ أو نصفَ ثالثٍ إلى ذاكُما قد غَيَّبَتْنِي غِيَابِيَا

وهذا البيت يوضح لك معنى الواو: وأراد: قَرى شهرين ونصفاً، ولا يجوز أن يكون أراد قرى شهرين بل نصف شهر ثالث.

وقال آخر(٢):

أَثَعْلَبَةَ الفَوارِسِ أو رِياحاً عَدَلْتَ بِهِم طُهَيَّةَ وَالخِشَابَا

أراد: وعدلت هذين بهذين.

أم

أم: تكون بمعنى أو، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦، ١٧]، وكقوله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ۝٦٨ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ٦٨، ٦٩].

هكذا قال المفسرون، وهي كذلك عند أهل اللغة في المعنى، وإن كانوا قد يفرقون بينهما في الأماكن.

وتكون أَمْ بمعنى ألف الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤]، أراد: أيحسدون الناس؟.

---

(١) يروى صدر البيت بلفظ:

ألا فالبثا شهرين أو نصفَ ثالثٍ

والبيت من الطويل، وهو لابن أحمر في ديوانه ص ١٧١، والأزهية ص ١١٥، وخزانة الأدب ٥/ ٩، وبلا نسبة في الإنصاف ٢/ ٤٨٣، والخصائص ٢/ ٤٦٠، والمحتسب ٢/ ٢٢٧.

(٢) البيت من الوافر، وهو لجرير في ديوانه ص ٨١٤، والأزهية ص ١١٤، وأمالي المرتضى ٢/ ٥٧، وجمهرة اللغة ص ٢٩٠، وخزانة الأدب ١١/ ٦٩، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٢٨٨، وشرح التصريح ١/ ٣٠٠، والكتاب ١/ ١٠٢، ٣/ ١٨٣، ولسان العرب (خشب)، (طها)، والمقاصد النحوية ٢/ ٥٣٣، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/ ١٦٦، والرد على النحاة ص ١٠٥، وشرح الأشموني ١/ ١٩٠.

وقوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾﴾ [ص: ٦٢، ٦٣]، أي زاغت عنهم الأبصار وألف اتخذناهم موصولة.

وكقوله: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩]، أراد: أَلَهُ البنات ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الطور: ٤٠]. أراد: أتسألهم أجراً ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الطور: ٤١]، أراد: أعندهم الغيب.

وهذا في القرآن كثير، يدلُّك عليه قوله: ﴿الم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ١، ٣]، ولم يتقدم في الكلام: أيقولون كذا وكذا فترد عليه: أم تقولون؟ وإنما أراد أيقولون: افتراه، ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ الحقُّ مِن رَبِّكَ﴾.

لا

لا: تكون بمعنى لَمْ، قال الله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ [القيامة: ٣١]، أي لَمْ يصدِّق ولم يُصلِّ، وقال الشاعر(١):

وَأَيُّ خَمِيسٍ لا أَفَأْنَا نِهَابَهُ ... وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ كَبْشِهِ دَمَا؟!

أَيْ لَمْ نُفِىءْ نِهَابَهُ. وقال آخر(٢):

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا

أي لم يُلمّ بالذّنوب.

أولى

أولى: تَهَدُّدٌ وَوعِيدٌ، قال الله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) البيت من الطويل، وهو لطرفة في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٨، والكامل ٢/ ٩٣، وبلا نسبة في الأزهية ص ١٥٨، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٦٥، وتفسير البحر المحيط ٨/ ٣٩، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٢٢٨.

(٢) الرجز لأبي خراش الهذلي في الأزهية ص ١٥٨، وخزانة الأدب ٧/ ١٩٠، وشرح أشعار الهذليين ٣/ ١٣٤٦، وشرح شواهد المغني ص ٦٢٥، ولسان العرب (جمم)، والمقاصد النحوية ٤/ ٢١٦، وتاج العروس (جمم)، ولأمية بن أبي الصلت في الأغاني ٤/ ١٣١، ١٣٥، وخزانة الأدب ٤/ ٤، ولسان العرب (لمم)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٤٧، ٤٢٠، وكتاب العين ٨/ ٣٥٠، وتاج العروس (لمم)، ولأمية أو لأبي خراش في خزانة الأدب ٢/ ٢٩٥، ولسان العرب (لمم)، وبلا نسبة في الإنصاف ص ٧٦، وجمهرة اللغة ص ٩٢، والجنى الداني ص ٢٩٨، ولسان العرب (لا)، ومغني اللبيب ١/ ٢٤٤، وكتاب العين ٨/ ٣٢١، وديوان الأدب ٣/ ١٦٦، وتاج العروس (لا).

[القيامة: ٣٤، ٣٥]، وقال: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٠]. ثم ابتدأ فقال: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١].

وقال الشاعر لمنهزم(١):

أَلْفِيَتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ القَفَا أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَاقِيَهْ

لا جرم

لا جَرَمَ: قال الفراء: هي بمنزلة لا بُدّ ولا محالة، ثم كثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة حَقّاً. وأصلها من جَرَمْتُ: أي كَسَبْتُ.

وقال في قول الشاعر(٢):

ولقد طَعَنْتُ أَبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَها أَنْ يَغْضَبُوا

أي كَسَبَتْهُم الغضب أبداً.

قال: وليس قولُ من قال: حُقّ لفزارةَ الغضبُ؛ بشيءٍ.

ويقال: فلانٌ جَارِمُ أَهْلِه، أي كاسِبُهم، وجَرِيمَتُهم.

ولا أَحْسَب الذَّنبَ سُمّي جُرْماً إلاّ مِن هذا: لأنه كَسْب واقْتِرَاف.

إن الخفيفة

إن الخفيفة: تكون بمعنى (ما)، كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠]، و﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ [يس: ٢٩]، و﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝﴾ [الطارق: ٤].

وقال المفسرون: وتكون بمعنى لَقَدْ، كقوله: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:

(١) البيت من السريع، وهو لعمرو بن ملقط في تخليص الشواهد ص ٤٧٤، وخزانة الأدب ٩/ ٢١، وشرح التصريح ١/ ٢٧٥، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٣١، والمقاصد النحوية ٢/ ٤٥٨، ونوادر أبي زيد ص ٦٢، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/ ٩٨، ورصف المباني ص ١٩، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٧١٨، وشرح المفصل ٣/ ٨٨، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٧، ومغني اللبيب ٢/ ٣٧١، وأمالي ابن الشجري ١/ ١١٦، والمعاني الكبير ٢/ ٨٩٩.

(٢) البيت من الكامل، وهو لأبي أسماء بن الضريبة في لسان العرب (جرم)، وله أو لعطية بن عفيف في خزانة الأدب ١٠/ ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٨، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ١٣٦، ولرجل من فزارة في الكتاب ٣/ ١٣٨، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٦٢، والاشتقاق ص ١٩٠، وجمهرة اللغة ص ٤٦٥، وجواهر الأدب ص ٣٥٥، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٥٠، والمقتضب ٢/ ٣٥٢.

١٠٨] و﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ [الشعراء: ٩٧] و﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ [الصافات: ٥٦] و﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: ٢٩].

وقالوا أيضاً: وتكون بمعنى إذ، كقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٢٩]، أي إذ كنتم. وقوله: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

وقوله: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وهي عند أهل اللغة (إن) بَعَينِها، لا يجعلونها في هذه المواضع بمعنى (إذْ) ويذهبون إلى أنه أراد: من كان مؤمناً لم يَهِنْ ولم يَدْعُ إلى السَّلم، ومن كان مؤمناً لم يَخْشَ إلا الله، ومَنْ كان مؤمناً ترك الرِّبا.

ها

ها: بمنزلة خُذْ وتَنَاوَلْ، تقول: هَا يَا رَجُلُ. **وتأمر بها، ولا تنهى.**

ومنها قول الله تعالى: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]، ويقال للاثنين: هاؤُمَا اقرءا.

وفيها لغات، والأصل: هَاكُم اقْرَؤوا، فحذَفُوا الكافَ، وأبدلوا الهمزة، وألقَوْا حَرَكَةَ الكاف عليها.

هات

هاتِ: بمعنى أعْطِني، مكسورة التاء، مثل رَامٍ وغازٍ وعاطِ فُلاناً: قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، أي ائتوا به.

قال الفراء: ولم أسمع هَاتِيَا في الاثنين، إنما يقال للواحد والجميع، وللمرأة: هاتي، وللنِّساء: هاتِينَ. وتقول: ما أُهَاتِيكَ، بمنزلة مَا أُعَاطِيكَ. وليس من كلام العرب هاتَيْتُ. ولا يُنْهَى بها.

تعال

تعالَ: تفاعل من عَلَوْت، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١].

ويقال للاثنين من الرجال والنساء: تَعَالَيَا، وللنساء: تَعَالَيْنَ.

قال الفراء أصلها عَالِ إلَيْنَا، وهو من العُلُوّ.

ثم إن العرب لكثرة استعمالهم إيَّاها صارت عندهم بمنزلة هَلُمَّ، حتى استجازُوا أن يقولوا للرجل وهو فوق شَرَفٍ: تَعَالَ، أي اهبط، وإنما أصلها: الصعود.

ولا يجوز أن يُنْهَى بها، ولكن إذا قَالَ: تَعال، قلت: قد تَعَالَيْتُ وإلى شيءٍ أَتَعَالَى؟

هلم

هلم: بمعنى تعالى، وأهل الحجاز لا يُثَنُّونَها ولا يجمعونها. وأهل نجد يجعلونَها من هَلْمَمت، فيُثَنُّونَ ويَجمعُون ويُؤَنِّثُون. وتوصل باللام فيقال: هَلُمَّ لَكَ، وهُلمَّ لَكُمَا.

قال الخليل: أصلها (لَمّ) زيدت الهاء في أوّلها.

وخالفه الفراء فقال: أصلها (هَلْ) ضُمَّ إليها (أُمّ) والرَّفْعَةُ التي في اللام من همزة (أُمَّ) لَمَّا تُرِكَت انتقلت إلى ما قبلها.

وكذلك (اللهم) نرى أصلها: (يا الله أُمَّنَا بِخَيْرٍ) فكثرت في الكلام فاختلطت، وتُرِكت الهمزة.

كلا

كلا: ردْعٌ وزجر، قال الله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ﴾ [المعارج: ٣٨، ٣٩].

قال: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾﴾ [المدثر: ٥٢، ٥٣].

وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ [القيامة: ١٩، ٢٠] يريد: انتهِ عن أن تَعْجَلَ به.

وقال: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾ [الهمزة: ٣، ٤]، أَي لا يخلده مالُه. ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾﴾ [الانفطار: ٨، ٩]، أي ليس كما غُرِرْتَ به.

وقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو

وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا﴾ [المطففين: ١، ٧]. يريد: انتهوا.

رُوَيْداً

رُوَيْداً: بمعنى مهلاً، رُوَيْدَكَ: بمعنى أمهل، قال الله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٧] أي: أمهلهم قليلاً.

وإذا لم يتقدمها: أمهلهم، كانت بمعنى مَهْلاً.

ولا يتكلَّمُ بها إلاَّ مصغَّرة ومأموراً بها.

وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير معنى الأمر، قال الشاعر[1]:

* كأنها مِثْلُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رُودِ *

أي على مهل.

ألاَ

ألا: تَنْبيه: وهي زيادة في الكلام، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨]. وقال: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [هود: ٥].

وتقول: ألا إنَّ القوم خارجون: تريد بها: افهم اعْلَمْ أنَّ الأمر كذا وكذا.

الويل

الويل: كلمة جامعة للشر كله. قال الأصمعي: وَيْلٌ تَقْبيح، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]. تقول العرب: له الوَيْلُ، والأَلِيل والأليل: الأنين.

وقد توضع في موضع التَّحسُّر والتَّفجع، كقوله: ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ [الأنبياء: ١٤]. و﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ﴾ [المائدة: ٣١]. وكذلك: وَيْحٌ ووَيْسٌ، تصغير.

---

(١) يروى البيت بتمامه بلفظ:

تكاد لا تَثْلِمُ البطحاء وطأتُها   كأنها ثَمِلٌ يمشي على رُودِ

والبيت من البسيط، وهو للجموح الظفري في شرح أشعار الهذليين ص ٨٧٢، ولسان العرب (رود)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢٣، ومجمل اللغة ٢/ ٤٣٤، وتاج العروس (رود)، وأساس البلاغة (رود)، وبلا نسبة في لسان العرب (رأد)، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٥٨، والمخصص ١٤/ ٨٩، وتهذيب اللغة ١٤/ ١٦٢، وتاج العروس (رأد).

لعمرك

لَعَمْرُكَ، ولَعمْرُ الله: هو العُمْر. ويقال: أطال الله عُمْرك، وعَمْرَك، وهو قسم بالبقاء.

إي

إي: بمعنى بلى، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]. ولا تأتي إلا قبل اليمين، صِلةً لها.

لدُن

لَدُن: بمعنى عِند، قال تعالى: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦] أي بلغت من عندي.

وقال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ [الأنبياء: ١٧] أي من عندنا.

وقد تحذف منها النون، كما تحذف من (لم يكن) قال الشاعر[(١)]:

* مِنْ لَدُ لَحيَيْهِ إلى مُنْحُورِهِ *

أي من عند لَحيَيه.

وفيها لغة أخرى أيضاً: لدى، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥] أي عند الباب.

---

(١) يروى الرجز بتمامه:

يستوعب البُوعين من جريره ... من لد لحييه إلى منحوره

والرجز لغيلان بن حريث في لسان العرب (نحر)، (لدن)، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٨٠، وشرح شواهد الشافية ص ١٦١، والكتاب ٤/ ٢٣٤، والتنبيه والإيضاح ٢/ ٢١١، وتاج العروس (نحر)، (نخر)، (لدن)، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٣٣، وشرح المفصل ٢/ ١٢٧، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٦٩، وديوان الأدب ١/ ٣٠٨، ٢/ ٦٩، والمخصص ١٤/ ٥٩.

باب دخول حُروف الصِّفات مكان بَعضٍ

«في» مكان «عَلَى»

قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي على جذوع النخل.

قال الشاعر[(١)]:

وَهُمْ صَلَبُوا العَبْدِيَّ في جِذْعِ نَخْلَةٍ ... فلا عَطَسَتْ شيبانُ إلاّ بأجْدَعا

وقال عَنْتَرة[(٢)]:

بَطَلٌ كأنَّ ثِيَابَهُ في سَرْحَة ... يُحْذَى نِعَالَ السِّبْتِ لَيْسَ بِتَوْأَمِ

أي على سرحه من طوله.

«الباء» مكان «عن»

قال الله تعالى ﴿فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، أي عنه.

قال عَلْقَمَة بن عَبَدَة[(٣)]:

---

(١) البيت من الطويل، وهو لسويد بن أبي كاهل في ملحق ديوانه ص ٤٥، والأزهية ص ٢٦٨، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٧٩، ولسان العرب (عبد)، (شمس)، ولامرأة من العرب في الخصائص ٢/ ٣١٣، وشرح المفصل ٨/ ٢١، ولسان العرب (فيا)، وتاج العروس (فيا)، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥٠٦، ورصف المباني ص ٣٨٩، ومغني اللبيب ١/ ١٦٨، والمقتضب ٢/ ٣١٩، وتفسير البحر المحيط ٦/ ٢٦١، وتفسير الطبري ١٦/ ١٤١، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٢٨، والكامل ٢/ ٧١.

(٢) البيت من الكامل، وهو في ديوان عنترة ص ٢١٢، وأدب الكاتب ص ٥٠٦، والأزهية ص ٢٦٧، وجمهرة اللغة ص ٥٢١، ١٣١٥، وخزانة الأدب ٩/ ٤٨٥، ٤٩٠، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٧٩، والمنصف ٣/ ١٧، ولسان العرب (سرح)، وشرح القصائد العشر ص ١٩٩، والكامل ١/ ٥٥، والعمدة ١/ ٢٨٨، وأمالي المرتضى ٢/ ١٥، والمعاني الكبير ١/ ٤٨٨، وبلا نسبة في الخصائص ٢/ ٣١٢، ورصف المباني ص ٣٨٩، وشرح الأشموني ٢/ ٢٩٢، وشرح المفصل ٨/ ٢١، ومغني اللبيب ١/ ١٦٩، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٢٥٨.

(٣) البيت من الطويل، وهو لعلقمة الفحل (علقمة بن عبدة) في ديوانه ص ٣٥، وأدب الكاتب =

فإنْ تَسْألوني بالنِّساءِ فإنَّني بَصيرٌ بأدْوَاءِ النِّسَاءِ طَبِيبُ

أي عن النساء.

وقال ابن أَحْمَر(١):

تُسَائِلُ بِابْنِ أَحْمَرَ مَنْ رَآهُ أَعَارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعَارَا

«عن» مكان «الباء»

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النجم: ٣]، أي بالهوى.

والعرب تقول: رميتُ عن القوس، أي رميت بالقوس.

«اللام» مكان «على»

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢] أي لا تجهروا عليه بالقول.

والعرب تقول: سقط فلانٌ لِفِيه، أي على فيه. قال الشاعر(٢):

= ص ٥٠٨، والأزهية ص ٢٨٤، والجنى الداني ص ٤١، وحماسة البحتري ص ١٨١، والدرر ٤/ ١٠٥، والمقاصد النحوية ٣/ ١٦، ٤/ ١٠٥، وهمع الهوامع ٢/ ٢٢، وبلا نسبة في جواهر الأدب ص ٤٩، ورصف المباني ص ١٤٤.

(١) يروى البيت بلفظ:

ورُبِّتَ سائلٍ عنّي حفيٍّ أعارت عينهُ أم لم تعارا

والبيت من الوافر، وهو لابن أحمر في ديوانه ص ٧٦، وأدب الكاتب ص ٥٠٨، والأزهية ص ٢٦٢، وجمهرة اللغة ص ٦٨، وشرح شواهد الشافية ص ٣٥٣، ولسان العرب (عور)، (غور)، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٣٨٢، وجمهرة اللغة ص ٧٧، ١٠٦٦، وخزانة الأدب ٥/ ١٩٨، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٩٩، وشرح المفصل ١٠/ ٧٥، ولسان العرب (عور)، والمنصف ١/ ٢٦٠، ٣/ ٤٢.

(٢) صدر البيت:

تناوله سريعاً بالرمح ثم انْثَنَى له

والبيت من الطويل، وهو لجابر بن حني في شرح اختيارات المفضل ص ٩٥٥، وشرح شواهد المغني ٢/ ٥٦٢، وللأشعث الكندي في الأزهية ص ٢٨٨، ولربيعة بن مكدم في الأغاني ١٦/ ٣٢، ولعصام بن المقشعر في معجم الشعراء ص ٢٧٠، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥١١، والجنى الداني ص ١٠١، ورصف المباني ص ٢٢١، وشرح الأشموني ٢/ ٢٩١، ومغني اللبيب ١/ ٢١٢، وتفسير البحر المحيط ٦/ ١٠، ٨٨.

* فَخَرَّ صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ *

قال الآخر[1]:

* مُعَرَّسُ خَمْسٍ وُقِّعَتْ لِلجناجِنِ *

«إلى» مكان «مع»

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي مع أموالكم. ومثله: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، أي مع الله.

والعرب تقول: الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إبِلٌ[2]، أي مع الذَّود.

قال ابن مُفَرِّغ[3]:

شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوابِق فيهم في وجُوهٍ إلى اللِّمَامِ الجِعَادِ

أراد مع اللِّمام الجِعادِ.

«اللام» مكان «إلى»

قال الله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: ٥]، أي أوحى إليها.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، أي إلى هذا.

يدلك على ذلك قوله في موضع آخر: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] وقولُه: ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١].

«على» مكان «مِنْ»

قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ [المطففين: ٢]، أي مع الناس.

---

(١) صدر البيت: كأنَّ مخوّاها على ثفناتها
والبيت من الطويل، وهو للطرماح في ديوانه ص ٤٩١، والاقتضاب في شرح أدب الكاتب ص ٤٣٩، والمعاني الكبير ٢/ ١١٩٠، وأمالي المرتضى ٢/ ٢٥، ٤/ ٣، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥١١، ورصف المباني ص ٢٢٢.

(٢) انظر المثل في مجمع الأمثال ١/ ٢٨٨، ولسان العرب (ذود).

(٣) البيت من الخفيف، وهو ليزيد بن مفرغ في ديوانه ص ١١٨، وأدب الكاتب ص ٥١٦، والأزهية ص ٢٧٣، والإنصاف ص ٢٦٦، ولسان العرب (شدخ)، (لمم)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٥٧٨.

وقال صَخْر الغَيّ[1]:

مَتَى ما تُنْكِرُوها تَعْرِفُوها ... على أَقْطَارِها عَلَقٌ نَفِيثُ

أي من أقطارها.

ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ [المائدة: ١٠٧]، أي منهم.

«مِنْ» مكان «الباء»

قال الله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي بأمر الله.

وقال تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [غافر: ١٥]، أي بأمره.

وقال: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ﴾ [القدر: ٤، ٥]، أي بكل أمر.

«الباء» مكان «مِنْ»

تقول العرب: شربت بماء كذا وكذا، أي من ماء كذا.

قال الله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: ٢٨] و﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]. ويكون بمعنى يشربها عباد الله ويشرب منها.

قال الهُذَلِيّ وذَكَر السَّحائِبَ[2]:

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثم ترفَّعتْ ... متى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

أي شربن من ماء البحر.

---

(١) البيت من الوافر، وهو لأبي المثلم الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ٢٦٤، والأزهية ص ٢٧٦، ولصخر الغي في خزانة الأدب ٢/ ١٩٩، وتاج العروس (نفث)، ولسان العرب (نفث).

(٢) البيت من الطويل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في الأزهية ص ٢٠١، والأشباه والنظائر ٤/ ٢٨٧، وجواهر الأدب ص ٩٩، وخزانة الأدب ٧/ ٩٧-٩٩، والخصائص ٢/ ٨٥، والدرر ٤/ ١٧٩، وسرّ صناعة الإعراب ص ١٣٥، ٤٢٤، وشرح أشعار الهذليين ١/ ١٢٩، وشرح شواهد المغني ص ٢١٨، ولسان العرب (شرب)، (مخر)، (متى)، والمحتسب ٢/ ١١٤، والمقاصد النحوية ٣/ ٢٤٩، وديوان الهذليين ١/ ٥١، والاقتضاب ص ٤٤٧، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٥١٥، والأزهية ص ٢٨٤، وأوضح المسالك ٣/ ٦، والجنى الداني ص ٤٣، ٥٠٥، وجواهر الأدب ص ٤٧، ٣٧٨، ورصف المباني ص ١٥١، وشرح الأشموني ص ٢٨٤، وشرح ابن عقيل ص ٣٥٢، وشرح عمدة الحافظ ص ٢٦٨، وشرح قطر الندى ص ٢٥٠، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٥، ومغني اللبيب ص ١٠٥، وهمع الهوامع ٢/ ٣٤.

وقال عَنترة[١]:

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ   زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

وقال عز وجل: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود: ١٤]، أي مِنْ علم الله.

«من» مكان «في»

قال الله تعالى: ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠]، أي في الأرض.

«من» مكان «على»

قال الله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧]، أي على القوم.

«عن» مكان «مِن»

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥]، أي من عباده. وتقول: أخذت هذا عنك، أي منك.

«من» مكان «عن»

تقول: لَهِيتُ من فلان، أي عنه. و: حدثني فلان من فلان.

أي عنه.

«على» بمعنى «عند»

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ [الشعراء: ١٤]، أي عندي.

«الباء» مكان «اللام»

قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٩] أي للحق.

(١) البيت من الكامل، وهو في ديوان عنترة ص ٢٠١، وأدب الكاتب ص ٥١٥، والأزهية ص ٢٨٣، وجمهرة اللغة ص ٨٧٢، ١١٧٠، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٣٤، ولسان العرب (نبت)، (حرض)، (وسع)، (وشع)، (ولم)، والمحتسب ٢/ ٨٩، وتاج العروس (دلم)، والبيت بلا نسبة في رصف المباني ص ١٥١، وشرح المفصل ٢/ ١١٥.

وجدتُ في آخر كتاب المشكل تفسير بعض ما فيه من الأحاديث والأمثال فألحقته به[(١)].

١ـ قول النبي ﷺ: «النَّاسُ كَإِبِلٍ مَائَةٍ لَيْسَ فِيهَا رَاحِلَةٌ»[(٢)].

الإبل المائة: هي الرَّاعية، وإنما يجتمع منها في المرعى الواحد مائة، فتقام المائة مُقام القطيع. يقال: لفلان إبل مائة. وهي أيضاً هُنَيْدَة[(٣)]. وإذا كان الإبل مائة ليست فيها راحلة تشابهت في المناظر؛ لأن الراحلة تتميز منها بالتمام وحسن المنظر.

فأراد: أنهم سواء في الأحكام وفي القصاص، ليس لشريف فضل على غيره.

وهذا مثل قوله عليه السلام: النَّاسُ سواء كأسنان المُشْط[(٤)].

والعرب تقول في هذا المعنى: هم سواء كأسنان الحمار.

٢ـ وقوله: إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ ما يَقْتُل حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ[(٥)].

فالحَبَطُ: أن تأكل الناقة في المرعى فتكثر حتى تنتفخ بطنها. ولذلك قيل لقوم من العرب: الحَبِطَات؛ لأن أباهم كان أكل صَمْغاً حتى حَبِطَ بطنُه فسمي: الحَبِطَ. وهو الحارث بن تميم.

وقوله: أَوْ يُلِمُّ؛ يعني يقارب أن يَقْتُل.

وإنما نهى رسول الله ﷺ عن الاستكثار من الدنيا ومن غَضَارَتِها وحسنها إذا كان في ذلك ما يهلك. فضرب استكثار البهيمة من العشب في الربيع حتى يقلتها حَبَطاً مَثَلاً لذلك.

٣ـ وقوله للضَّحَّاك بن سُفيان: إِذَا أَتَيْتَهُمْ فَارْبِضْ في دَارِهِمْ ظَبْياً[(٦)].

يُرَادُ: أقم ولا تحدث شيئاً كأنك ظَبيٌ قد استقر في الكِنَاسِ.

---

(١) هذا من قول ناسخ الكتاب، بعد فراغه من نسخه في جمادى الأولى سنة ٥٣٢هـ.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٣) هنيدة: اسم للمائة من الإبل خاصة.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٧/ ٥٧، وابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٨٠، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٥/ ١٠٩٩، وميزان الاعتدال ٢/ ٢١٧، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٣٢٦، والدولابي في الكنى ١/ ١٦٨.

(٥) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٦) تقدم الحديث مع تخريجه.

٤ـ وقوله: الكاسِيَاتُ العَارِياتُ لا يَدْخُلْنَ الجنّةَ[(١)].

يعني النساء اللَّوَاتي يلبسن رِقَاقَ الثِّيَاب، فهنَّ كاسيات إذا لبسن، عاريات إذا كن لا يَسْتُرْهُنّ.

٥ـ وقوله في كتاب صُلْح: وَإِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَيْبَةً مَكْفُوفَةً[(٢)].

يريد: صدراً نقيّاً من الغِلِّ والعداوة، مُنْطَوِياً على الوفاء. والعرب تسمي الصُّدُور: الْعِيَاب. قال الشاعر[(٣)]:

وكـادَتْ عِـيَـابُ الـوُدِّ مِـنَّـا ومِـنْـكُـمُ وإن قِـيـلَ أَبْـنـاءُ الـعُـمُـومـةِ تَـصْـفَـرُ

تَصْفَرُ: تخلو من المحبة.

والـمَكْفُوفَةُ: الـمُـشْـرَجَـةُ: يـقـال: أَشْـرَجَ صَـدْرَهُ عـلـى كـذا؛ أي طَـوَى. قـال الشَّمَّاخ[(٤)]:

وكـادتْ غَـدَاةَ الـبَـيْـنِ يَـنْـطِـقُ طَـرْفُـهـا بِـمَا تحتَ مَكْنُونٍ مِن الصَّدْرِ مُشْرَجِ

٦ـ وقوله ﷺ: «أَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُم مِن قِبَلِ اليَمَنِ»[(٥)].

يريد: أجد الفَرَجَ يأتيني من قِبَلِ اليمن ـ فأتاه الله من جهة الأنصار.

وكذلك قوله: لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فإنها من نَفَس الرحمن[(٦)].

يريد: أن الله يُنفِّس بها، ويُفرِّج بها. وقد فرّج الله بها عنه ليلة الأحزاب، قال الله جل اسمه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

وقال: اللهم نفِّس عني الكرب، ونفِّس عني الأذى. كما قال: فرِّج عني.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٣) البيت من الطويل، وهو لبشر بن أبي خازم في أساس البلاغة (عيب)، وليس في ديوانه، وللكميت في ديوانه ١/ ١٦٩، والمعاني الكبير ص ٥٢٧، وبلا نسبة في لسان العرب (عيب)، (كفف)، وتاج العروس (عيب)، (كفف)، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٣٦، وكتاب العين ٢/ ٢٩٤.

(٤) البيت من الطويل، وهو في ديوان الشماخ ص ٨.

(٥) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٦) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٩/ ١٩، ١٠/ ٢١٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٠٣، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦٥، وابن ماجه حديث ٣٧٢٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٧٢.

ومما يزيد ذلك وضوحاً قول عمر رضي الله عنه: الريح من روح الله فلا تسبُّوها[(١)].

٧ـ وقول أبي بكر رضي الله عنه: نحن حَفْنَةٌ من حَفَنات الله[(٢)].

يريد: نحن وإن كنا كثيراً في العدد قليل عند الله، كالحَفْنة، والحَفْنة: ما حَفَنَهُ الرجلُ بيده فألقاه. يقال: حفن له من المال، إذا أعطاه بكفّه.

٨ـ وقول عمر رضي الله عنه لِلْعَرِيف الذي أتاه بالمَنْبُوذِ: عَسَى الغُوَيْرُ أبْؤُساً[(٣)].

فقال بعضهم: هو تصغير غار. وهو مثل للعرب. ويقال: إن أول من قاله بَيْهَسٌ الذي يلقب بالنَّعَامة في حُمْقِهِ، وكان قد وجد قاتلي إخوته في غار فهجم عليهم في ذلك الغار فقتلهم، فهو أحد من طلب بثأر فلحقه. وإنما عسى أن يكون الغوير أضمر لنا وأخفى أبؤساً، وهو جمع بائس. ويقال: الغوير: ماء.

٩ـ وقول عليّ كرم الله وجه: مَنْ يَطُلْ هَنُ أَبِيهِ يَنْتَطِقْ به[(٤)].

يريد: منْ كَثُر إخوتُه عزَّ بهم فامْتَنَع. وَضرب النِّطاق مثلاً لذلك؛ لأنه يَشُدُّ الظَّهْرَ. ومثله قول الشاعر[(٥)]:

فلو شاءَ ربي كانَ أيْرُ أبيكُمُ طويلاً كأيرِ الحارثِ بنِ سَدُوسِ

والحارث بن سَدُوس من شَيْبان، وكان له أحد وعشرون ذكراً.

١٠ـ وقول عمر رضي الله عنه: أَيُّمَا رَجُلٍ بَايَعَ عَنْ غَيْرِ مُشَاوَرَةٍ، فلا يُؤَمَّرُ واحدٌ منهما تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلا[(٦)].

---

(١) روي الحديث بلفظ: «الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوها». أخرجه أبو داود حديث ٥٠٩٧، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٨، ٥١٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٦١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٨٥، والهيثمي في موارد الظمآن ١٩٨٩، والبغوي في شرح السنة ٤/ ٣٩٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح ١٥١٦، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦٥، والشافعي في مسنده ٨٢، والبخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١٦٧.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٤) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٥) البيت من الطويل، وهو للسرادق السدوسي في تاج العروس (أبر)، وبلا نسبة في لسان العرب (أبر)، (نطق)، (هنا)، وتهذيب اللغة ١٥/ ٣٢٩، وثمار القلوب ص ١٤٣، وتاج العروس (نطق).

(٦) تقدم الحديث مع تخريجه.

يريد: إذا بايع الرجل رجلاً عن غير مشاورة الناس، يعني مبايعة الإمْرَة، فلا يُؤَمَّر واحد منهما، لا المُبَايِعُ ولا المُبَايَعُ حتى يكون ذلك عن اجتماع مَلإٍ من الناس؛ لأنه لا يُؤْمَنُ أن يُقْتَلا جميعاً.

وتَغِرَّةً هاهنا: مصدر غَرَرْتُ به تَغِرَّة وتغريراً، مثل عَلَّلْتُهُ تَعِلَّةً وتَعْليلاً. وهذا قول أبي عُبَيْدَة.

١١ـ والعرب تقول: حَوْرٌ في مَحَارَةٍ[١].

والحَوْر: النُّقصان. والمحارَة: المُنْقَصَة، وهذا كما يقول الناس: هذا نقصان في نقصان، وخسران في خسران.

١٢ـ وقولهم: جَرْيُ المذَكِّيَاتِ غِلاَبٌ[٢].

فالمُذَكِّياتُ: الخيل المَسَانُّ. والغِلاء: أن تتغالى في الجري، أي كأنها تتبارى في ذلك، وليست كالصغيرة التي لا تتغالى. وقد يروى: «غِلابٌ» مكان «غِلاءٌ».

١٣ـ وقوله: عِيلَ مَا هُوَ عَائِلُه[٣]، مثل.

ومعنى عِيلَ: أي أُثْقِلَ. يقال: عالَني الشيءُ أي أثقلني. كأنه قال: أثقل ما هو مثله. كأنه يُدعَى له ويُدْعَى على الذي أثقله.

قال ابن مُقْبِلٍ يصف فرساً[٤]:

خَدَى مِثْلَ خَدْيِ القَالِجِيِّ ينوشُني بخَبْطِ يَدَيْهِ عِيْلَ ما هو عائِلُه

١٤ـ وقولهم: وإنَّهُ لَشَرَّابٌ بأَنْقُعٍ[٥].

قاله الحجّاج لأهل العراق: إنكم يا أهل العراق شاربون بأَنْقُع.

وأصله في الطير، وذلك أن الطائر إذا كان حذراً منكراً لم يرد المياهُ التي يردها الناس ـ: لأن الأشراكَ تُنصب عِنْدَها ـ ووَرَد النِّقَاعَ، والمَنَاقِعَ التي في الفَلَوات.

١٥ـ وقولهم: عَاطٍ بِغَيْرِ أَنْوَاطٍ[٦].

(١) تقدم المثل مع تخريجه.
(٢) تقدم المثل مع تخريجه.
(٣) تقدم المثل مع تخريجه.
(٤) البيت من الطويل، وهو في ديوان ابن مقبل ص ٢٥١، ولسان العرب (عول)، وتهذيب اللغة ٣/ ١٩٥، والمخصص ١٢/ ٢٠٦، وتاج العروس (عول).
(٥) تقدم المثل مع تخريجه.
(٦) تقدم المثل مع تخريجه.

العاطي: المُتناولُ. ويقال عَطَوْت: إذا تناولت، أَعْطُو. ومنه قول الشاعر في صفة الظبية[١]:

* وَتَعْطُو بِظِلْفَيْها إذا الغصنُ طَالَهَا *

والأَنْوَاطُ: المعَاليقُ، واحد نَوْط. أراد أن هذا يصعب عليه ما يرومه كمن تناول بغير مِعْلاق.

١٦ـ وقوله: إلاّ دَهِ فَلاَ دَهِ[٢].

يريدون: إن لم يكن هذا الأمر لم يكن غيره. وهو مثل قول رُؤْبة[٣]:

* وقُـــــوّلٌ إلاّ دَهِ فــــــلا دهِ

يروي أهل العربية أن الدال فيه مبدلة من ذال، كأنهم أرادوا: إن لم تكن هذه لم تكن أخرى.

١٧ـ وقولهم: النُّفَاضُ يُقَطِّرُ الجَلَبَ[٤].

النُّفَاضُ: الفقر، يقال: أنفض القوم وأنفدوا: إذا ذهب ما عندهم.

وقولهم: يُقَطِّرُ الجَلَبَ، يريدون: أنهم يَجْلبُونَ من البادية إلى المصر، ليبيعوها من فقرهم.

١٨ـ وقولهم: بِهِ داءُ ظَبي[٥].

يريدون: أنه صحيح لاداء به، كما أن الظبي لا داءَ به.

١٩ـ وقولهم: أَرَاكَ بَشَرٌ مَا أحارَ مِشْفَرٌ[٦].

يريدون: بشرة البعير ـ ومشفره: سمته ـ تدلك على جودة أكله، وأَحَارَ. رَدَّ إلى جَوفه.

---

(١) الشطر من الطويل، ولم أجده في المصادر والمراجع التي بين يدي.
(٢) تقدم المثل مع تخريجه.
(٣) الرجز لرؤبة في ديوانه ص ١٦٦، ولسان العرب (قول)، (دهده)، (دها)، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٥٥، ٣٥٦، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٦٢، وتاج العروس (قول)، (دهده).
(٤) تقدم المثل مع تخريجه.
(٥) تقدم المثل مع تخريجه.
(٦) تقدم المثل مع تخريجه.

٢٠ـ وقولهم: أَفْلَتَ فُلانٌ بِجُرَيْعَةِ الذَّقَن[١].

يريدون: أنه أفلت نفسه فيه، كما قال الهذليّ[٢]:

نَجَا سالِمٌ والنَّفْسُ منهُ بشِدْقِهِ ولَمْ يَنجُ إلا جَفْنَ سَيْفٍ وَمِئْزَرا

٢١ـ وقولهم: غُبارُ ذَيلِ المرأةِ الفَاجِرَةِ يورِثُ السُّلَّ[٣].

يريدون: من اتبع الفواجر ذهب ماله. ضرب السل في البدن مثلاً لذهاب المال.

٢٢ـ وقولهم: كَبَارِحِ الأَرْوِيّ[٤].

يريدون أنه مَشْؤُوم من وجهتيه، وذلك أن الأُرْوِي يتشاءم بها من حيث أتت. وإذا برحت كان أعظم لشؤمها.

٢٣ـ وقولهم: عَبْدٌ وخَلًى في يَدَيْهِ[٥].

وهذا مثل يضرب للئيم البطر. والخلى: وهو[٦] . . .

عندهم الكلأ خَصِبُوا، والعبد لئيم، فإذا وقع في الخِصْبِ بَطِرَ وهذا مثل قوله[٧]:

قَوْمٌ إذا نَبَتَ الرَّبِيعُ لَهُمْ نَبَتَتْ عَدَاوَتُهُم مَعَ البَقْلِ

وقال آخر[٨]:

يَابْنَ هِشَامٍ أَفْسَدَ النَّاسَ اللَّبَنْ فَكُلُّهُمْ يَمْشِي بِقَوْسٍ وَقَرَنْ

٢٤ـ وقولهم: رَمَّدَتِ الضَّأنُ فَرَبِّقْ رَبِّقْ؛ وَرَمَّدَت المِعْزَى فَرَنِّقْ رَنِّقْ[٩].

---

(١) تقدم المثل مع تخريجه.

(٢) البيت من الطويل، وهو لحذيفة بن أنس الهذلي في شرح أشعار الهذليين ٢/ ٥٥٨، والعقد الفريد ٥/ ٢٤٤، ولسان العرب (جفن)، ولأبي خراش الهذلي في لسان العرب (نفس)، وبلا نسبة في تذكرة النحاة ص ٥٢٦، وجمهرة اللغة ص ١٣١٩، ورصف المباني ص ٨٦، والصاحبي في فقه اللغة ص ١٣٦، ولسان العرب (نجا)، والمعاني الكبير ص ٩٧٢، والمقرب ١/ ١٦٧.

(٣) تقدم المثل مع تخريجه.

(٤) تقدم المثل مع تخريجه.

(٥) تقدم المثل مع تخريجه.

(٦) بياض بالأصل مقدار ثلاث كلمات.

(٧) البيت من السريع، وهو للحارث بن دوس الإيادي في المعاني الكبير ٢/ ٨٩٥، ٩٩٦، ولسان العرب (بقل).

(٨) الرجز لرؤبة في كتاب الصناعتين ص ٢٩١، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (قرن)، وتهذيب اللغة ٩/ ٩٠، وجمهرة اللغة ص ٧٩٤، ومقاييس اللغة ٥/ ٧٦، والمخصص ١٠/ ١٧٩، وتاج العروس (قرن)، وإصلاح المنطق ص ٥٤.

(٩) تقدم المثل مع تخريجه.

التَّزْمِيدُ: نزول اللَّبن في الضَّرْع.

وقولهم في الضأن: أي هي الأَرْبَاقُ لأولادها.

والأَرْبَاقُ: عُراً تجعل في حبال وتُدخل في أعناق الصغار لئلا تتبع الأمهات في المرعى، وهي الرِّبْق أيضاً، واحدها رِبْقَة. ومنه قيل: من فعل كذا وكذا فقد خلع رِبْقَة الإسلام من عنقه.

وإنما أراد أن الضأن تُرَمِّدُ، أي تنزل اللبن في ضروعها في وقت وضع الحمل. والمعزى تُرَمِّدُ في أول الحمل.

يقول: رنّق رنّق؛ أي انتظر، يقال: رَنَّق الطائرُ في الهواء: إذا دار في طيرانه ولم يجر ورنَّقت السفينةُ: إذا دارت مكانها ولم تسر.

٢٥ـ وقولهم: أَفْوَاهُهَا مَجَاسُّها[١].

يريد: أنها إذا كانت كثيرة الأكل أَغْنَتْكَ بذلك عن أن تجسها فتعرف: كيف هي؟ لأن كثرة الأكل تدل على السِّمَن.

٢٦ـ وقولهم: نِجَارُها نارها[٢].

النار هاهنا: السِّمَةُ. ويقال لكل شيء وُسِمَ بالمِكْوَى: نار.

قال الشاعر[٣]:

حتى سقَوْا آبالَهُمْ بالنَّارِ والنَّارُ قَدْ تَشْفي من الأُوَارِ

الأُوَارُ: العَطَش. وسقيهم آبالَهُمْ النار تريد أنهم قدموها على هو اسمها في الشرب. فقدموا الأعزَّ منها فالأعزَّ أرْبَاباً.

والنِّجَارُ: الطبيعة والجوهر، فأراد أن سِمَاتِها تدلك على جواهرها.

تمّ كتاب مشكل القرآن وتفسير المشكل والأمثال التي فيه، بحمد الله وَمَنِّهِ وحسن توفيقه، سلخ جمادى الأولى من شهور.

سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

---

(١) تقدم المثل مع تخريجه.

(٢) تقدم المثل مع تخريجه.

(٣) الرجز بلا نسبة في لسان العرب (أور)، (نور)، وشرح شواهد المغني ١/٣٠٩، ٣١٦، ومغني اللبيب ١/١٠٣، وتاج العروس (نور)، (ورى)، ومقاييس اللغة ١/٤٠، ومجمل اللغة ١/٢١٥، وتهذيب اللغة ١٥/٢٣١.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

سورة آل عمران

ـ ٣ ـ

سورة النساء

ـ ٤ ـ

سورة يونس
ـ ١٠ ـ

سورة هود
ـ ١١ ـ

سورة الكهف

ـ ١٨ ـ

سورة مريم

ـ ١٩ ـ

سورة طه

ـ ٢٠ ـ

سورة الأنبياء

ـ ٢١ ـ

سورة الحج

ـ ٢٢ ـ

سورة المؤمنون

ـ ٢٣ ـ

سورة الصافات

ـ ٣٧ ـ

سورة صٓ

ـ ٣٨ ـ

سورة الزمر
ـ ٣٩ ـ

سورة غافر
ـ ٤٠ ـ

سورة فصلت
ـ ٤١ ـ

سورة الشورى
ـ ٤٢ ـ

سورة الزخرف
ـ ٤٣ ـ

فهرس القوافي

قافية الألف المقصورة

قافية الهمزة

الهمزة المفتوحة

الهمزة المضمومة

الهمزة المكسورة

قافية الباء

الباء المفتوحة

الباء المضمومة

الباء المكسورة

قافية التاء

التاء الساكنة

التاء المكسورة

قافية الثاء

الثاء المضمومة

قافية الجيم

الجيم المضمومة

الجيم المكسورة

قافية الحاء

الحاء المفتوحة

[illegible]

الحاء المضمومة

وإفضاحُ	البسيط	أبو ذؤيب الهذلي	٢٨٧
قادحُ	الطويل	تميم بن مقبل	١٤٣
جانحُ	الطويل	ذو الرمة	١٣٧، ١٨٦

الحاء المكسورة

والمسرحِ	المتقارب	ـــــ	٢٠٦

قافية الدال

الدال المفتوحة

سنادَها	الكامل	عدي بن الرقاع	٢١
ومسندا	الطويل	الكميت بن زيد	١٠١

الدال المضمومة

سوادُها	الطويل	العماني	٧٦
واعدُ	الطويل	سويد بن كراع	٨٧
مُنْفَدُ	الكامل	أمية بن أبي الصلت	٦٣
نولدُ	الكامل	أمية بن أبي الصلت	٧٠
حرودُ	الكامل	قيس بن عيزارة الهذلي	٤٩
وعبيدُها	الطويل	ذو الرمة	١٣٤
عديدُها	الطويل	حميد بن ثور	١٤٣

الدال المكسورة

الجعادِ	الخفيف	ابن مفرغ	٣٠٠
والهادي	البسيط	النمر بن تولب	١١٠
بسوادِ	الطويل	ذو الرمة	٩٤
إيادِ	الكامل	الأسود بن يعفر	١٦
الأبدِ	البسيط	النابغة الذبياني	١٧٧
أنجدِ	الطويل	دريد بن الصمة	٩٠
المسرَّدِ	الطويل	دريد بن الصمة	١١٩

قافية الراء

الراء الساكنة

الراء المفتوحة

اللام المكسورة

قافية الميم

الميم الساكنة

الميم المفتوحة

الميم المضمومة

الميم المكسورة

قافية النون

النون المفتوحة

فهرس الأرجاز

قافية الألف المقصورة

قافية الهمزة

الهمزة المضمومة

الهمزة المكسورة

قافية الباء

الباء الساكنة

الباء المفتوحة

الباء المضمومة

قافية التاء

التاء المضمومة

التاء المكسورة

قافية الجيم

الجيم الساكنة

الجيم المكسورة

قافية الحاء

الحاء المفتوحة

قافية الدال

الدال الساكنة

قافية القاف

القاف الساكنة

القاف المكسورة

قافية اللام

اللام الساكنة

اللام المضمومة

اللام المكسورة

	الراجز	الصفحة
لو كنت قد أوتيت علم الحكلِ	رؤبة	٧٦
في لجة أمسك فلاناً عن فلِ	أبو النجم	١٦٣، ١٨٩
علم سليمان كلام النملِ	رؤبة	٧٦

قافية الميم

الميم الساكنة

كم نعمة كانت لكم كم كم وكمْ	ـــــ	١٥٠
عكمّ تغشّى بعض أعكام القومْ	ـــــ	١٦٤
لم أر عكماً سارقاً قبل اليومْ	ـــــ	١٦٤

الميم المفتوحة

إنْ تغفر اللهم تغفر جمّا	أبو خراش الهذلي	٢٩٢
قد سالم الحيات منه القدما	مساور بن هند	١٢٣
الأفعوان والشجاع الشجعما	مساور بن هند	١٢٣
وأي عبد لك لا ألمّا	أبو خراش الهذلي	٢٩٢

الميم المكسورة

قواطناً مكة من ورق الحمي	العجاج	١٨٩
أو ذم حجّاً في ثياب دُسْمِ	ـــــ	٩٣
يا دار سلمى يا سلمي ثم اسلمِي	العجاج	١٤١
لا هم أن عامر بن جهمِ	ـــــ	٩٣

قافية النون

النون الساكنة

إذ لا يزال قائل أبنْ أبنْ	ابن ميادة	١٥٨
يا ابن هشام أفسد الناس اللبنْ	رؤبة	٣٠٨
فكلهم يمشي بقوس وقرنْ	رؤبة	٣٠٨

النون المكسورة

ما شئت من أشمط مقسئنّ	ـــــ	١٠٤

إنْ تك لدناً ليناً فإنّي	ـــــ	١٠٤
يا مسد الخوص تعوّذ مني	ـــــ	١٠٤
فالخيل والخيرات في قرنينِ	ـــــ	٩١

قافية الهاء

الهاء المفتوحة

أي قلوص راكبٍ تراها	ـــــ	٣٦
طاروا علاهنّ فطر علاها	رؤبة	٣٦
حتى شتت همالة عيناها	ـــــ	١٣٥

الهاء المكسورة

وقوّلْ إلاّ دهِ فلا دهِ	رؤبة	٣٠٧

فهرس أنصاف وأجزاء الأبيات

فهرس المحتويات

الفهارس العامة